(٦)
منتقيات



إعداد

الشيخ علي حسن غلوم

الشيخ علي حسن غلوم علي

منتقيات

ـ ٦ ـ

مقالات مختارة من صفحة منتقى الجمان المنشورة على صفحات جريدة الوطن الكويتية

من

٢٧ صفر ١٤٣٣ هـ / ٢١ يناير ٢٠١٢ م

إلى

٣٠ صفر ١٤٣٤ هـ / ١٢ يناير ٢٠١٣ م

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

من مطبوعات

مسجد سيد هاشم بهبهاني - الكويت

تلفون: ٢٥٤٢٧٩٩٧ - ٢٥٤٢٧٦٦٧

فاكس: ٢٥٤٢٨٥٥٨

Email: alwalaa@alwalaa.com

مسجد سيد هاشم بهبهاني - الكويت

1425 هـ - 2004 م

محتويات الكتاب

١ـ حكمة الناخب والمرشح ٩
٢ـ الشفاعة في القرآن ١٢
٣ـ جعجعة.. دخان.. وحسرات ١٥
٤ـ وقفة مع ابن خلدون في مقدمته (١ من ٣) ١٧
٥ـ وقفة مع ابن خلدون في مقدمته (٢ من ٣) ٢١
٦ـ وقفة مع ابن خلدون في مقدمته (٣ من ٣) ٢٤
٧ـ دولة القانون ٢٨
٨ـ الثبات كمعيار للتقييم ٣١
٩ـ الأثر الدنيوي للنية الصالحة ٣٣
١٠ـ انتحار أمينة ٣٥
١١ـ بين القبر و البرزخ ٣٩
١٢ـ الخرافة السياسية ٤٣
١٣ـ سمو الزهراء ٤٦
١٤ـ لماذا نسيان الميثاق ؟ ٤٨
١٥ـ معالجة ثقافة البغضاء ٥٢
١٦ـ فوضى .. رُشى .. واختلاسات ٥٥
١٧ـ ضوابط إقامة الحدود الشرعية ٥٩
١٨ـ بيتٌ و محراب ٦٦
١٩ـ المطلَّقة بين الشرع والقانون ٦٨
٢٠ـ شُرطة الخميس ٧١
٢١ـ القضاء عند الإمام علي ٧٥
٢٢ـ مميزات ثورة الإمام الخميني ٧٨
٢٣ـ خطبتا صلاة الجمعة ٨٠
٢٤ـ قيم الأكثرية وقيمتها ٨٣
٢٥ـ المهدوية والهروب إلى الأمام ٨٧
٢٦ـ المرجع فضل الله .. شجاعة الفكر والقول والعمل ٩٠

محتويات الكتاب

٢٧ـ الرحلة الغارودية ٩٤
٢٨ـ لماذا ضيقنا دائرة التقوى؟ ٩٧
٢٩ـ شهر الرحمة ١٠٠
٣٠ـ توكل و قوة و عفو ١٠٥
٣١ـ كاشف الغطاء .. القدس .. سوريا .. وميانمار ١٠٨
٣٢ـ الموت وخطاب العقل والروح ١١٢
٣٣ـ أحبكِ ١١٥
٣٤ـ الولاء السياسي و العقَدي ١١٧
٣٥ـ هجْرُ القرآن ١٢٠
٣٦ـ بر الوالدين ١٢٣
٣٧ـ إلا تنصروه ١٢٧
٣٨ـ الإمام الرضا : وارثُ الكتاب ١٣١
٣٩ـ بين طاووس وزين العابدين (١ من ٣) ١٣٤
٤٠ـ بين طاووس وزين العابدين (٢ من ٣) ١٣٧
٤١ـ بين طاووس وزين العابدين (٣ من ٣) ١٤٠
٤٢ـ شجاعة أمير المؤمنين علي ١٤٣
٤٣ـ الإمام علي و المسؤولية ١٤٥
٤٤ـ الإنفاق العاشورائي ١٤٨
٤٥ـ من الظلمات إلى النور ١٥١
٤٦ـ أسرى كربلاء ١٥٤
٤٧ـ تعالوا .. باهلوني ١٥٧
٤٨ـ العبادة المظلومة ١٦٠
٤٩ـ على وقع الانتخابات الأخيرة ١٦٣
٥٠ـ شكوك و أوهام ١٦٦
٥١ـ مولد السيد المسيح ١٦٩
٥٢ـ سطحية التفكير ١٧٢
٥٣ـ العنف الروحي ١٧٥

المقـــــدمة

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام : (تُدرك الأمور بعصف العقول).

حين صدر العدد الأول من دورية (منتقيات) تساءلت بنفسي، وتساءل قراء وكتاب أقربون فقالوا: لم هذه الدورية الجديدة؟ والسؤال للوهلة الأولى منطقي وفي محله، حيث الجهود الذهنية والمالية الكبيرة التي تُبذل لإخراج عدد واحد، رغم أن أغلب الموضوعات هي عبارة عن خطب جمعة سمعتها وحضرتها في صلوات الجمع لسماحة العلامة الشيخ علي حسن، وما أمتعها من خطب تسبق صلاة عظيمة في معانيها.. أقول ورغم سماعي لمضمون هذه المقالات بالصوت والصورة، أجبرت نفسي على قراءتها لأرى الجديد في ذلك. وسرعان ما تبدد هذا التساؤل حين تصفحت الدورية الأولى. وأهم ما كنت أبحث عنه في تقديمي للعدد الأول وما بعده هو البحث عن ما هو الجديد في هذا المنتج؟

فبدأت تصفحاتي (لمنتقيات ١-٦) علّي أجد جوابا على أسئلتي، وكلما وجدت جوابا بدا لي سؤال آخر، وهكذا.. إلى أن وجدت أن (منتقيات) قد حركت عقلا جامدا يسأل نفسه ويجيب على نفسه، فأدركت أنها الثقافة بمعناها الحقيقي.. تفتح العقول المنغلقة لتستكشف طاقتها التي باهى بها ربُّ العالمين الملائكةَ حين خلقها ووضعها في جسم الإنسان.

عزيزي القارىء الكريم.. إننا في أحوج اللحظات إلى الثقافة لنشرها من خلال البحوث التخصصية، أقول ذلك وسط هذا الصراع القائم بين الجهل والخرافة وبين الوعي. فلطالما صُدِمت من متخصص عبقري في مجاله حين أسمعه يتكلم خارج نطاق اختصاصه ليحضرني بذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام (رُبّ عالم قد قتله جهله، وعلمه معه لاينفع).

ولعلك تراني مبالغا وتقول ما عسى مقالة لا تتعدى ثلاث صفحات أن تضيف إلى الفكر الإنساني أو إلى المتخصص، وقد سمعت ذلك ممن استهان بفكره حين قرأ بجمود. ويستحضرني بذلك مقالة كتبها العلامة الشيخ محمد جواد مغنية في دورية (عقليات إسلامية) عن اشتراط الوعي أو الفهم الاجتماعي عند المرجع الديني عند قيامه بعملية الاستنباط فإذا به يرى الفكرة تناقش على مستويات بحث الخارج عند المراجع في الحوزات العلمية. ولكن الذي يؤسف له أن مع تعدد وانتشار وسائل الإعلام الحديثة من فضائيات وتكنولوجيا الاتصالات الرقمية تجد مواضيع الخرافة والغفلة والهزل والإباحة تنتشر بكثافه تباعا، لتمثّل عائقا يتحدى نشر الوعي والفضيلة.. ومن هنا تظهر أهمية الدورية التي على هيئة (منتقيات) والتي واجهت وعالجت كثيرا من العوائق ومنها:

١) واقعية الموضوعات التي تناقش الواقع المعاش من قبل الفرد والمجتمع دون ألغاز أو حشوية مملة، فتكون الفكرة واضحة وسهلة الفهم وفي عداد صفحتين أو ثلاث، مما يحرك العقل ليبني بنفسه تفاصيل الموضوع.

٢) تنوع القضايا والموضوعات المطروحة، فلا تقف (منتقيات) عند التراث فقط، بل تحاكي هموم المسلم المعاصر وحاجاته الفكرية وآماله وآلامه، فهي تستلهم من الماضي ما يحتاج من الحاضر بتعقيداته ومصطلحاته.

منتقيات ٦

٣) الانفتاح على التيارات والإعلام والحضارات الأخرى، فترى الفكر الإسلامي الأصيل في (منتقيات) يقارن بأمانة وصدق الفكر العربي والغربي، فتكتشف تارة الأفكار المتشابهة منها، فتبني معها جسور التواصل، وتكتشف تارة أخرى أفكارا هدامة، فتبني لها مصدات وحصون.

٤) اللمسات الفنية التي لم تهملها (منتقيات) فتجدها اهتمت بالبُعد الفني بما يشمل شكل ولون الغلاف وأشكال الحروف والخطوط، والصور والألوان ونوعية الورق، فلطالما رأيت الشيخ علي حسن وقد بذل جهدا ووقتا طويلا لانتقاء اللون وشكل الحرف ليكون البحث شيقا ومقروءً.

ويصدر هذا العدد (منتقيات ٦) في جو يختلف عما كانت عليه الأعداد السابقة، ولعلى أستطيع القول أنها فترة تحوّل مهمة في تاريخ الكويت، اتسمت بعدم استقرار سياسي واجتماعي لم يعتد عليه المواطن الكويتي تمثّل في صورة اضطرابات ومظاهرات لا تخلو من عنف، فأثّرت حتى على الحياة الاجتماعية للفرد والأسرة.

ورغم أن القارئ يجد في طيات أكثر من ثلاثين مقالة من (منتقيات ٦) تحليلات سياسية بصور مباشرة وغير مباشرة، إلا أن هذا لا يعني أن الدورية (المجلة) قد زاغت عن توجهها الثقافي العام، ولكنها الواقعية التي يعيشها المؤلف سماحة العلامة الشيخ علي حسن. فتراه لا يناقش الحدث السياسي بالصورة السياسية الوضعية الماكرة والتي تعتمد الكذب والمراوغة والقوانين الميكافيلية، ولكنها تحليلات سياسية شفافة مبنية على قيم ومبادئ إسلامية مستمدة من القرآن والحديث والسيرة والتاريخ.

ونجد موضوعات (منتقيات ٦) تعرض صورا من التطرف والصراع الطائفي والتدخلات الخارجية التي سببت الازدواجية في المواطنة والولاء، وتعمقت هذه الآفات السياسية إلى أن تبرمجت في المناهج الدراسية بمفاهيم الخرافة السياسية من عنصرية قومية وقبلية وحتى مذهبية، لتخلق ثقافة تهز الوضع السياسي، وتدفعه إلى عدم استقرار قد يكون مزمنا. ثم يطرح في هذا العدد عدة موضوعات اجتماعية يناقش فيها الكاتب ظهور مشاعر العداوة و البغضاء بين أفراد المجتمع الواحد، والحاجة إلى التعايش بين الأديان والمذاهب، ليضرب أمثل تاريخية لتعايش مجتمع المدينة بوجود رسول الله ﷺ بينهم وفيهم اليهود والنصارى. ثم يعطى صوره أخرى من العلاقات الطيبة بين أئمة أهل البيت عليهم السلام مع أئمة المذاهب الأخرى، ومن ثم يعرج إلى وسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كاستنتاج لهذا التعايش. قد حمل أيضا هذا العدد موضوعات جميلة تتعلق بالأسرة وعلاقة الرجل بالمرأة والحذر من فسادها وانعكاس ذلك على التجانس الاجتماعي.. وموضوعات تهذب الأخلاق من خلال صفاء العقيدة والإلمام بمؤثراتها المختلفة.

د. عبدالسميع سيد خلف البهباني

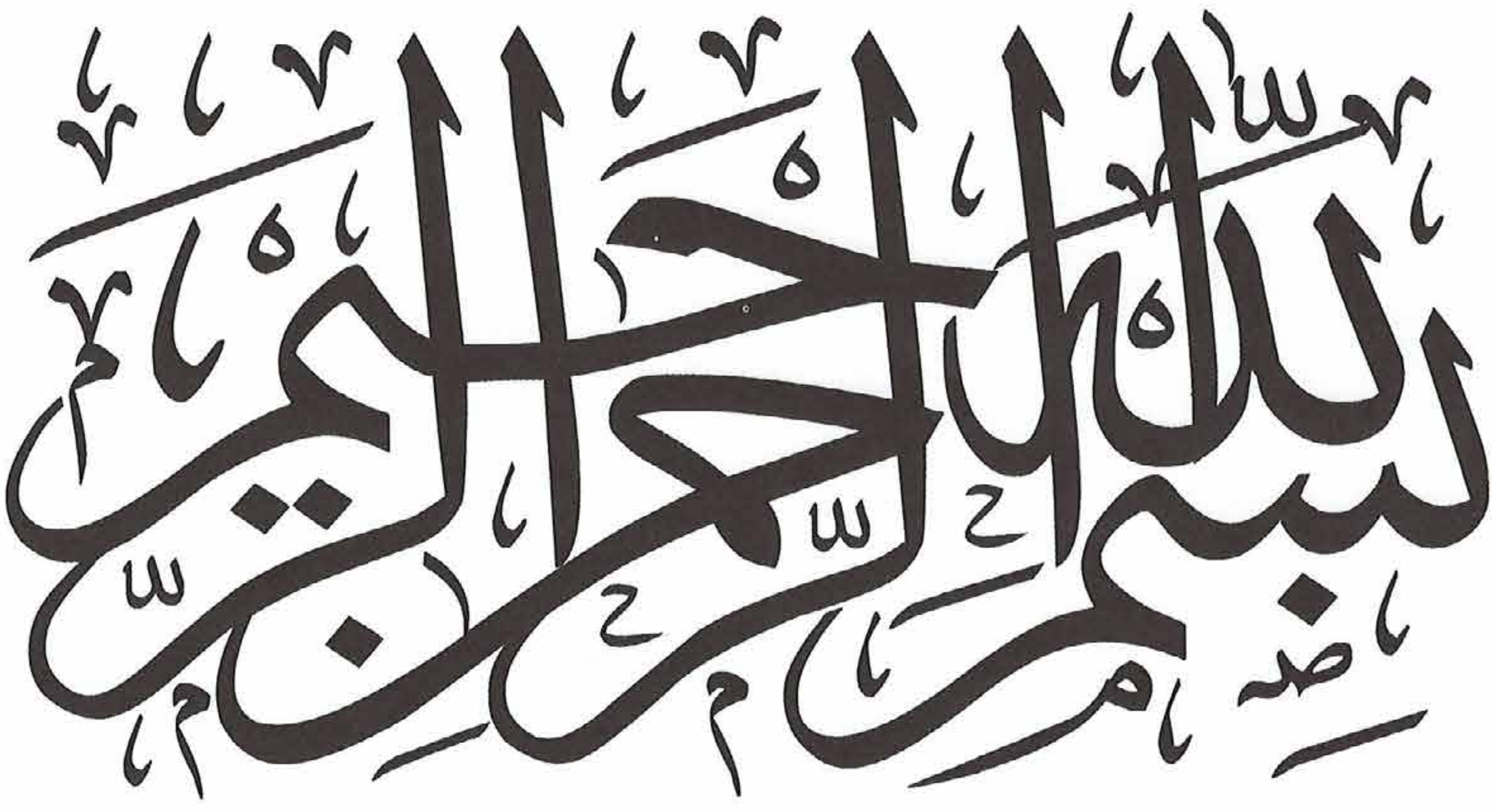
بسم الله الرحمن الرحيم

٢٧ صفر ١٤٣٣ هـ
٢١ يناير ٢٠١٢ مـ

حكمة الناخب والمرشح

مساندة أو تأييد أصحاب الفكر المتطرف، دينياً كان أم علمانياً، يمثّل سلوكاً مجانباً للحكمة، فالقاسم المشترك بين المتطرفين هو عدم قبول الآخر ..

التحلي بالحكمة من أهم مفاتيح النجاح في الحياة، بما تتضمنه من تفكير وتحليل سليم، ومن ثم اتخاذ القرار السليم، وأخيراً التنفيذ بالصورة المثلى، وقد قال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة:٢٦٩).

• حكمة الأنبياء:

وقد كانت الحكمة من صفات الأنبياء عليهم السلام، قال الله عز وجل: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ (النساء:٥٤).

كما أن من جملة مسئولياتهم تعليم الناس الحكمة: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ (آل عمران:١٦٤).

وإذ لم تسعف الظروف النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لتقديم كل ما عنده من الحكمة بشكل مباشر، فقد كان لأمير المؤمنين علي عليه السلام الدور المتمم لما نهض به النبي في هذا الاتجاه، مما علمه إياه، ومما جادت به الفيوضات الإلهية عليه، وهو ما نجده ماثلاً في كل هذا التراث الضخم من حكمه عليه السلام في نهج البلاغة أو في غيرها من المصادر.

• نفاذ بصيرة الناخب:

وللحكمة عطاءات متعددة، منها أنها تقدم للإنسان رؤية واضحة لتقييم الأمور على المدى البعيد.. وعندما يتخلى عنها فإنه قد يتخبط كثيراً مما قد يكلفه الكثير. واليوم إذ نعيش مقطعاً حساساً من تاريخ الوطن، فإن الناخب بحاجة إلى الحكمة في تقييمه للمرشحين وعند اتخاذ القرار بالتصويت لهذا المرشح أو ذاك.. كما أن المرشح بحاجة إلى الحكمة في قراراته وتصرفاته بعيداً عن حسابات مصلحته الشخصية وبعيداً عما قد يحققه على المستوى الشخصي في مقابل الخسارة الكبيرة على مستوى الوطن.

• التحالف مع المتطرفين:

ومن هنا فإن مساندة أو تأييد أو التحالف مع أصحاب الفكر المتطرف، دينياً كان أم علمانياً، يمثّل سلوكاً مجانباً للحكمة ـ مع التأكيد على أن



الحكمة لا تعني السكوت على الباطل والفساد والتطرف ولكن تعني التعامل الحكيم معها ـ فالقاسم المشترك بين كل المتطرفين هو عدم قبول الآخر.

فالعلماني المتطرف لا يقبل الآخر مهما تشدق هذا العلماني بالديموقراطية، لأنه يرى غيره ظلاميين ومن دعاة التخلف، والإسلامي المتطرف لا يقبل بالآخر مهما تكلم هذا الإسلامي عن شرعية الشورى، لأنه يرى الشرعية الكاملة متمثلة فيه فقط، وهو يعتقد اعتقاداً جازماً أنه وحده الذي يمتلك الحقيقة الكاملة.

• انقلب ضده:

أبان الغزو السوفييتي لأفغانستان لجأ الغرب لدعم أو صناعة بعض الوجودات المتطرفة.. ثم شاهدنا ما جرى في ١١ سبتمبر، وغير ذلك مما يعاني منه العالم إلى اليوم من صور الإرهاب.. وبعض المجتمعات العربية دعمت المتطرفين لقتل فئات من الشعب العراقي بعد إسقاط نظام الطاغية قتلاً عشوائياً وفق أجندة طائفية، فإذا بهم يعودون إلى أوطانهم ولينقلوا إليها إرهابهم وأفكارهم المتطرفة.. هذه هي النتيجة الحتمية للتحالف مع قوى التطرف.





لا تغريك القشور، بل حدّق في الجوهر .. مهما لطم بعض المرشحين وشاركك شعائرك ومهما أطال بعضهم اللحى ، ومهما تشدّق آخرون بدمائهم الزرقاء وبتنوّرهم ..

• تحالف لشر الوطن:

إن من الحكمة أن يعيد الناخبون النظر في دعم الأجندات المتطرفة، ودعم المرشحين الذين لا يتحلون بالحكمة في أقوالهم وفي تصرفاتهم من الذين يعتاشون على الإثارات، وإن جمعتنا بهم عناوين الانتماء الأسري أو المذهبي أو غير ذلك. فالتحالف مع المتطرفين ـ سواء من قبل بعض الأطراف الحكومية أو من قبل المرشحين ـ لن يحقق الخير للمجتمع، وإن حقق بعض النتائج المصلحية الخاصة على المستوى المنظور، إلا أن فساده على المدى البعيد كبير جداً.

إن الحكمة تقتضي أن يقرأ الناخبون المرشحين بعمق، فلا يتوقفون عند السطح..

عزيزي الناخب.. لا تغريك القشور والمظاهر، بل حدّق في الجوهر.. مهما لطم بعض المرشحين على صدورهم وشاركك شعائرك، ومهما أطال بعضهم اللحى وقصّروا أثوابهم، ومهما تشدّق آخرون بدمائهم الزرقاء وبتنوّرهم..

اقرأهم في تاريخهم.. في مواقفهم السابقة.. في مصداقيتهم.. فيما قدّموه من خير أو شر.. في اتزان سلوكهم.. في خوفهم من الله.. وفي إيثارِهم الوطن.

الكويت اليوم أحوج ما تكون إلى رجال حكماء من السنة والشيعة، من الحضر ومن القبليين، ليجتمعوا تحت قبة البرلمان، وليخرجوا البلد ـ بحكمتهم ـ من المآزق الكثيرة التي وقعت فيها، أو هي معرّضة أن تقع فيها على كافة الأصعدة. إن نفخ روح التطرف واللهاث وراء الإثارات قد تصب في مصلحة البعض، وتحقق لهم بعض النتائج، إلا أن كل ذلك وعلى المستوى البعيد لن يبني بلداً، ولن يحقق تنمية، بل سيمزق المجتمع بكل مؤسساته إلى أشلاء، ليُقدمه طُعمة سهلة إلى المتربصين بها دوائر السوء.

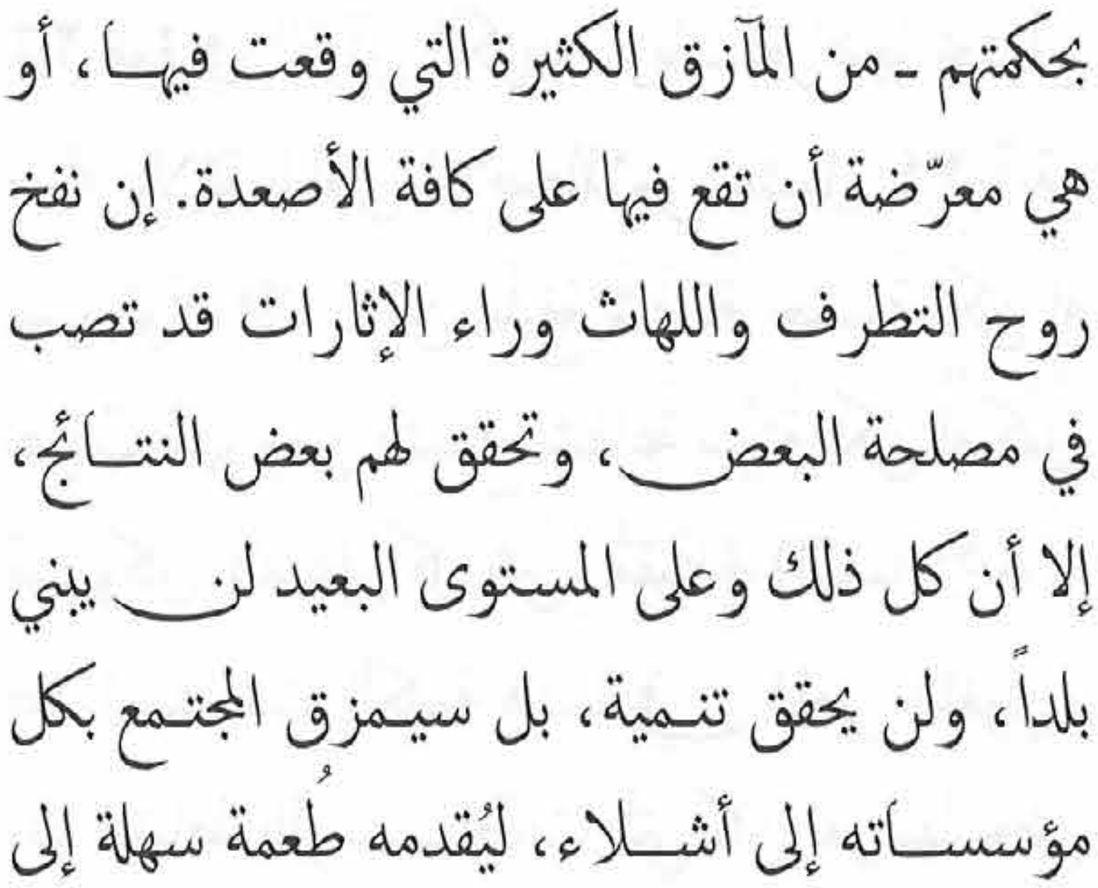

٥ ربيع الأول ١٤٣٣ هـ
٢٨ يناير ٢٠١٢ مـ

الشفاعة في القرآن

اهتمام الآيات القرآنية انصب على معارضة فكرة الشفاعة بالصورة المطروحة من قبل المشركين الذين كانوا يعتقدون أن أصنامهم تملك ذلك الامتياز ..

الشفاعة في المعنى الاصطلاحي العقدي عند المسلمين مرتبطة بكرامة الله لبعض أوليائه في ما يريد أن يُظهره من فضلهم في الآخرة، فيُشفِّعهم في من يريد المغفرة له أو رفع درجته عنده.

وقد وردت كلمة (شفع) باشتقاقاتها اللغوية ٢٦ مرة في القرآن الكريم، وباستعراضها نجد أن ما له علاقة بالمعنى الاصطلاحي يشمل ٢٤ آية، بينما قوله ﷻ: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ (النساء:٨٥)، فقد استعلمت الكلمة هنا في المعنى اللغوي، ولها ارتباط بالوساطات التي كان يعرضها بعض المسلمين لبعض المنافقين أو المشركين في العهد النبوي، وهكذا بالنسبة إلى قوله ﷻ: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾(الفجر:٣) والتي أريد بها نوع من الصلاة، أو يوم من أيام السنة، أو غير ذلك مما لا علاقة له بالمعنى الاصطلاحي الذي نبحث فيه.

ومن يتتبع تلك الآيات ويستقرؤها يلاحظ أنها لا تتحدث عن الشفاعة بقصد إثبات وجودها، بل تتحدث عنها بشكل سلبي كما يلي:

١. نفي الشفاعة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة:٢٥٤).

٢. في الشفاعة عن الشفعاء الوهميين الذين كان المشركون يدّعون لهم تلك الكرامة: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (الأنعام:٩٤).

٣. بيان عدم تأثير الشفاعة: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة:١٢٣).

٤. لا شفاعة إلا بإذن الله ورضاه: ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ (البقرة:٢٥٥). ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (الأنبياء:٢٨).



عمل الخطاب الديني الإسلامي في بعض مواقعه على تقديم صورة مشوّشة أو قاصرة حول الشفاعة، أدّت إلى تصوّرها بشكل خاطئ وقاصر ..

• إثبات الشفاعة بشروطها:

وبالطبع فإن ما سبق لا يعني نفي الشفاعة في الآخرة بشكل مطلق، إذ أثبتت الآيات نحواً من الشفاعة ضمن قانون معين، ولكنَّ اهتمام الآيات انصب على معارضة فكرة الشفاعة بالصورة التي كانت مطروحة من قبل المشركين الذين كانوا يعتقدون أن أصنامهم تملك ذلك الامتياز، وأنهم يتقربون إليها بالعبادة والطاعة وتقديم القرابين لكي تكون لهم الحظوة عندها في تحقيق أمانيهم كلها. والمشركون وإن لم يؤمنوا بالآخرة، إلا أنهم كانوا يواجهون النبي بدعوى أنه لو افتُرض وقوعها فإن تلك الأصنام ستشفع لهم وتخلّصهم من عذاباتها.

ومن جهة أخرى فإن القرآن الكريم لم يحدد أشخاص الشفعاء في الآخرة، بل ذكر منهم الملائكة، كما ذكر بعض صفات الشفعاء.

• شفاعة بعد الإذن:

ومن مجمل الآيات القرآنية التي تحدثت عن الشفاعة، فإننا نجد التأكيد على سبق الإذن الإلهي والرضا الإلهي لأية شفاعة، وهذا يعني أن شفاعة الشافعين لا تتعارض مع الحكم الإلهي على عباده، بحيث يريد الله إنزال العقوبة بهم، فيتدخل الشفعاء ليغيّروا الإرادة الإلهية، ويحوّلوا الغضب الإلهي إلى رضا، بل إن الله سبحانه يحكم - وفق رحمته - باستحقاق فئات من الناس الشفاعة، وحينئذ يشفع الشفعاء فيهم وفق الإذن الإلهي المسبق لهم بذلك، ووفق معرفة الشفعاء بقانون الشفاعة ومعاييرها وشروطها التي وضعها الله سبحانه، وذلك تكريماً للشفعاء من جهة، وتحسيناً لأوضاع تلك الفئات، برفع درجاتهم في الجنة، أو في التجاوز الإلهي عن بعض ما ارتكبوه من معاصي، من جهة أخرى.

• مبالغة ومخالفة:

وقد عمل الخطاب الديني الإسلامي في بعض مواقعه على تقديم صورة مشوّشة أو قاصرة حول الشفاعة، أدّت إلى تصوّرها بالشكل السابق، كما أدت إلى تقديم الشفاعة على العمل من حيث المرتبة والأهمية، على الرغم من كل التركيز القرآني على الإيمان والعمل كأساسين للنجاة في الآخرة،

في الوقت الذي غلبت فيه الصفة السلبية على الحديث عن الشفاعة.

ونتيجة تلك الصورة المعكوسة جاءت المبالغة عند البعض في الركون إلى الشفاعة في الآخرة دون الاعتناء بالقانون الإلهي الذي ينظم العلاقة بين الله والشفيع والمشفّع فيه، وهو ما يخالف صريح الآيات السابقة، وصريح الأحاديث الواردة عن النبي وآله عليهم السلام في هذا الخصوص من قبيل ما جاء في خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأخيرة حيث قال: (أما إنه ليس بين الله وبين أحد من عباده شيء يعطيه به خيراً أو يدفع به عنه شراً إلا العمل، أما إنه لا ينجي إلا عمل مع رحمة. ولو عصيتُ لهويتُ). فالله هو الذي جعل لنبيه الشفاعة للمذنبين، ولكن النبي يريد أن يقول للناس: انطلقوا مع العمل وانتظروا رحمة الله وشفاعته ولا تتجرأوا على ترك العمل والابتعاد عن الخط المستقيم لأنكم تقولون سيشفع النبي لنا.

وكذلك فيما رواه أبوبصير قال: (دخلت على أم حميد أعزيها بأبي عبدالله) أي الإمام الصادق عليه السلام وهي زوجته (فبكت وبكيت لبكائها، ثم قالت: يا أبا محمد لو رأيت أبا عبدالله عليه السلام عند الموت لرأيت عجباً، فتح عينيه ثم قال: اجمعوا لي كل من بيني وبينه قرابة، قالت: فلم نترك أحداً إلا جمعناه، قالت: فنظر إليهم ثم قال: إن شفاعتنا لا تنال مستخفّاً بالصلاة).

وقد أدت القراءة الخاطئة لحقيقة الشفاعة أيضاً إلى دفع البعض للسعي نحو تطوير علاقة خاصة بالشفعاء والتقرب إليهم بأنحاء القربات، لا بدافع الاقتداء والاهتداء، بل أملاً في نيل شفاعتهم، مما أوجد بونا شاسعا بين السلوك العام لأولئك الناس وبين سيرة الشفعاء الذين يمثّلون القمة في الإيمان والعمل الصالح والخلق القويم.

• نتائج مستخلصة:

بمطالعة الآيات القرآنية التي تحدثت عن الشفاعة يمكن استخلاص النتائج التالية:

١. أكّد القرآن الكريم أصل الشفاعة في الآخرة، وذكر الملائكة كشفعاء، كما ذكر بعض صفات الشفعاء.

٢. الحديث القرآني عن الشفاعة في مجمله حديث سلبي وذلك لمواجهة معتقدات المشركين.

٣. شفاعة الشافعين كالأنبياء والأئمة والشهداء والصالحين والملائكة وسواهم ممن جاءت في حقهم نصوص مثبتة لشفاعتهم لا تمثّل معارضة للحكم الإلهي، ولا تغييراً لإرادته في إنزال العقوبة بالعاصين.

٤. من الخطأ المبالغة في الركون إلى الشفاعة دون الاعتناء بالقانون الإلهي الذي ينظّم العلاقة بين الله والشفيع والمشفّع فيه.

١٢ ربيع الأول ١٤٣٣ هـ
٤ فبراير ٢٠١٢ م

جمجمة.. دخان.. وحسرات

يريدون الكويت ساحة تُنفِّس فيها الأطراف الإقليمية احتقاناتٍ أوضاعها أو أزمات سياساتها، مستغلّةً الانقسامات الحادّة التي صنعتها أجندات المتطرفين ..

﴿وَ اضْرِبْ لَهُم مَثلاً أَصْحَابَ القَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا المُرسَلُونَ﴾ (يس:١٣)، ثلاثة منذِرين حاولوا تنبيه أهل هذه القرية وإخراجهم من الغفلة التي كانوا يعيشونها، وواجهوا المواقف الصعبة التي تتحداهم فيها القوى التي واجهت دعوتهم بكل أساليب التمرد والجحود، فلا أحد يستمع إليهم بعقل مفتوح وقلبٍ منشرح.. ولكنهم لا يتراجعون، لأن كلمة الرسالة لا بد وأن تُقال وتتحرك مع الآذان الصمّاء والمواقف الرافضة، لتفرض نفسها على الجوّ، أو لتنفذ من خلال ثغرةٍ طارئةٍ من هنا، ونافذةٍ مفتوحةٍ على القلب من هناك، لتبدأ الطريق من الموقع الصغير.. فالتراجع في البداية أمام تحديات الآخرين، يفرض أن لا تبدأ الرسالة، لأن القوى المضادّة تقف أمام البدايات لتهزمها حتى لا تفرض نفسها على الساحة بعد ذلك.

• روح القوة:

من أهم ما ميّز أولئك المنذِرين روح القوّة، إذ لم يشعروا بالضعف عندما شعروا بقلة عددهم أمام الجماهير الكبيرة وقادتها، فقوتهم مستمدة من إيمانهم بمبادئهم وبقضيتهم التي جاءوا ليعلنوها للناس، وليثبتوها في عمق ذلك المجتمع.

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يا قَوْمِ اتَّبِعُواْ الْمُرْسَلِينَ﴾ (يس:٢٠)، وإذ لم يصل المنذِرون إلا إلى نتيجة محدودة من خلال إيمان هذا الإنسان الذي خرج من قلب مجتمعه، ليدخل في مواجهة معه، انطلاقاً من موقف الحق الذي يتبنّاه هو، أمام موقف الباطل الذي يتبناه المجتمع كله، ومن موقف المساندة للمجموعة الرسالية الصغيرة في مقابل الجماهير الغفيرة المعاندة.. إلا أن المهم هو أن كلمة الحق يجب أن تقال ولو خالفها كل الناس، وأن كلمة الحق قد تجد لها أنصاراً، ولو في نطاق محدود.. وقد يأتي اليوم الذي يبارك الله فيه جهود القلة.. ولربما لا يسعفهم الزمان ولا تساعدهم الظروف.. ليختتم المشهد مع كلمات الحسرة وزفرات الندم.. ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ، أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنْ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ (يس:٣٠-٣١).

ولا عذر اليوم للذاكرة القصيرة المدى.. فإذا كان ابنُ خلدون قد بيّن قبل قرون، وبقلمه، بعضاً من السُّنَن التاريخية في نهوض المجتمعات وأفولها، فإن وسائل الإعلام في هذا الزمان قد حفظت ما جرى لأمم أخطأت حظها، ورسمت معالم أفول نهضتها، وذلك بالصوت والصورة.

• دخان ونار:

بحلول هذا اليوم من المفترض أن يكون التصويت لانتخابات مجلس الأمة قد انتهى، والنتائج قد ظهرت، وفاز من فاز بمقعدٍ في المجلس، وخسر مَن خسر.. لتأخذ الكويت غفوة استراحة من جعجعة الانتخابات، دون أن تستريح من قلق القادم الذي تعالى دخانُه من مخيّمات كثير المرشحين، وأشعلت نيرانُه في صدور الناس، ليحقّق هذا المرشح أو ذاك فوزاً مؤزَّراً في سباق الوصول إلى المجلس، ولو على أنقاض مجتمع لا يريد أن يفتح عينيه ليرى المشهد الحقيقي من وراء كل هذا الدخان الأسود.

كان الشحن الطائفي حاضراً بقوة في كل الانتخابات السابقة، ولكن هذا الشحن دخل منعطفاً جديداً حين بات الحديث عن التدخلات الإقليمية علنياً بعد أن كان يُطرح في السابق على استحياء، تدخّلات ـ وفق تصريحات المرشحين وآلتهم الإعلامية ووسائل الإعلام المحلية والخارجية ـ ليست من نسج الخيال، بل حقيقية ضخّت من خلالها دعماً مالياً و «لوجستياً» وغير ذلك، ومن الواضح أن ليس شئ من ذلك لله، بل للمصالح الخاصة لهذا الطرف الإقليمي أو ذاك.. وليتأكد الكويتيون أن لا طرف من تلك الأطراف الخارجية يريد خير الكويت، فالكل يبحث عن مصلحته الخاصة.. وإذا كانت مصلحتهم الخاصة في دمار الكويت، فلتتدمر!

• مشهد مرعب:

وهذا هو المشهد المرعب الذي يهيئ الكويت تدريجياً لتكون لبنان أخرى، وعراق أخرى.. مجرَّد ساحة تُنفِّس فيها الأطراف الإقليمية والدولية احتقانات أوضاعها الداخلية أو أزمات سياساتها الخارجية، ولتكون ملعباً لتلك القوى، مستغلّةً الانقسامات الحادّة التي صنعتها أجندات المتطرفين، وأصحاب القلوب الجلمودية الذين لا تهمهم سوى مصالحهم الخاصة.

الكويت بحاجة إلى أمثال أولئك الذين أنذَروا وما استكانوا وما يئسوا أمام كل قوى التطرف والعناد والجحود.. بحاجة إلى أصحاب الروحيات القوية، والبصيرة النافذة ليتحركوا بلا كلل لتغليب الحكمة قبل أن يفاجئنا يوم الحسرة.. فما أكثر الذين عملوا ـ وعلى استعداد ـ لتحويل كل (عرس) ديمقراطي إلى مأتم.

١٩ ربيع الأول ١٤٣٣ هـ
١١ فبراير ٢٠١٢ م

وقفة مع ابن خلدون في مقدمته (١ من ٣)

اعتبر ابن خلدون أن أية دعوة دينية لا تتم من غير عصبية، معتمداً في نظريته هذه على قراءة تحليلية، ومستشهداً بنص ديني ليسقطها أخيراً على قضية المهدي ..

لم تكن مقدمة ابن خلدون إنجازاً بسيطاً، بل عملاً يدل على عبقرية استطاعت أن تدرس التاريخ بعمق، وتبحث عن تفسيرات عقلانية تربط الأحداث في مقدماتها وتفاعلاتها ومساراتها، لتقدِّم للبشرية فلسفةً للتاريخ قال عنها المؤرخ البريطاني المعاصر أرنولد توينبي: (قد أدرك وتصوّر وأنشأ فلسفةً للتاريخ هي بلا شك أعظم عمل من نوعه خلقه أي عقل في أي زمان ومكان). إلا أن هذه القيمة للمقدمة لا تعني أنها تمثل الحقيقة الكاملة في تفاصيلها، فهي شأنها شأن أي مجهود بشري تحليلي، قابل للخطأ، أو قد يكون قاصراً عن تقديم الصورة المتكاملة للموضوع المبحوث فيه.

• العصبية والدعوة الدينية:

وقد استعرض ابن خلدون فيما استعرضه من قضايا ترتبط بنشوء الحضارات وهرمها واندثارها عنوان (العصبية وعلاقتها بالدعوة الدينية) معتبراً أن أية دعوة دينية لا تتم من غير عصبية، معتمداً في نظريته هذه على قراءة تحليلية استقرائية، ومستشهداً بنص ديني، ليقوم في النهاية بإسقاط النتيجة على قضيةٍ حساسة وهي قضية المهدي المنتظر.. وخلاصةً ما طرحه في هذا الإطار ما يلي:

١. الفطرة البشرية التي خلقها الله سبحانه تقتضي أن يكون مسار العصبية هو السعي وراء السلطة، قال: (اعلم أن الملك غاية طبيعية للعصبية، ليس وقوعه عنها باختيار، إنما هو بضرورة الوجود و ترتيبه).

٢. لا يستقيم أمر دين أو شريعة إلا بالعصبية، قال: (الشرائع والديانات وكل أمر يحل عليه الجمهور فلابد فيه من العصبية.. فالعصبية ضرورية للملة و بوجودها يتم أمر الله منها.. وهكذا كان حال الأنبياء عليهم الصلاة و السلام في دعوتهم إلى الله بالعشائر والعصائب، وهم المؤيَّدون من الله بالكون كله لو شاء، لكنه إنما أجرى الأمور على مستقر العادة والله حكيم عليم).

٣. وليس أمر الإسلام مخالفاً لهذا السنّة الفطرية، واستشهد بالنص التالي: (في الصحيح: [ما بعث الله نبياً إلا في منعة من قومه]). معتبراً أن هذا



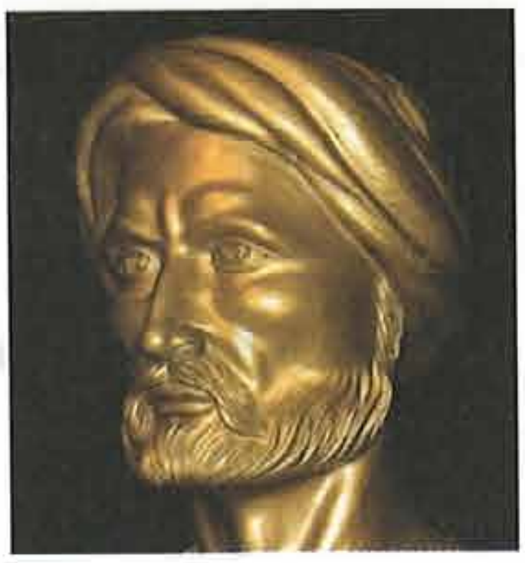

اعتبر ابن خلدون أن ما جاء في الإسلام من ذمّ للعصبية هو ذم للعصبية للباطل، أما إذا كانت العصبية للحق فإن الإسلام لم يعارضها، ولم يرد اقتلاعها من جذورها..

النص دال على اعتماد النبي ﷺ على عصبية قومه له لنشر دينه وقيام دولته وامتدادها.

٤. أما ما جاء في الإسلام من ذمٍّ للعصبية، فهو في واقعه ذم للعصبية للباطل، أما إذا كانت العصبية للحق فإن الإسلام لم يعارضها، فالإسلام لم يرد اقتلاع العصبية من جذورها، كما أنه لم يقتلع الغضب، ولا السعي للمُلك، ولا الاستجابة للشهوات من جذورها، بل هذّبها في غاياتها ومنطلقاتها.

قال ابن خلدون: (وليس مراده فيما ينهى عنه أو يذمه من أفعال البشر أو يندب إلى تركه، إهماله بالكلية أو اقتلاعه من أصله، وتعطيل القوى التي ينشأ عليها بالكلِّية، إنما قصده تصريفها في أغراض الحق بَجهد الاستطاعة حتى تصير المقاصد كلها حقاً، وتتحد الوجهة.. وكذا العصبية حيث ذمَّها الشارع وقال: لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم، فإنما مراده حيث تكون العصبية على الباطل و أحواله كما كانت في الجاهلية.. فأما إذا كانت العصبية في الحق و إقامة أمر الله فأمر مطلوب، ولو بطل لبطلت الشرائع، إذ لا يتم قوامها إلا بالعصبية كما قلناه من قبل).

٥. وإذا كان الإسلام ودعوات الأنبياء المعتمِدة على الغيب أصلاً في مبدئها واستمرارها بحاجة إلى العصبية، فمن باب أولى أن يكون ما عداها أيضاً بحاجة إليها، قال: (وإذا كان هذا في الأنبياء وهم أوْلى الناس بخرق العوائد، فما ظنُّك بغيرهم أن لا تخرق له العادة في الغلب بغير عصبية؟).

٦. تخطئة الثورات التي انطلقت في عصره أو قبله (القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي) بالاعتماد فقط على البُعد الديني والقِيَمي دون الاعتماد على العصبية، ولذا كتب لها الفشل، إما في انطلاقتها، أو في استمرارية الكيان الناشئ على إثر نجاحها، قال: (ومن هذا الباب أحوال الثوار القائمين بتغيير المنكر من العامّة والفقهاء، فإن كثيراً من المنتحلين للعبادة و سلوك طرق الدين يذهبون إلى القيام على أهل الجور من الأمراء، داعين إلى تغيير المنكر والنهي عنه والأمر بالمعروف رجاءً في الثواب عليه من الله، فيكثر أتباعهم والمتمثلون

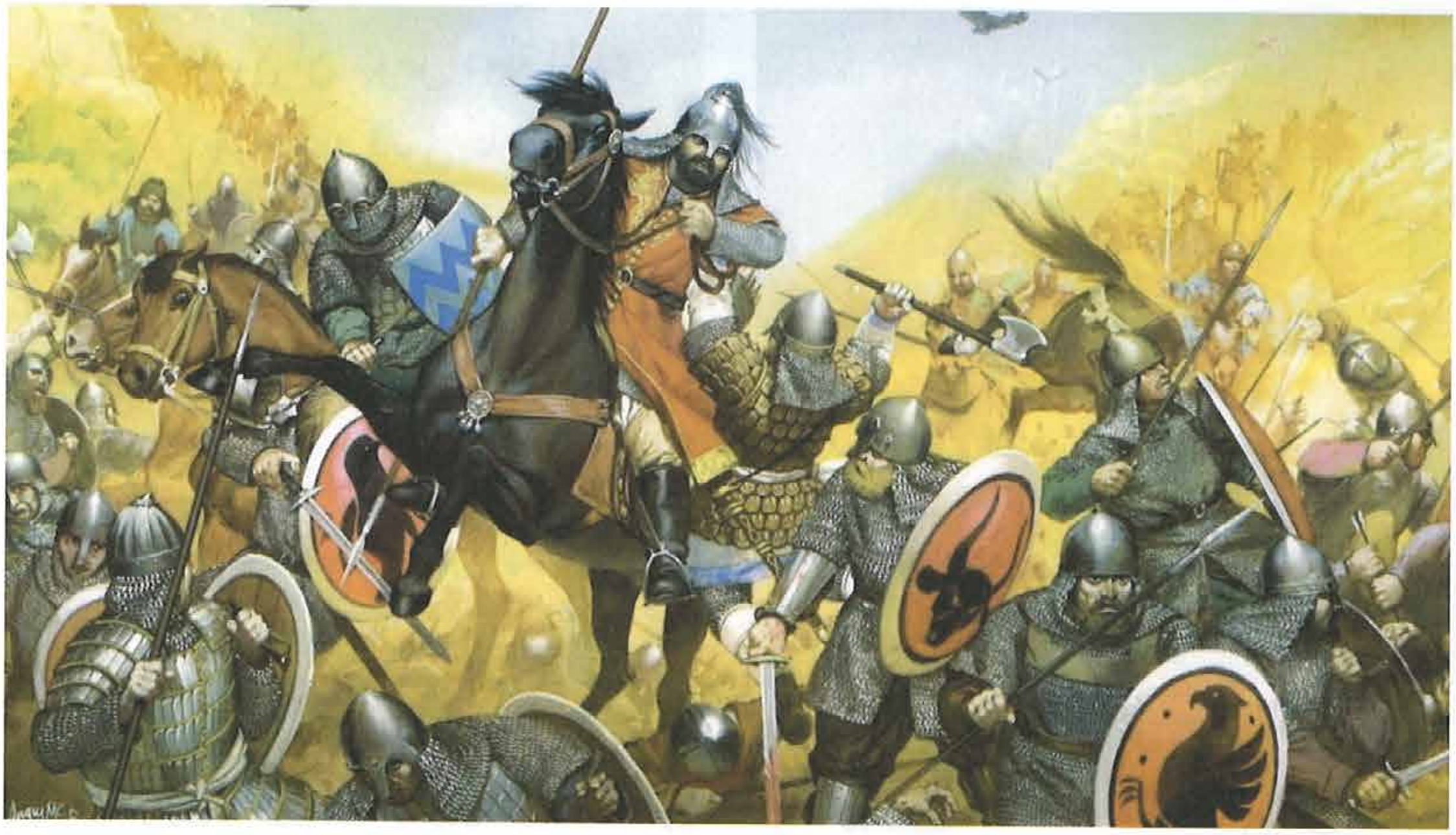

بهم من الغوغاء والدهماء، ويعرِّضون أنفسهم في ذلك للمهالك، وأكثرُهم يهلكون في هذا السبيل مأزورين غير مأجورين، لأن الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم، وإنما أمر به حيث تكون القدرة عليه).

ثم استشهد ابن خلدون بالحديث النبوي: ([مَن رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه]، وأحوال الملوك والدول راسخة قوية لا يزحزحها ويهدم بناءها إلا المطالبة القوية التي من ورائها عصبية القبائل والعشائر).

٧. الاستشهاد بعدة حوادث تاريخية قريبة وبعيدة عن عصره، والسخرية من القيادات التي ثارت دون أن تدرك أسس نجاح الثورة، وأهمها الاعتماد على العصبية، قال: (ثم اقتدى بهذا العمل بعدُ كثيرٌ من الموسوسين، يأخذون أنفسهم بإقامة الحق ولا يعرفون ما يحتاجون إليه في إقامته من العصبية، ولا يشعرون بمغبَّة أمرهم و مآل أحوالهم). أما مصير هؤلاء الثوار فهو بحسب ابن خلدون: (إما المداواة إن كانوا من أهل الجنون، وإما التنكيل بالقتل أو الضرب إن أحدثوا هرجاً، وإما إذاعة السخرية منهم وعدّهم من جملة الصفاعين).

٨. اتهام مدّعي المهدوية، أو النيابة عن المهدي والدعوة له، بالجهل أو الخلل النفسي أو العقلي أو بطلب المُلك، قال: (وقد ينتسب بعضهم إلى الفاطمي المنتظَر، إما بأنه هو، أو بأنه داع له، وليس مع ذلك على علم من أمر الفاطمي، ولا ما هو. وأكثر المنتحلين لمثل هذا تجدهم موسوسين أو مجانين أو ملبَّسين يطلبون بمثل هذه الدعوة رئاسةً امتلأت بها جوانحهم وعجزوا عن التوصّل إليها بشئ من أسبابها العادية، فيحسبون أن هذا من الأسباب البالغة بهم إلى ما يؤملونه من ذلك،



يرى ابن خلدون أن نهوض دولة المهدي المنتظر لن يخرج عن قانون علاقة المُلك بالعصبية، ولن تتحقق دولته بمجرد انتسابه لأهل بيت النبوة ..

ولا يحسبون مـا ينالهم فيه مـن الهلكة، فيسرع إليهم القتل بـما يُحدِثونه من الفتنة، وتسـوء عـاقبة مكرهم).

٩. عدم الوثوق بظهور المهدي وإن ذهب المشهور إلى ذلك، قال: (اعلم أن في المشهور بين الكافة من أهل الإسـلام على ممر الأعصار أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين و يظهر العدل و يتبعه المسـلمون و يستولي على الممالك الإسلامية و يسـمى بالمهدي). ثـم عقّب ذلك بذكـر النصوص الكثيرة الدالة على ظهوره في كتب المسلمين، ودرسها سنداً ومتنـاً، ولم يحسم موقفه بشكل واضح، وإن كانت عبـارته التـالية تتضمن تشـكيكاً أو تردداً حيث قـال: (فإنْ صحّ ظهور هذا المهدي...).

والذي يهمنـا هنـا هو أنه اعتبر أن نهوض دولته لن يخرج عن القـانون الذي تبناه بخصوص علاقـة المُلك بالعصبية، وبـما أن وجود آل البيت المنتسبين إلى فاطمة الزهراء عليها السلام والمتحالفين معه في زمانـه ظاهر في أطراف من الحجـاز، لذا فإن أية ادّعاء للمهدوية خـارج هـذا النطاق سيكون باطلاً حتـماً، قـال: (وعصبية الفـاطميين، بل وقريش أجمع، قد تلاشت من جميع الآفاق، ووجد أمم آخرون قد اشتغلت عصبيتهم على عصبية قريش، إلا مـا بقي بالحجاز في مكة وينبع بالمدينة من الطالبيين من بني حسن وبني حسين وبني جعفر، وهم منتشرون في تلك البلاد، وغـالبون عليها، وهم عصائب بدوية متفرقون في مواطنهم وإماراتهم، يبلغون آلافاً من الكثرة. فإنْ صحّ ظهور هذا المهدي، فلا وجه لظهور دعوته إلا بأن يكون منهم ويؤلِّف الله بين قلوبهم في اتّباعه حتى تتم له شـوكة وعُصبة وافية بإظهـار كلمته وحَمْل الناس عليها، و أما على غير هذا الوجه مثل أن يدعو فاطمي منهم إلى مثل هذا الأمر في أفق من الأفاق من غير عصبية ولا شوكة إلا مجرد نسبةٍ في أهل البيت، فلا يتم ذلك ولا يمكن، لما أسـلفناه من البراهين الصحيحة).

- ولنا في العدد اللاحق وقفة مع بعض مـا طرحه العلامة ابن خلدون بإذن الله عزّ وجلّ .

٢٦ ربيع الأول ١٤٣٣ هـ
١٨ فبراير ٢٠١٢ مـ

وقفة مع ابن خلدون في مقدمته (٢ من ٣)

أكد الإمام زين العابدين على أن الحديث عن العصبية ليس مجرد حديث عن حب الإنسان لقومه وأهله أو لغيرهم، ولكن أن يعين من يتعصب لهم على الظلم ..

قدّمت في المقال الماضي ملخصاً لنظرية ابن خلدون التي طرحها في مقدمته حول العلاقة بين العصبية العشائرية وبين نجاح أية دعوة، بما فيها دعوات الأنبياء وخاتمهم محمد ﷺ. وهناك أكثر من نقطة تحتاج إلى مناقشة، وأقتصر هنا على مناقشة مفهوم العصبية وعلاقة ذلك بدعوة النبي ﷺ.

• مفهوم العصبية:

العصبية في اللغة العربية تأتي من كلمة (العَصَب) وهو ما يعرف اليوم بالرباط كذلك الذي يربط مثلاً بين مفاصل الجسم، ولذا سمى العرب قَرَابة الرجُل لأبيه وبني عمِّه (عَصَبة) لأنهم يرتبطون به ويستديرون حوله ويلتزمون به.

وإذا أردنا أن نبحث في دلالة العصبية من الناحية المفهومية فهي تمثل حالة من الارتباط الدائم بالشئ وعلى كل حال، وهي تستدعي أن يرى الإنسان القيمة كل القيمة في هذا الشئ، فيصطدم مع كل ما يتصادم به، وينجذب إلى كل ما ينجذب إليه، بغض النظر عن معيار الحق والباطل، والعدل والظلم، وكل القيم والمبادئ الأخرى.

والعصبية - في حقيقتها - حالة شعورية متطرفة تلغي دور العقل، وتترتب عليها سلسلة من الأحكام والمواقف لا يسوّغها إلاّ كونها نابعة من الشعور بالارتباط المحدَّد بالعشيرة أو القوم أو الوطن أو الدين أو المذهب أو الحزب أو غير ذلك.

وليس الحديث هنا عن مجرد حب الإنسان لقومه وأهله أو لغيرهم، وهذا ما أكده الإمام علي ابن الحسين زين العابدين عليه السلام بقوله: (وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه، ولكن العصبية أن يعين قومه على الظلم).

• العصبية في القرآن والحديث:

ومن يتتبع آيات القرآن ومواقف النبي ﷺ وأحاديثه يجد موقفاً صارماً واضحاً في رفض العصبية، ومن ذلك:

١. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة:٨). فالموقف - إسلامياً - ينبني على أساس مبدأ العدل.. أي لو كان الحُكم

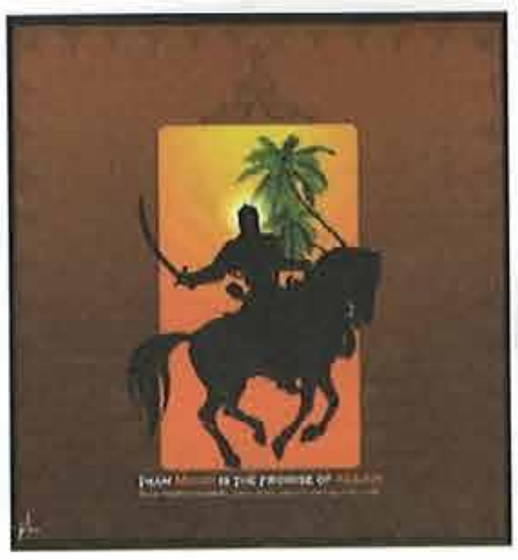



انتصر النبي محمد لليهودي المظلوم حين اتهمه بعض المسلمين بالسرقة زوراً، لأن الإسلام ألغى العصبية ودعا إلى إقامة العدل وضرورة الإنصاف ولو على النفس.

العدل لصالح قوم يختلفون معي في الانتماء العشائري أو القومي أو الديني أو المذهبي أو الحزبي، فيجب أن أميل معه.. فهل يتناسب هذا مع ترسيخ العصبية العشائرية والاعتماد عليها من قبل النبي في دعوته؟

٢. ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الفتح:٢٦).

نلاحظ هنا المقارنة بين الصورتين، صورة العصبية والانفعال الشعوري الذي يدفع الإنسان لاتخاذ الموقف والإقدام على فعل مبتني على نصرة العنوان أو الشخص دون مراعاة للحق والعدل، وهي صفة جاهلية.. وفي المقابل صور السكينة التي تفسح المجال للتفكير واتخاذ القرار الصائب المعتمد على التقوى.. والعدل من التقوى كما لاحظنا في الآية الأولى. فالمؤمنون أهلُ التقوى وعشيرتها، أي أن رباطهم هو التقوى، وبالتالي العدل والحق، لا العشيرة ولا القوم ولا أمثالهما.

٣. في الحديث النبوي: (مَنْ قاتَلَ تحتَ راية عِمِّيَّة) دون تفكير ولا عرض على المبادئ والقيم بل (يَغْضَبُ لعَصَبَة أَو يَنْصُرُ عَصَبَةً أَو يَدْعو إلى عَصَبَة فقُتِلَ، قُتِلَ قِتْلَةً جاهليَّةً).

٤. وفي حديث آخر: (مَن تعصَّبَ أو تُعصِّب له فقد خلع ربقة الإيمان عن عنقه) أي انفصل عن المبادئ الإسلامية، لأنه التزم بالرباط الذي ألغاه الإسلام والتزم بالرباط الذي أسسه الشيطان وعملت به الجاهلية. ولذا انتصر النبي لليهودي المظلوم حين اتهمه بعض المسلمين بالسرقة زوراً، وهم يتوقعون أن النبي سيتعصب لهم، كما حكته الآيات ١٠٥ فما بعدها من سورة النساء.

٥. وقد اعتبر أمير المؤمنين علي عليه السلام أن العصبية منهج شيطاني، إذ قال في الخطبة (القاصعة) الواردة في نهج البلاغة حول موقف إبليس: (اعترضته الحمية فافتخر على آدم بخلقه، وتعصَّب عليه لأصله. فعدو الله إمام المتعصبين، وسلف المستكبرين، الذي وضع أساس العصبية) وماذا كانت النتيجة؟ (أحبط عملَه الطويل وجَهْده

الجهيد... فاحذروا عبادَ الله أن يَعديَكم بدائه، وأن يستفـزكم بندائه، وأن يجلب عليكم بخيله ورَجله). ومن أخطر نداءاته النداء بالعصبية، فاستجاب له من لديه الاستعداد لذلك (صدَّقه به أبناءُ الحميِّة، وإخوانُ العصبية ، وفرسانُ الكِبر والجاهلية). وما هي النتيجة؟ (فأصبح أعظمَ في دينكم جرحاً، وأورى في دنياكم قدحاً من الذين أصبحتم لهم مناصبين وعليهم متألبين).

• التزام واستقامة:

فهل يمكن بلحاظ ما سبق ـ وغير ذلك كثير ـ أن نقول بأن النبي اعتمد على العصبية العشائرية في نهوض مشروعه ونجاح دعوته وتأسيس دولته؟ وكيف يكون ذلك وقد نزل قوله تعالى في العهد المكي: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (المسد:١)، وهي تخص عمّه؟ أيتوافق ذلك مع مَن يريد الاعتماد على العصبية العشائرية؟

والصحيح أن يقال أن الإسلام ألغى العصبية واستبدلها بمفهوم آخر وهو الاستقامة والالتزام بالتقوى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (هود:١١٢)، أي أنه أنشأ رباطاً لا علاقة له بالأشخاص ولا بالعناوين كالعشيرة والقوم واللون، بل بالتقوى والحق والعدل والقيم السامية والمبادئ الأخلاقية، وبمقدار التزام الآخر بذلك فأنت تستقيم معه وتلتزم منهجه وتنصره وتدافع عنه.

ونحن إنما نتولى رسول الله ﷺ على طول الخط ونلتزم منهجه ونستقيم في اتباعه لا تعصباً له، بل لأنه الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي، ونتولى علياً عليه السلام على طول الخط ونلتزم منهجه ونستقيم في اتباعه لا تعصباً له، بل لأن علياً مع الحق والحق مع علي، يدور معه حيثما دارن كما قال رسول الله. فاستقامتنا في نهج النبي وآله ناشئة من ذلك، وليست هي عصبية قائمة على انتمائهم للبيت القرشي أو البيت الهاشمي أو البيت العلوي.

• خطورة العصبيات:

إنَّ العصبيات تُنسينا فكرَنا ومبادءنا وقيمَنا وكل الوعي الذي نحمله، فيتحول المثقف البارز والمتدين التقي والباحث الخبير في الشأن السياسي وغير هؤلاء ممن يتحلَّون بالوعي والمسؤولية، إلى أسرى للخطاب الغرائزي العاطفي الانفعالي، فتغيب الحكمة، ويستحكم الإنفعال، وتنعدم لغة التهدئة، فيرتفع ما أنعم الله به على عباده من السكينة وهدوء الفكر التي هي من أسس حفظ وتنمية المجتمع الذي يعيش التنوع المذهبي والعشائري والقومي والحزبي. إن علينا أن نتذكر دائماً أن إمام المتعصبين هو إبليس الرجيم، وأن إمام المستقيمين في الحق هو رسول الله، فأي الإمامين نتولى؟ وعلى أي النهجين نسير؟

٣ ربيع الثاني ١٤٣٣ هـ
٢٥ فبراير ٢٠١٢ مـ

وقفة مع ابن خلدون في مقدمته (٣ من ٣)

كانت لنا في المقالتين السابقتين إطلالة على نظرية ابن خلدون حول علاقة العصبية بنجاح الدعوات وقيام الدول، والتي اعتبر فيها أن جميع الدعوات بما فيها دعوات الأنبياء إنما تنجح بالاعتماد على العصبية، ثم أسقط هذه النتيجة على دولة الإمام المهدي المنتظر، معتبرا أنه سيظهر -إن كان لظهوره حقيقة وفق ابن خلدون - في مناطق قوة ونفوذ البيت العلوي وإلا فسيفشل في تحقيق غايته، ولن يكون مجرد انتسابه لأهل البيت كافياً.

وبما أن قوة ونفوذ آل علي بل وقريش أجمع قد تلاشت وتغلبت عليها عصبيات أخرى في زمن ابن خلدون (القرن الثامن الهجري) فلن يتحقق الظهور إلا في مناطق تحتضنهم في مكة وينبع، قال: (فإنْ صحّ ظهور هذا المهدي، فلا وجه لظهور دعوته إلا بأن يكون منهم ويؤلف الله بين قلوبهم في اتّباعه حتى تتم له شوكة وعُصبة وافية بإظهار كلمته وحَمْل الناس عليها، و أما على غير هذا الوجه مثل أن يدعو فاطمي منهم إلى مثل هذا الأمر في أفق من الآفاق من غير عصبية ولا شوكة إلا مجرد نسبةٍ في أهل البيت، فلا يتم ذلك ولا يمكن).

• حقائق غائبة:

وقد غابت عن ابن خلدون عدة حقائق:

١. أن الله ﷻ لن يدّخر أملَ البشرية الذي تنتظره الأمم لخلاصها، لينهض من خلال مبدأ وشعار يتعارض مع المنهج الإلهي الذي يحارب العصبية. فقد ألغى الإسلام العصبية واستبدلها بالاستقامة في الحق والالتزام بالتقوى كما تبيّن من خلال المقال السابق.

٢. العصبية العشائرية تستدعي نصرة الظالم وتقوية مواقع الظلم، كما اتضح في المقال السابق، فكيف ينطلق المهدي المنتظر من عنوان الظلم ليقيم العدل، وقد تواتر في كتب المسلمين الحديث النبوي الذي يتضمن هذه العباره: (يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وظلماً)؟

٣. أقر ابن خلدون في الفصل الثالث من مقدمته بأن بعض الدعوات نجحت في مشروعها وقامت من خلالها دول دون الانطلاق من مبدأ العصبية

كيف ينطلق المهدي من عنوان الظلم ليقيم العدل، وقد تواترِ الحديث الذي يتضمن عبارة : (يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وظلماً)؟

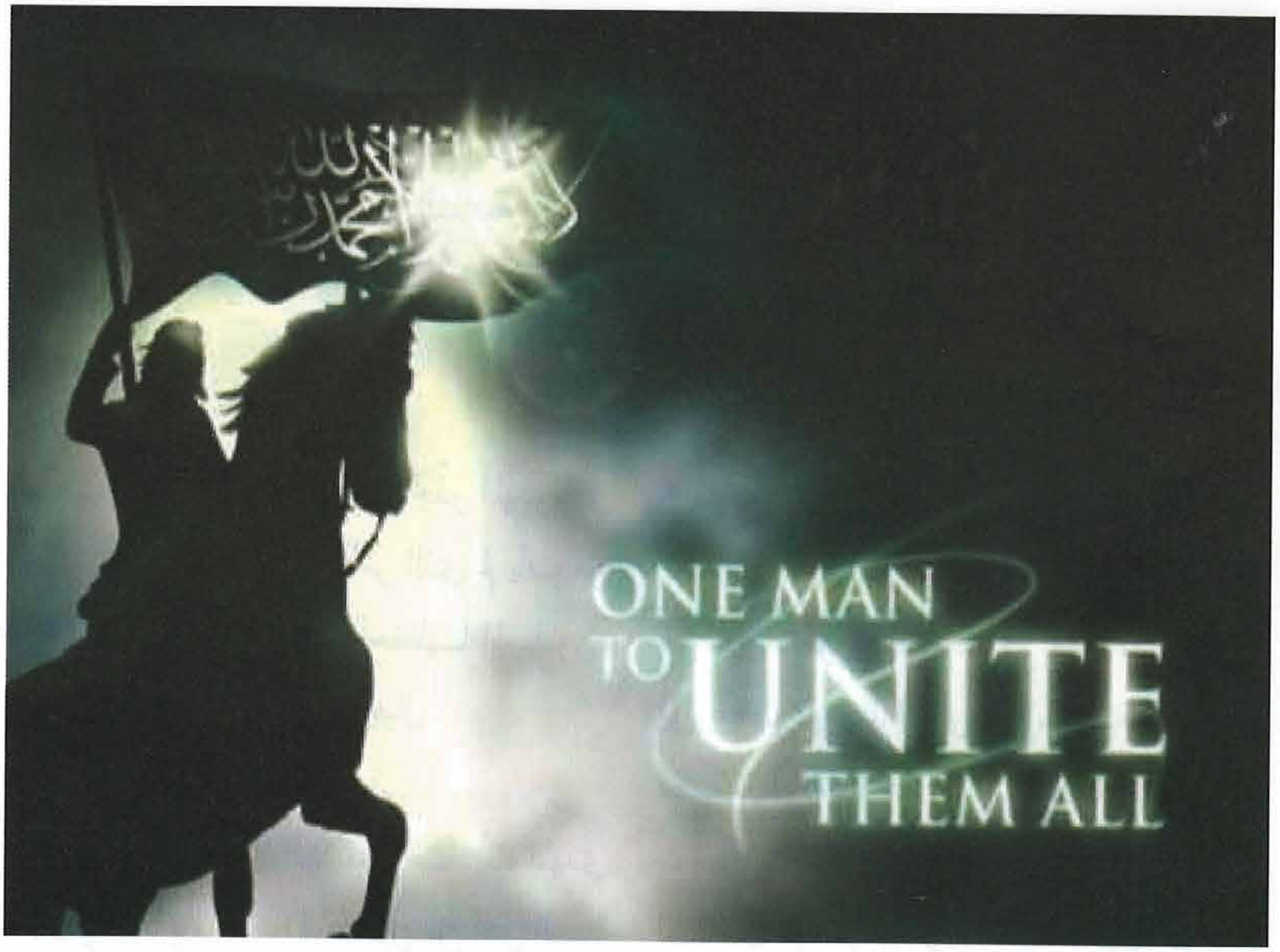

العشـائرية، وبتعبيره: (انقيـاداً لمـا استحكم له و لقومـه من صبغة الغلب في العـالم وعقيدة إيـمانية استقرت في الإذعان لهم، فلو راموها معه أو دونه لزلزلت الأرض زلزالهـا) وضرب على ذلك مثـال قيام دولة الأدارسة في المغرب ثـم قيـام الدولة الفاطمية، العبيديين وفق تعبيره.. أليس الأولى بالإمـام المهدي الذي ستقوم دولته وفق تخطيط إلهي تنتظره البشرية، وتنتهي عنده مسـارات الحضارات البشرية طوال التـاريخ أن يكون ضمن هذا الاستثناء؟

• دولتان علويتان:

والملفـت للنظر أن المثـالـين الذين ضربهما ابن خلدون يرجعان إلى قيادة تنتمي إلى الأسرة النبوية العلويـة، فأولاهما تحققت على يد الثـائر إدريس حفيد الإمـام الحسن المجتبى عليه السلام القـادم وحيداً مـن المدينة المنورة إلى بقعة من الأرض تخلو من عشـيرته، فلما عرف أهل تلك البلاد أنه من نسل رسول الله وعلي وفـاطمة نصروه على ظلم العباسيين. والثانية دولة الفاطميين التي تكرر فيها المشهد من خلال نصرة أهل تلك الأصقاع لرجل من آل البيت.

وأعتقد أن السبب في ذلك هو ما رسخته العقيدة الإسـلامية من قيمة كبرى للولاء لآل البيت ولمحبتهم، بحيث يكون عاملاً مهماً في نجاح دعواتهم



يواجه مجتمعنا مجموعة من التحديات الاجتماعية والفكرية والسياسية والتي تهدد ثوابتنا الوطنية وهويتنا الثقافية وتزعزع قيم المواطنة والولاء ..

وقيام دولهم، والأمر الآخر هو تجذّر المهدوية في العقيدة الإسلامية، هذا الأمر الذي لم يأت من فراغ، بل من خلال نصوص حفظها المسلمون، وورّثها كل جيل لما يليه من أجيال.

• الأحاديث المهدوية:

أما اهتمام المسلمين الشيعة بأحاديث المهدي فذلك واضح، وأما عند المسلمين من أهل السنة فقد نقل ابن حجر العسقلاني عن كتاب مناقب الشافعي: (تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة، وأن عيسى يصلي خلفه). وأضاف ابن حجر نفسه في شرحه لصحيح البخاري: (وفي صلاة عيسى خلف رجل من هذه الأمة مع كونه في آخر الزمان وقرب قيام الساعة دلالة للصحيح من الأقوال أن الأرض لا تخلو عن قائم لله بحجة).

وأما عند السلفية فقد قال ابن تيمية في كتابه منهاج السنة النبوية ج٨: (إن الأحاديث التي يُحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة رواها أبو داود و الترمذي وأحمد و غيرهم من من حديث ابن مسعود و غيره).

• منهج التربية الإسلامية:

وبالتالي أعتقد أن جزء من المشكلة التي تطالعنا من حين لآخر في الإساءة إلى الإمام المهدي يعود إلى غياب دور مناهج التربية الإسلامية في تأصيل قضية المهدوية وعرضها بصورتها العامة المتفق عليها، مع التأكيد ضمناً على وجوب احترام القراءات المختلفة للمذاهب الإسلامية لهذه القضية، تلك القراءات التي لا تنفي أصل المسألة بل تؤكد أصالتها، وبما يرسّخ بالتالي مبدأ احترام الرأي الآخر الذي هو من الأهداف التربوية للمناهج المدرسية.

وقد صدرت ـ قبل سنتين ـ وثيقة عن وزارة التربية تحت عنوان (استراتيجية تكريس مفاهيم المواطنة والولاء والانتماء لدى النشء في المناهج الدراسية بدولة الكويت) والصادرة عن لجنة إعداد خطة استراتيجية متكاملة لتكريس مفاهيم المواطنة والولاء والانتماء لدى النشء في مناهج وزارة التربية.

ومما جاء فيها ما يلي: (يواجه المجتمع الكويتي الحالي مجموعة من التحديات الاجتماعية والفكرية



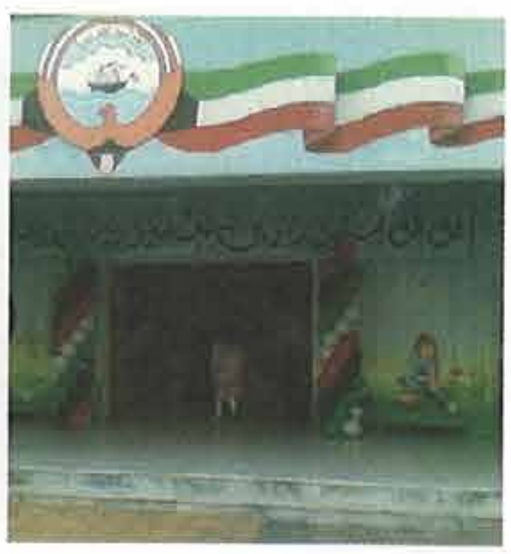

الخلل في منهج التربية الإسلامية ليس فقط في المفردات المتفرقة هنا وهناك، بل في استراتيجية المنهج الذي يفترض أن يُعتمَد في مجتمع يعيش تعددية مذهبية ..

والسياسية والإقليمية منها والعالمية والتي تهدد ثوابتنا الوطنية وهويتنا الثقافية وتزعزع قيم المواطنة والولاء والانتماء للوطن.. الاستراتيجة تأخذ بعين الاعتبار التأكيد على قيم الحوار وحقوق الإنسان والاتجاه لاحترام الرأي الآخر لدى النشء، واللجوء إلى الوسائل الديمقراطية لمعالجة الخلافات في الرأي وتعارض المصالح، وهو ما يمكّن الأبناء في المستقبل من علاج أهم مظاهر الخلل في الممارسة السياسية في المجتمع).

ثم تذكر الوثيقة مواصفات المواطن الصالح، ومنها: (نبذ التعصب بأشكاله كافة، الإيمان بالتعددية الاجتماعية، احترام معتقدات الآخرين).

- خلل استراتيجي:

وعليه فإن الخلل في منهج التربية الإسلامية ليس فقط في المفردات المتفرقة هنا وهناك، بل في استراتيجية المنهج الذي يفترض أن يُعتمَد في مجتمع يعيش تعددية مذهبية.. ليحقق مجتمعاً يفهم معنى التعدد المذهبي ويحترم الرأي الآخر. ولو تم عرض القضايا المختلف فيها بصورة تعكس احترام الآراء المتنوعة لساهم منهج التربية الإسلامية في بناء جيل يحترم الآخر ولا يعيش الازدواجية في النظرة، فهو مطالب من خلال مادة التربية الوطنية أن يعيش مفهوم المواطنة الصحيحة، في حين أن الطالب السنّي يُدفع من خلال منهج التربية الإسلامية نحو ازدراء الآخر المشترك معه في المواطنة والمختلِف معه في المعتقد، ويُدفع الطالب الشيعي ليعيش مرارة الشعور بالتهميش وترسيخ عقدة المواطنة الناقصة.. فهل يتوافق هذا مع تلك الأهداف الاستراتيجية؟

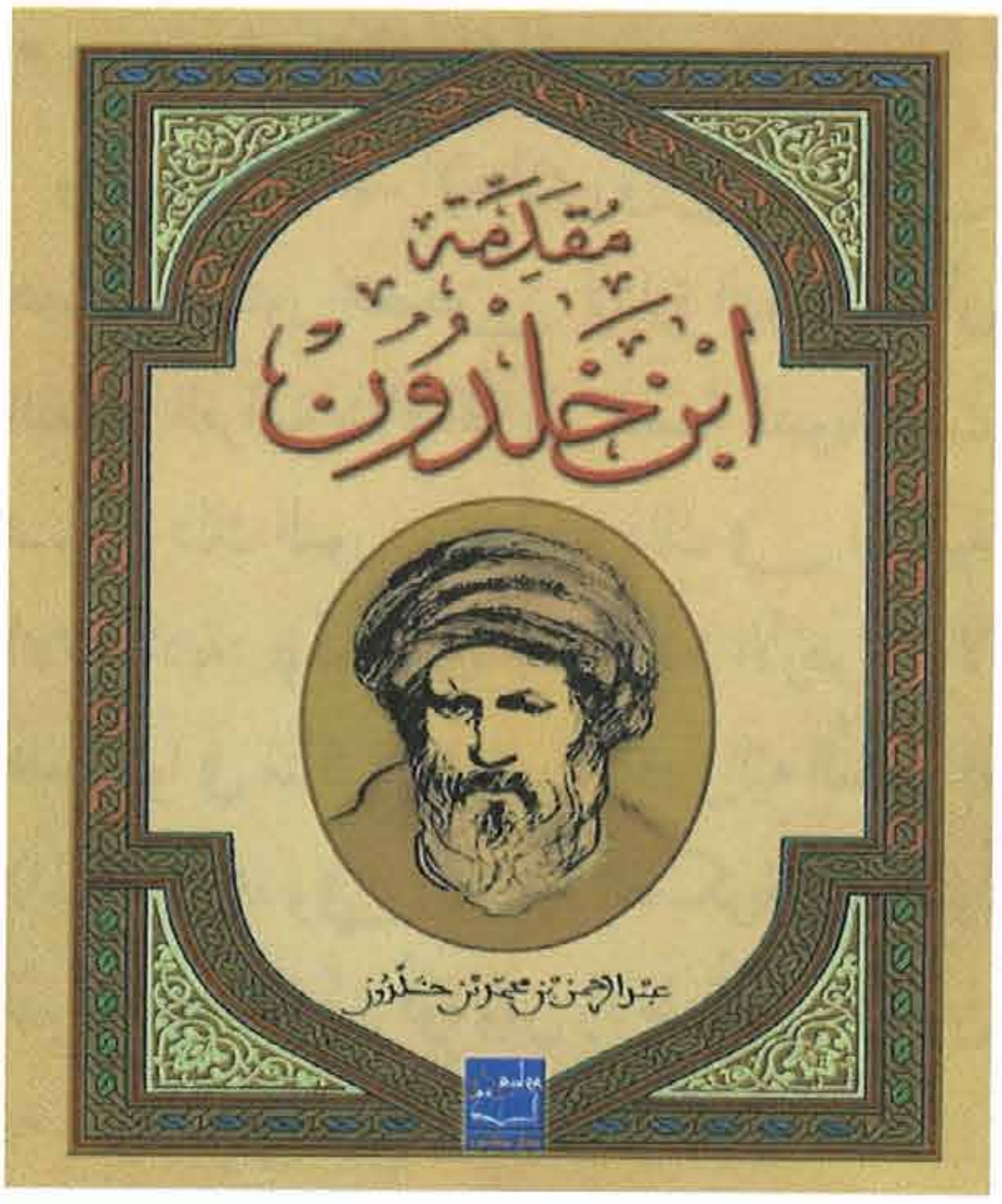

١٠ ربيع الثاني ١٤٣٣ هـ
٣ مارس ٢٠١٢ م

دولة القانون

التعاليم القرآنية بالإضافة إلى السنة النبوية كانت تؤدي دور الدستور في الدولة الحديثة، والأمثلة عديدة، وعمل على أساسها المسلمون ..

من أهم المرتكزات التي نهضت على أساسها كثير من الأمم والحضارات، واستطاعت أن تقدم شيئاً للبشرية على مستويات مختلفة ولمدة زمنية طويلة نسبياً هو قيام دولة القانون، بمعنى أن تصاغ القوانين التي تدار من خلالها الدولة، وأن يُعمل على تطبيق القانون على الجميع. على أن تراعي هذه القوانين شيئاً من العدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان والتنمية الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية وغير ذلك.

• دستور الدولة الإسلامية:

وفي بدايات العهد الإسلامي وإن لم يكن هناك دستور مخصص لإدارة الدولة، إلا أن التعاليم القرآنية بالإضافة إلى السنة النبوية كانت تؤدي ذلك الدور. ومن أمثلة ذلك في التنمية الاقتصادية: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك:١٥)، وفي التنمية العسكرية: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال:٦٠).

والأمثلة عديدة، وعمل على أساسها المسلمون، وحققوا نقلة نوعية لكيانهم، فمن كيان ضعيف يُستباح في مكة، ويبحث عن ملجأ آمن في الحبشة وسواها، ومن كيان يتربص به ألف مقاتل للقضاء عليه في غزوة بدر، يتحول ذلك الكيان الإسلامي إلى القوة العظمى في العالم.. قوة أسقطت دولة الفرس والروم.

• عهد أمير المؤمنين:

ثم جاء أمير المؤمنين علي عليه السلام وقدّم المبادئ الدستورية لإدارة الدولة في كتابه لمالك الأشتر حين ولاه على مصر، واشتمل على حقوق الإنسان وسبل التنمية وتحقيق العدالة وموقع القانون ودور السلطة القضائية والإدارية وسبل التنمية الاقتصادية وغير ذلك كثير. وما قدمه أمير المؤمنين في صورته الإجمالية لا يبتعد كثيراً عما تحتويه الدساتير المعاصرة من عناوين.

كل ذلك يحقق النعيم للإنسان.. نعيم القوة والأمن والاستقرار والرفاهية، وقد ذهب جمع من المفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ



يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ لا يخص النعيم الفردي كالمأكل والملبس، بل يشمل العدالة والأمن والاستقرار والقوة الاجتماعية وكل ما يعد نعمة وخير للإنسان كفرد أو كمجموع.

• تشريع وتطبيق:

وبما أن المسألة ليست مسألة تشريع فقط، بل مسألة التزام بالتشريعات أيضاً، لذا نجد النبي ﷺ يحذّر المسلمين من ذلك بعبارة تلخّص سنّة من سنن التاريخ، ففي الخبر أن امرأة من بني مخزوم ابتكرت طريقة للسرقة، بحيث كانت تستعير المتاع من الناس ثم تجحد ذلك وتنكر أنها استعارتها، فأمر النبي ﷺ بقطع يدها، فأتى أهلُها أسامة بن زيد فكلموه لمقامه من النبي، فكلم أسامة النبي فيها فقال له النبي: (يا أسامة، لا أراك تكلمني في حد من حدود الله عزّ وجلّ. ثم قام النبي خطيباً فقال إنما هلك من كان قبلكم بأنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه). فمتى ما تمت شرعنة تجاوز القانون والتساهل في تطبيقه، كان ذلك إيذاناً في بداية النخر ثم الضعف ثم الإنهيار والذي عبّر عنه النبي بقوله: (إنما هلك).

• كويت التنمية والتقهقر:

وفي العهد الحديث للكويت تحقق التقدم الملحوظ خلال سنوات قليلة، وكان وجود الدستور والرقابة الشعبية من أهم عوامل هذا





تعديل الدستور أمر حتمي، إلا أن اتخاذ القرارات في الاجواء الانفعالية التي تعيشها الكويت اليوم يفقدها عامل الحكمة المهم في الوصول إلى القرار الأمثل ..

الاستقرار والتنمية وامتداد النعمة، وبالطبع فإن هذا الدستور لا يمثل الطموح الأمثل، ولا يلبي رغبات الجميع بتوجهاتهم المختلفة، إلا أنه دستور توافقي حقق الكثير من الخير للكويت.

هذا لا يعني أنه لم تكن هناك تجاوزات على القانون وأن الحالة كانت مثالية، ولكن تنامي ذلك بصورة غير مسبوقة خلال العقدين الماضيين، والتجاوب مع ضغوطات ذوي المصالح الشخصية أو الفئوية أو الطائفية عطّل الكثير من القوانين المهمة، وأوجد البيئة الملائمة لتدمير سائر أسس دولة القانون، وهو جزء من حالة التقهقر التنموي الذي نعيشه، وقد قال ﷻ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال:٥٣).

ولذا فإن من أهم أسس عودة الكويت إلى المسار الصحيح في التنمية لابد أن يتم بالسيطرة النوعية على منابع الفساد وأيادي الحرمنة والنهب واستنزاف الطاقات وتطفيش المواهب، لأن الفساد في محيط ما سيفتح منافذ أخرى للفساد، ليتحول إلى ما يشبه السرطان الذي ينتشر ولا يفرّق بين كبير وصغير، ومن دون الحد من ذلك فإن مساعي التنمية ستدور في حلقات مفرغة، وستستنزف مكامن التمويل، وتتعطل المشاريع، وتتحول إلى مواد للسجال والصراع وتكوين مراكز القوى وغير ذلك.

• تعديل الدستور:

أما مسألة تعديل الدستور، فهو أمر حتمي وطبيعي لابد منه، إلا أنه بلحاظ كون اتخاذ القرارات في الأجواء الإنفعالية يفقدها عامل الحكمة المهم في الوصول إلى القرار الأمثل، وبالتالي فإن أية تغييرات على الدستور تُتخذ في هذه الأجواء الإنفعالية وغير المتزنة سياسياً التي نعيشها اليوم، سيؤدي إلى فقدان عامل الحكمة في تغيير مواد الدستور، بل وقد يكون إسهاماً في ترسيخ حالة التقهقر التنموي الذي ينخر في جسد الوطن، والتمزق الداخلي الذي يفتت أوصاله.

١٧ ربيع الثاني ١٤٣٣ هـ
١٠ مارس ٢٠١٢ مـ

الثبات كمعيار للتقييم

دور مجلس الأمة مهم جداً في ضبط الأداء الحكومي في إطار القضية الفلسطينية والتطبيع مع الكيان الصهيوني أما اليوم فالمجلس بعيد كل البعد عن الاهتمام بها ..

﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاء، أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ (إبراهيم:٢٧-٢٨).

الثبات على الموقف في ظل تضارب المصالح وتبادل الأدوار في الحياة من أصعب الأمور التي تواجه الإنسان العامل في الساحة السياسية أو الاجتماعية، كما أنها من أهم معايير التقييم للمصداقية في القول والعمل، ومن أوضح سبل انكشاف النوايا الخبيئة.. تلك النوايا والأعمال التي قد تبدّل نعمة الله، وتودي بالمجتمع إلى دار البوار كما ذكرت الآية الشريفة.

• القضية الفلسطينية المنسية:

القضية الفلسطينية في بعديها الإنساني والديني تعود مجدداً لتفرض نفسها على الرغم من التغييب الإعلامي العربي، فخلال ست سنوات من الحصار المفروض على قطاع غزة بشعبه المكون من مليون ونصف، الأمر الذي لم يشهد له التاريخ مثيلاً، مع سكوت عالمي - بل وتأييد أحياناً - لاستمرار هذا الوضع، في ظل ذلك استطاع هذا الشعب أن يكيف نفسه مع ظروف الحصار، ولكن الأمور لا تزداد إلا سوءً وبصورة تفوق الوصف. وقد كتب الأستاذ فهمي هويدي قبل أيام عن صور رهيبة من معاناة شعب قطاع غزة، حيث تحدث عن وصول الأمر ذروته بتوقف محطات توليد الكهرباء عن العمل قبل أسبوعين، ثم أعيد تشغيل بعضها جزئياً بوقود مهرب عبر الأنفاق قدّمته الحكومة المصرية. والتوقف عن توليد الكهرباء يعني التأثير على توفير المياه وعمل المستشفيات وغير ذلك.. وحتى الحكومة هناك اجتمعت على أضواء الشموع!

هذا كله يضاف إلى المعاناة المستمرة في توفير الغذاء والاحتياجات الطبية ومستلزمات البناء وغير ذلك.

• موقف الحكومة المصرية:

الغريب في الأمر موقف حكومة ما بعد الثورة المصرية مما يجرى فى غزة، ذلك أن الأوضاع التي كانت تُنتقد من قبل وتجري فيها تحركات على

الأرض من أجل تخفيف الحصار ما زالت قائمة اليوم، في الوقت الذي يستمر فيه الغاز المصري أيضاً يتدفق بسعر رمزي إلى الكيان الصهيوني، لكى ينعم الإسرائيليون بالضوء وبالدفء، بينما أهل غزة يعيشون فى الظلام ويرتجفون من البرد.. كل هذا ونحن نعلم أن من كان يحرك الأجواء على عهد الرئيس المصري المخلوع يمتلكون الآن قوة برلمانية وامتداداً شعبياً يستطيعون من خلاله الضغط للمساهمة في تغيير الأوضاع القائمة في غزة، كون المنفذ المصري هو الوحيد الممكن حالياً.

• تهديد المسجد الأقصى:

المشهد الآخر هو استمرارية التحرك الصهيوني ضد المقدسات الإسلامية، بما في ذلك تهديد المسجد الأقصى بصور مختلفة، مع تزايد الفتاوى الدينية اليهودية والتي تدعو إلى اقتحام المسجد وتقسيمه ومن ثم الشروع في بناء الهيكل. وقد تزايدت وتيرة الاعتداءات الصهيونية مؤخراً حتى اندلعت مواجهات عنيفة بين المصلين في المسجد الأقصى وبين الشرطة الإسرائيلية بعد أن هاجمت المصلين بالقنابل الصوتية والغازات المسيلة للدموع قبل أسبوعين.

من الواضح الصهاينة انتهزوا انشغال المنطقة بما يعرف بالربيع العربي، وزادوا من سرعة تنفيذ مخططاتهم في مختلف الاتجاهات، ففي خلال عام ٢٠١١ وقع ٨٩٣ اعتداء بحق الفلسطينيين، قتل فيها ١١٨ شخصاً، وتم تنفيذ ٥٣٥ عملية هدم لمنازل ومنشئات ومساجد، مع القيام بتنفيذ ٤٧٤ موقعاً استيطانياً جديداً، والاستمرار في بناء الجدار العازل.

• موقف مجلس الأمة:

دور مجلس الأمة في الكويت مهم جداً في ضبط الأداء الحكومي في إطار القضية الفلسطينية والتطبيع مع الكيان الصهيوني، وهو ما شهدناه في دورات سابقة، وتحملت الكويت ضغوطات خارجية هائلة ولكنها تجاوزتها في ذلك الوقت، وبقي الموقف الرسمي ثابتاً.

أما اليوم فالمجلس بعيد كل البعد عن الاهتمام بالقضية الفلسطينية بكل معطياتها الأخيرة في البعدين الإنساني والديني، وكأن كل ما كان يثار في السابق من خلال مظاهر الاحتجاج والمساعدات الإنسانية وتحريك القضية إعلامياً وبالسبل الأخرى إنما كانت توظَّف بهدف تحقيق مصالح معينة، لا الانتصار للقضايا من ناحية مبدئية.. ولما تحققت تلك المصالح تم تناسي القضية لتوضع في الأدراج، لعلها تحرّك من جديد متى ما تطلب الأمر ذلك.

هنا ندرك قيمة الثبات على الموقف - في الكويت وفي مصر - في ظل تضارب المصالح وتبادل الأدوار، وهنا تتضح أهمية كون الثبات معياراً لتقييم المصداقية وكشف النوايا.

٢٤ ربيع الثاني ١٤٣٣ هـ
١٧ مارس ٢٠١٢ م

الأثر الدنيوي للنية الصالحة

للنية الصالحة الدور المهم على المستوى الدنيوي، فهي عنصر أساس في تعزيز العمل ورفع مستوى نوعيته والإبداع فيه وتحمل المصاعب والصبر على التحديات ..

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام:١٦١-١٦٣).

عادة ما يتم الحديث عن قيمة النية في العمل أنها تنفع المؤمنين في يوم القيامة، باعتبارها من شرائط قبول الأعمال، وأن مستوى قيمة العمل في الآخرة يتوقف على النية، ففي الحديث النبوي: (إنما الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى) وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (إن الله يحشر الناس على نياتهم يوم القيامة).

• النية وتعزيز العمل:

إلا أن الأمر لا يقف عند هذا الحد، فللنية الصالحة الدور المهم على المستوى الدنيوي أيضاً، فهي عنصر أساس في تعزيز العمل ورفع مستوى نوعيته والإبداع فيه وتحمل المصاعب والصبر على التحديات، كما وتؤثر في شخصية العامل إيجاباً وتقوّي فيه الدافعية والعطاء واستشعار لذة ذلك.

• النية الخالصة لله:

وإذا كانت النية الصالحة لله وحده فإن نتائج ما سبق تتضاعف لأن:

١. الله محيط بالسر وما هو أخفى، ولأنه لا يعزب عنه مثقال ذرة، لا في ليل ولا في نهار، فلا يخشى الإنسان ضياع عمله لو جاء به في الخفاء، ولن يتوقف عند حدود الأعمال التي سيُمتدح عليها لاحقاً من قبل الناس، ومن هنا يكون عطاؤه مستمراً، سواء أكان مشهوراً أو خافياً: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموالَهم باللّيلِ وَالنَّهارِ سراً وَعَلانِيَة فَلَهُم أَجْرُهُم عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة:٢٧٤).

٢. الله لا يظلم الناس شيئاً، فإن العامل لن يقلق بشأن مردود عمله الصالح، فهو محفوظ له لا محالة، ولن يهمه لو أخطأ الناس تقييم عمله جهلاً منهم أو عناداً أو حسداً، وقد قال الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: (يَا هِشَامُ، لَوْ كَانَ فِي يَدِكَ جَوْزَةٌ وَ قَالَ النَّاسُ لؤلؤَة مَا كَانَ يَنفعُكَ وَ أَنتَ تَعلَمُ أَنهَا جَوزة وَ لَو كَان فِي يدِكَ لؤلؤة وَ قَال النَّاس إِنهَا

جَوْزَةٌ مَا ضَرَّكَ وَ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهَا لُؤْلُؤَةٌ).

٣. الله وعد من يعمل لوجهه أن يسدده ويبارك في عمله ويضاعف آثاره: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٦١).

٤. من يعمل لله يحب أن يتخلق بصفاته، فالله بديع السماوات والأرض، فيتوجه الإنسان نحو الإبداع، ولأن الله جميل، فيصبغ الإنسان عمله بما هو جميل، ولأن الله أتقن كل شئ صنعاً، فيندفع الإنسان نحو الإتقان، وفي الحديث النبوي: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه).

• قصور الخطاب الديني:

وللأسف فإن طرح مثل هذه العناوين الأخلاقية والشرعية في خطابنا الديني يتم بصورة قاصرة، من خلال الاكتفاء بالبعد الأخروي وإهمال الجانب الدنيوي المتعلق بها، أو من خلال التركيز على البعد الشرعي البحت في تصحيح صورة العمل كالصلاة أو الصوم، مما أفرغ هذه العناوين القيمية من جانب مهم من عطاءاتها المقصودة أصلا في الشريعة الإسلامية، وانعكس بالتالي سلباً على منجزات الإنسان المسلم الذي لم يعد يفكّر إلا في جسد العمل ونسي روح العمل، فحدَّق في جانب من الصورة وغفل عن اللوحة بأكملها فغاب عنه المعنى، فلم يخرج من عمله إلا بالقليل، أو حدّق في ظاهر العمل وأغفل النية، بينما يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: (قيمة المرء ما نوى).

• التقييم السليم:

إن تقييمنا للآخرين لا ينبغي أن يتوقف عند ظاهر العمل، لأن القيمة لا ترتبط بالعمل فقط، بل بالنية، لا بمعنى الاكتفاء بحسن النية وإن لم يعمل الإنسان، أو أن يأتي بما هو سلبي.. بل بمعنى أنه لا يكفي للحكم على العمل بالصلاح من خلال نوعه، بل لابد من اعتبار الدافعية أيضاً، الأمر الذي يغيب عن الكثيرين عند تقييمهم لمواقف السياسيين، فتجرّهم التصريحات عاطفياً، وينخدعون ببريق الشخصية، وبالعناوين والشعارات التي تدغدغ مشاعر الجماهير الموالية لدينها والمحبة للعدالة والمتشوقة للتنمية والمتعطشة للحرية، ليتبين لهم في نهاية المطاف أن المسألة لا تعدو أن تكون واجهة لتحقيق منافع شخصية أو فئوية لا تحقق سوى المزيد من التراجع والتخلف والتشرذم والانحراف عن الفطرة الإنسانية السليمة والدين القويم.



٢ جمادى الأول ١٤٣٣ هـ
٢٤ مارس ٢٠١٢ م

انتحار أمينة !

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَآءَ كَرْهـاً وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾ (النساء:١٩).

في الوقت الذي تعالج فيه الآية مشكلة عهدتها المجتمعات الجاهلية، وعايشها المجتمع الإسلامي المعاصر للنبي ﷺ، وتنطلق من استضعاف الرجل للمرأة - بما في ذلك الزوجة - من خلال قوته الجسدية أو تفوقه العنواني كزوج أو أب أو أخ، وذلك بالضغط عليها للاستيلاء على نصيبها من الإرث، أو لدفعها للتنازل عن مستحقات مهرها من المؤخر أو سواه.. في هذا الوقت فإن الآية تقرر أن هذا التصرف يعتبر أكلا للمال الحرام، وممارسة للظلم، وخروجاً على الإطار المفترض في العلاقة الطبيعية بين الرجل والرمأة والمتمثل في قوله ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

• أطر العلاقة:

وبالتالي فالتشريع والقيم الأخلاقية أيضاً يحددان للرجل المؤمن أطر العلاقة الإنسانية الإسلامية التي تربطه بالمرأة كزوجة أو ابنة أو أخت أو غير ذلك، على أن لا يكون ضعف المرأة أساساً لحرمانها، ومبرراً لاضطهادها... هذا الرادع الداخلي عنصر أساسي ومقدَّم في الرؤية الإسلامية لتحقيق الأمن الاجتماعي، لأنه هو القوة الحقيقية ضمن وسائل الردع المتنوعة كتشريع القوانين والعقوبات وما إلى ذلك.

التشريع والقيم الأخلاقية يحددان للرجل المؤمن أطر العلاقة التي تربطه بالمرأة كزوجة أو ابنة أو أخت أو غيرٍ ذلك، على أن لا يكون ضعف المرأة أساساً لظلمها ..

• استثناء:

نعم تستثني الآية حالةً واحدةً وهي فيما لو ارتكبت الزوجة الزنى، ففي مثل هذه الحالة، يمكن للرجل ممارسة بعض ألوان الضغط لتفتدي ذلك بمالها من المهر كلاً أو بعضاً، كعقوبةٍ لها على هذا الانحراف من جهة، أو كتعويضٍ للرجل عما أنفق عليها فيما سبق، أو كتعويض نفسي واعتباري نتيجة إساءتها إلى مشاعر الكرامة والشرف عنده.

• شر وخير:

على العموم رسمت الآية معالم المنهج العام لطبيعة العلاقة بين الإثنين وهي (المعاشرة بالمعروف) التي



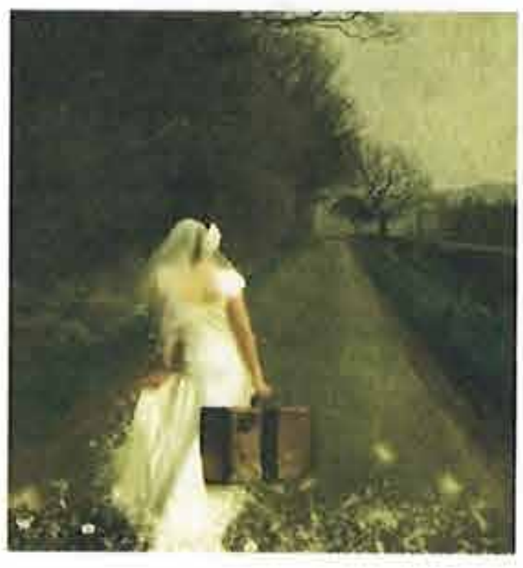

يقول الله للرجل: كن موضوعياً وأنت تحكم على الأمور والأشخاص، وليكن العدل منهجك، لأنه إذا غلب الانفعال فستغيب الحكمة ويخطئ الرجل التقدير ..

تتمثل في احترام المرأة في مشاعرها وعواطفها وشخصيتها المستقلة كإنسانة محترمة في إرادتها وتفكيرها.. ثم تلتفت الآية إلى مسألة أخرى في نفس الإطار ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيئاً وَيَجعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾ فقد تكون تلك المشاعر السلبية أمراً طارئاً نتيجة موقف أو حالة انفعالية تحجب عن الرؤية كل الإيجابيات الأخرى التي يعرفها الإنسان أو ستكشفها الأيام، والمتمثلة في شخص الطرف الآخر، أو فيما يتعلق بتربية الأبناء الذين هم بحاجة إلى رعاية الأبوين معاً لتكون التربية متكاملة.. فإذا غلّب الإنفعال فسيخيّل له أن الخير شرٌ والشرّ خيرٌ، وتغيب الحكمة ويقترب من التصرف الخاطئ.. ولهذا يقول الله للرجل: كن موضوعياً وأنت تحكم على الأمور والأشخاص، وليكن العدل منهجك في ذلك كله.

• العنف الذكوري:

والآية في معرض معالجتها لهذه المشكلة إنما تتعرض أيضاً لنموذج من ظاهرة العنف الذكوري ضد المرأة مشكلة عالمية دفعت الجمعية العامة للأمم المتحدة كي تعلن يوم ٢٥ نوفمبر من كل عام يوماً دولياً للقضاء عليها. وقد عرَّفت الجمعية العامة للأمم المتحدة العنف ضد المرأة بأنه: (أي اعتداء ضد المرأة مبني على أساس الجنس، والذي يتسبب بإحداث إيذاء أو ألم جسدي، أو جنسي، أو نفسي للمرأة، ويشمل أيضاً التهديد بهذا الاعتداء أو الضغط أو الحرمان التعسفي للحريات، سواء حدث في إطار الحياة العامة أو الخاصة).

• صورة مصغرة:

ولتقريب صورة حجم المشكلة نرجع إلى الصورة المصغرة التي نشرتها منظمة العفو الدولية عام ٢٠٠٤، إذ لو اعتبرنا أن المجتمع البشري المعاصر تلخص في قرية عالمية تضم ١٠٠٠ نسمة وأن (٥٠٠ منهم من النساء، فإنه يفترض أولاً أن يكون عددهن ٥١٠، لكن ١٠ منهن لم يولدن قط بسبب الإجهاض الانتقائي القائم على الجنس أو لأنهن توفين في الطفولة بسبب الإهمال) (١٤٥ من النساء يعشن على أقل من دولار واحد في اليوم، ١٦٧ من النساء سيتعرضن





جاء في دراسة لمجلس الأمة أن الإيذاء الجسدي والعاطفي يأتي من حيث المرتبة كثاني أهم الأسباب المؤدية إلى الطلاق في الكويت تحت بند الأسباب السلوكية ..

للضرب أو للعنف بطريقة أخرى خلال حياتهن) (١٠٠ من النساء سيقعن ضحايا الاغتصاب أو محاولة الاغتصاب في حياتهن، ١٠٥ من النساء أميات).

• العنف الذكوري والطلاق:

جاء في دراسة لمجلس الأمة الكويتي ٢٠١٠ أن الإيذاء الجسدي والعاطفي يأتي من حيث المرتبة كثاني أهم الأسباب المؤدية إلى الطلاق في الكويت تحت بند (الأسباب السلوكية المتعلقة بالزوجِ أو الزوجة)، حيث جاءت الخيانة الزوجية أولا ثم (الإيذاء الجسدي مثل الخشونة والعنف والضرب، والإيذاء العاطفي مثل اللامبالاة والسخرية والإهانة والشتائم).

• أسباب العنف الذكوري:

تتعدد أسباب عنف الرجل تجاه المرأة، ومنها:

ـ غياب وازع التقوى الذي يمثل صمام الأمان في العلاقات الإنسانية، لاسيما التي يأمن فيها الإنسان من عقوبة القانون، علماً بأن التقوى لا تخص الإنسان المسلم فقط، بل نجد الحديث القرآني عن التقوى بصورة أكثر شمولية، قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء﴾ (النساء:١).

ـ غياب المعايير الأخلاقية عموماً في العلاقات الاجتماعية، تأسيساً أو معرفةً.

ـ تفريغ شحنات الغضب بموازاة الشعور بالتفوق الجسدي.

ـ ترسّخ النظرة الدونيَّة للمرأة تحت العناوين التالية: (المرأة ضلع أعوج ـ إنسان من الدرجة الثانية ـ من المخلوقات المسخرة للرجل ـ ملكية خاصة بالرجل كالزوج أو الأب ـ حاجتها لأنفاق الرجل عليها).

ـ تعاطي الكحوليات والمخدرات.

ـ جهل الزوج والزوجة بحقوق الزوجة وواجباتها، وطبيعة العلاقة التي ينبغي أن تحيط بأجواء بيت الزوجية.

ـ استسلام المرأة لعنف الرجل استسلاماً مطلقاً، مما يشجعه على التمادي.

ـ عقد نفسية من قبيل شعور الرجل بتفوق المرأة





عايشنا خلال الأيام الماضية إثارة الذكرى السنوية الأولى لانتحارٍ (أمينة الفيلالي) ذات الخمسة عشر ربيعاً بسبب إجبارها قانوناً على الزواج من مغتصبها ..

عليه في المستوى العلمي أو الوظيفي مثلاً، أو ردود فعل من الرجل لبعض صور عنف المرأة ضده، كعنف الأم تجاه أبنائها الذكور أثناء طفولتهم.

ـ دور وسائل الإعلام في تدعيم هذا التمييز.

ـ استفزاز المرأة للرجل (زوجاً أو أباً أو أخاً أو ابناً أو غير ذلك) نتيجة الجهل في أسلوب التعامل، أو لغير ذلك.

ـ غياب التشريعات التي تحمي المرأة، وحضور قوانين وتشريعات تسمح بممارسة هذا العنف، أو التقصير في تنفيذ القوانين المجرّمة له، مما يدفع المرأة للامتناع عن اللجوء إلى القانون، وتقوّي الرجل بهذا الخلل. وقد عايشنا خلال الأيام الماضية إثارة الذكرى السنوية الأولى لانتحار الفتاة المغربية (أمينة الفيلالي) ذات الخمسة عشر ربيعاً بسبب إجبارها قانوناً على الزواج من مغتصبها، الأمر الذي لم تتحمله فانتحرت!

• معالجة الظاهرة:

ومما سبق يتضح أن المعالجات يجب أن تتنوع، لتنوع أسبابها وأطرافها، وهي بالتالي لن تقضي على المشكلة بل ستخفف من حدتها بشكل كبير، ومن أهمها:

١. معالجة أخلاقية قيمية بترسيخ حالة التقوى والردع الذاتي عند الإنسان

٢. معالجة توعوية للرجل والمرأة حول المفاهيم الخاطئة التي ذكرنا بعضها

٣. معالجة قانونية بسن تشريعات من شأنها التقليل من هذه الظاهرة، وتقريع المعتدي، على ألا تكون متعارضة مع التشريعات الإسلامية الأولية في إطار الحقوق والواجبات الزوجية، وولاية الأب على ابنته، وغير ذلك

٤. معالجة اقتصادية بدعم الحقوق الاقتصادية والاجتماعية للمرأة الفقيرة أو ذات الدخل المحدود

٥. إعادة صورة العلاقة الزوجية لوضعها التكويني الذي تحدث عنه القرآن الكريم بقوله ﷻ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم:٢١).

٩ جمادى الأول ١٤٣٣ هـ
٣١ مارس ٢٠١٢ مـ

بين القبر و البرزخ

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (المؤمنون:٩٩-١٠١).

وردت كلمة البرزخ في القرآن الكريم ٣ مرات، واحدة منها تتعلق بعالم ما بعد الموت إلى قيام الساعة، وهي الآية المتقدمة التي تؤكد وجود مرحلة هي بمثابة الحاجز والفاصل بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة.. والتعبير بـ (وراء) للدلالة على أمر مستقبلي تعبير لطيف نستعمله في اللهجة العامية أيضاً، وكأن البرزخ شيء يلاحق الإنسان حتى يصل إليه فيحيط به ويستحوذ عليه.

• مفاهيم خاطئة:

هناك مجموعة من المعلومات والمفاهيم الخاطئة العالقة بهذه الحقيقة التي نص عليها القرآن وأجمع عليها المسلمون، وتترتب عليها أيضاً بعض التصرفات الخاطئة أو الأحكام الصادرة من الإنسان والتي لا أساس شرعي لها، من قبيل قرع القبر بقطعة حجر عند زيارته.. ادعاء خروج النار أو الدخان من باطن القبر.. الحكم على صاحب القبر بالعذاب عند رؤية الكلاب وهي تحفر القبر أو الحشرات وقد اسستوطنته أو العقارب وهي تحوم عنده وما إلى ذلك.

• تصحيح التصورات:

لابد بداية من التنبيه على أمرين:

١. أن للإنسان بُعداً مادياً وبُعداً روحياً التقيا في بدء وجوده ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِن حَمَإٍ مَسْنُونٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر:٢٨-٢٩)، ومن خلال الموت يحدث الانفصال مجدداً.

٢. أن استعمال كلمة (قبر) في الأحاديث المروية في كتب المسلمين يختلف معناه بحسب المورد، فتارة يكون المراد هو تلك الحفرة التي يوضع ويُدفن فيها الإنسان، وتارة يراد منها المرحلة الوسيطة بين الدنيا والآخرة (البرزخ) دون أن يكون ذلك مرتبطاً بتلك الحفرة.

استعمال كلمة (قبر) في الأحاديث تارة يكون المراد هو تلك الحفرة التي يوضع ويُدفن فيها الإنسان، وتارة يراد منها المرحلة الوسيطة بين الدنيا والآخرة ..

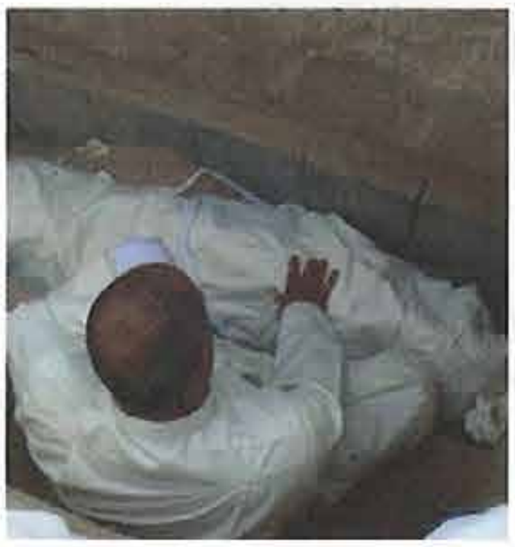



قال المفيد أن عذاب الكافر في قبره ونعيم المؤمنين فيه يعني أن الله يجعل روح المؤمن في قالب في جنة من جناته ينعّمه فيها ، والكافر في قالب يعاقب به ..

وبالتالي عندما نأتي إلى الأحاديث التي تتناول النعيم في القبر والعذاب فيه، كما في الحديث النبوي: (مرَّ عيسى بن مريم عليهما السلام بقبر يُعذَّب صاحبه، ثمّ مرَّ به من قابل فإذا هو ليس يُعذَّب، فقال: يا ربّ مررت بهذا القبر عام أوّل فكان صاحبه يُعذّب، ثمّ مررت به العام فإذا هو ليس يُعذّب؟ فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا روح الله إنّه أدرك له ولد صالح فأصلح طريقاً وآوى يتيماً فغفرت له بما عمل ابنه) فإننا بغض النظر عن صحة الحديث ذاته نحتاج إلى أن نفكر: هل المراد هو خصوص حفرة القبر، أم المراد عالم البرزخ بخصوصياته الغيبية؟

• دليل عقلي ونصي:

لكي تعرف الإجابة عليك أن تتصور المسألة في ضوء وجود ٢ مليار إنسان على الأقل لو ماتوا - اليوم - فإنهم لا يُدفنون أبداً وفق عقيدتهم، بل يُحرقون ويذرون في الهواء أو الماء أو يحتفظ بهم في آنية وما شابه.. فهل ينتفي احتمال العذاب بالنسبة إليهم لانتفاء وجود قبور لهم؟

ثم لاحظ هذا الحديث الذي يرويه البرقي في المحاسن بسنده عن جميل بن دراج قال: (قال أبو عبد الله - جعفر الصادق - عليه السلام: إن المؤمنين إذا أخذوا مضاجعهم أصعد الله بأرواحهم إليه، فمن قضى له عليه الموت جعله في رياض الجنة..). وواضح هنا أن لا مدخلية للجسد الموجود في القبر أو في أي مكان في تحقق ذلك النعيم، فهو متعلق بالروح.

• كلام الشيخ المفيد:

وللشيخ المفيد رحمه الله وهو من أعلام القرن الخامس الهجري كلام مفيد في هذا الباب حيث قال: (أما عذاب الكافر في قبره ونعيم المؤمنين فيه فإن الخبر أيضاً قد ورد بأن الله تعالى يجعل روح المؤمن في قالب مثل قالبه في الدنيا في جنة من جناته ينعّمه فيها إلى يوم الساعة.. والكافر يُجعل في قالب كقالبه في الدنيا في محل عذاب يعاقَب به، ونار يُعذَّب بها حتى الساعة.. وقد قال الله عز اسمه: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ﴾ وقال في قصة الشهداء: ﴿وَلاَ تَحسَبَنَّ

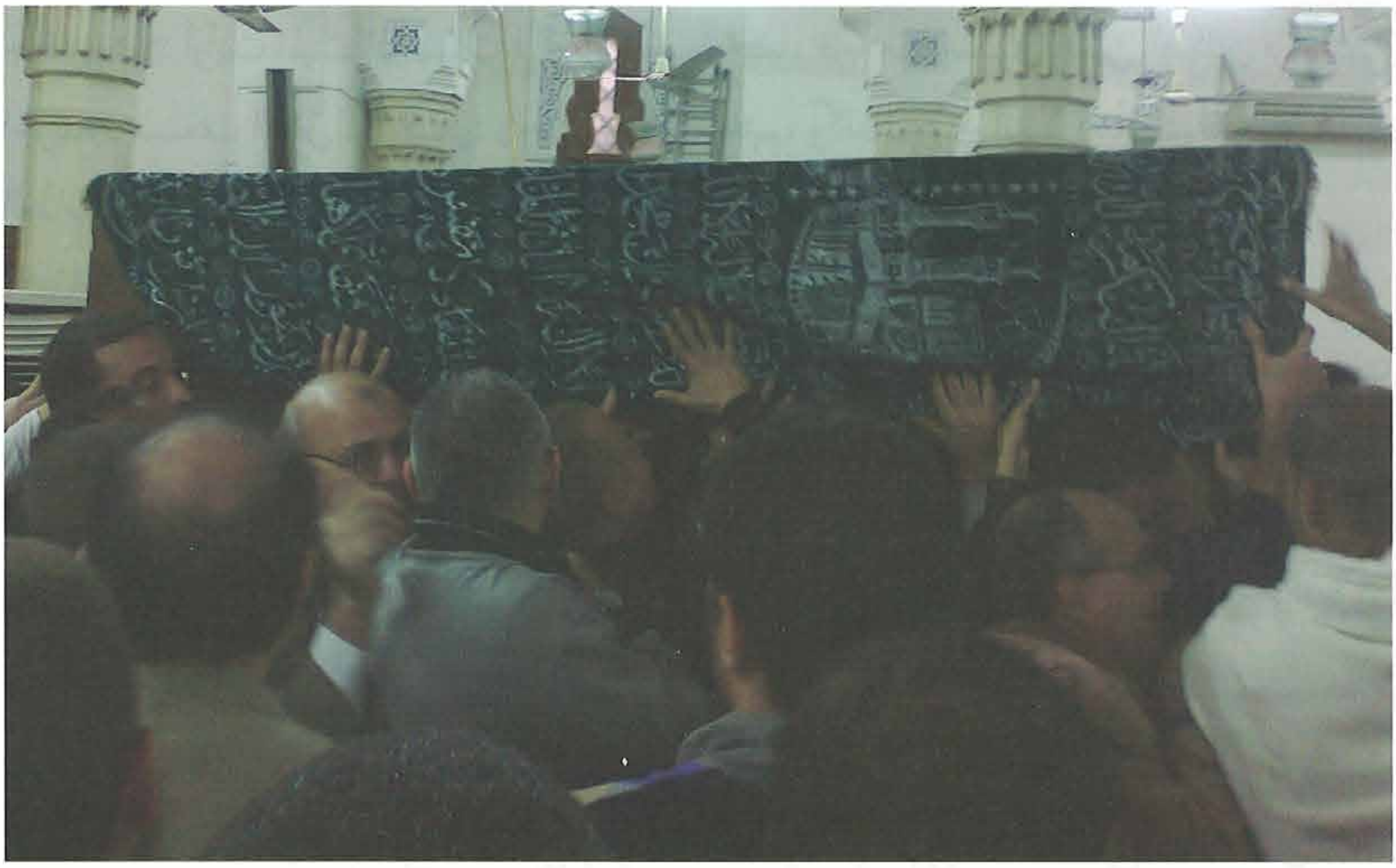

الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾).

• زيارة القبور:

ولذا فالأحاديث التي تنص على معرفة المؤمنين من أهل القبور بمن يزورهم - إن صحّت - فهي لا تعني أن الأرواح موجودة في القبور، بل هي في عالمها الخاص.. كما أن الأجساد بلا أرواح لا تدرك شيئاً.. وبالتالي فيكون المراد من ذلك أن الله يُطلع أرواحهم على هذه الزيارة، كنوع من التكريم للمؤمن الميت.

وقد تسأل هنا: إذاً ما جدوى زيارة القبور؟ والجواب أن ذلك يعود للزائر من خلال تذكّره الآخرة ومصيره المحتوم الذي ينتظره، فهو غرض تربوي مهم.. بالإضافة إلى كون القبر بنفسه رمزاً للميت، وزيارته تعني الوفاء لتلك العلاقة التي كانت قائمة بين الطرفين.

• أين هي الروح؟

والذي يبدو من جمع بعض الأحاديث مع بعضها البعض أن الروح تكون بالقرب من الجسد عند الموت، بحيث تطّلع على مراسيم التشييع والدفن وتبقى لفترة قصيرة ثم تغادر إلى عالمها، وفي الحديث أنّ النبيّ ﷺ يوم بدر نادى المقتولين من المشركين وقال: (هل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقّاً؟ فقيل: يا رسول الله إنّهم أموات فكيف تناديهم؟ فقال ﷺ: إنّهم أسمع منكم). ويبدو أن هذا يخص فترة زمنية قصيرة جداً من حين الموت.

ولربما يُفهم ذلك أيضاً من الحديث الذي رواه الكليني بسند معتبر عن زرارة قال: (قلت لأبي

جعفـر عليه السلام: أرأيت الميت إذا مـات لم تجعل معه الجريدة ـ سـعف النخل ـ ؟ قـال: يتجـافى عنه العذاب والحسـاب مـا دام العود رطبـاً، قـال: والعذاب كله في يوم واحد، في سـاعة واحدة، قدر مـا يُدخَل القبر ويرجـع القوم، وإنـما جعلت السـعفتان لذلك فلا يصيبه عذاب ولا حسـاب بعد جفوفهما إن شاء الله). والعذاب المقصود هنـا بحسب الظاهر هو ضغطة القبر والخوف الحاصل من الدفن. ولربما يقال أن اندفاع السؤال والضغطة والرهبة إكراماً للميت ولمن شهد له بالإيمان والعمل الصـالح بسبب مـا يكتب على السعفتين (حيث يكتب عدد من إخوانه المؤمنين شهادتهم له بإيمانه وصلاح حاله)، فيكون ذلك بمثابة الشهادة التي تغني عن سؤال الميت عن عقيدته وعمله.

• أغلب الموتى نيام:

هذا مع العلم بأن المـوت بالنسبة إلى أغلب الناس ـ بحسب الظاهر ـ بمثـابة نومة طويلة لا سـؤال فيها ولا ثواب ولا عقاب، ففي الكافي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: (إنـما يسـأل في قبره من محض الايمان محضا والكفر محضـا وأما ما سوى ذلك فيُلهى عنه).

وهذا مـا أكـده أيضـاً الشيخ المفيـد بقوله: (ليس يعذَّب في القبر كل ميـت، وإنـما يعذب من جملتهم من مُحّض الكفر محضـا، ولا ينعّم كل ماض لسـبيله، وإنـما ينعّم منهم من محض الايمان محضا، فأما مـا سـوى هذين الصنفين فإنه يُلهى عنهم، وكذلك روي أنه لا يسأل في قبره إلا هذان الصنفان خاصة).

• خطط لمستقبلك:

ختاما نؤكد على أن الموت ومـا بعده غيب بالنسبة إلينا، ولذا فإن حقائقه خافية علينا، وما وصلنا بشكل صحيح وأكيد عن طريق الوحي هو الطريق للحصول على بعض تلك الحقـائق، وأن كثيراً مما يتداوله الناس من تصورات تترتب عليها بعض التصرفات الخاطئة إنـما منشؤها الأحاديث الضعيفة أو الموروث الشـعبي كذاك الذي نفـاه أئمتنـا عليهم السلام من ادعـاء أن أرواح المؤمنين في حواصل طيور خـضر، وأن هذه الطيور تزور أهل الميت، حيث قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام مستغرباً: (سبحان الله، المؤمن أكرم على الله من أنْ يَجعلَ روحه في حوصلة طير).

كما ونؤكد على أن ما يهمنا هنا أن نسـعى من خلال إيماننـا وتقوانا وعملنا الصـالح أن نكون من المؤمنين الذين لا ينالـون إلا رضوان الله سبحانه في ذلك العـالم كما قـال عز وجل: ﴿أَحْيَـاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِه وَيَسْتَبْـشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُـونَ، يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمـران:١٦٩-١٧١).

١٦ جمادى الأول ١٤٣٣ هـ
٧ إبريل ٢٠١٢ مـ

الخرافة السياسية

الإيمان بالقومية بصورتها المتطرفة من صور انعكاسات الإيمان بخرافة الاعتقاد بأفضلية عنصرٍ ما، فالقومي المتطرف يؤمن بتفوق عنصره والاستعلاء على الآخرين ..

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣).

في عام ١٩٥٠ أطلقت اليونسكو من باريس وثيقة تتضمن أن التمييز العنصري والإيمان بالجنس الأفضل (مجرد أسطورة اجتماعية قبل أن تكون ظاهرة بيولوجية، هذه الأسطورة التي كانت السبب حتى الآن في إلحاق المزيد من الخسائر الإنسانية والاجتماعية، وأدت في السنوات الأخيرة إلى القضاء على الكثير من الناس، وأصابت البشرية بآلام وعذابات لا توصف. وتسببت هذه الظاهرة في إعاقة الملايين من الناس عن التطور الطبيعي، وحرمت الحضارة الإنسانية من تلاقح الكثير من العقول البناءة).

• خرافة اجتماعية:

هذه الأسطورة والخرافة الاجتماعية تتلخص في الاعتقاد بأفضلية عنصرٍ ما.. ليستتبعه استعلاء هذا العنصر على من سواه.. ثم إعطاؤه الحق بالاعتداء على من هو دونه واستغلاله بزعم أن تكامل الإنسانية والتقدم البشري يتوقف على ذلك!

وقد ولدت هذه الخرافة الاجتماعية خرافة سياسية بنفس المضمون.. فنشأت أفكار وتوجهات سياسية خطيرة اعتُبرت (فلسفات ومذاهب سياسية) كالنازية والفاشية والصهيونية، لتتحول بعد ذلك إلى كيانات تحكم دولاً تدعو إلى (التطهير العرقي)، وهو تعبير خبيث يستتر خلف مدلول الطهارة ويختزن ارتكاب المجازر البشرية!

• القومية المتطرفة والشوفينية:

وما الإيمان بالقومية بصورتها المتطرفة إلا من صور وانعكاسات الإيمان بتلك الخرافة الاجتماعية السياسية، فالقومي المتطرف يؤمن بتفوق كل من ينتمي إلى قوميته، وحقهم في الاستعلاء على الآخرين وتسخيرهم لمصالحه ولو بالقوة.

وهكذا الحال في الوطنية بصورتها الشوفينية، حيث يبالغ الوطني المتعصب في شعوره بذلك الانتماء بالمستوى الذي يحوّله إلى حالة احتقار واستعداء للآخرين انطلاقاً من النظرة الدونية





قد يتحول الانتماء إلى دين أو مذهب إلى حالة عنصرية تسعى للتدمير والتسخير لا للهداية ولا للتعايش، وهي خرافة ناشئة من الاعتقاد بخرافة شعب الله المختار ..

إليهم، ومن ثم الدخول في صراعات لا تعرف حداً، فكل ما له علاقة بهذا الوطن يمثل الحق مهما كان باطلاً في القوانين السماوية والوضعية. وأقرب مثال على ذلك ما قام به المقبور (صدام) من مسخ مفهوم الوطنية والمواطنة ليحولها إلى عقيدة شوفينية دمّرت العراق وكلفت المنطقة بأسرها أثماناً باهظة.

• القبلية والتعصب الديني:

والقبلية حين تغدو سبباً لتعالي قبيلة على سائر القبائل بشعار عز القبيلة هي من صور الإيمان بتلك الخرافة أيضاً، وعندها تسمح لنفسها بالإغارة والسبي والهجاء في الشعر والطعن في الأعراض وما إلى ذلك من الصور التي شهدها التاريخ في أحقاب متعاقبة.

وقد يتحول الانتماء إلى دين أو مذهب إلى حالة عنصرية تسعى للتدمير والتسخير لا للهداية ولا للتعايش، ففي سفر (التثنية) من العهد القديم: (وحين تقرب مدينة لكي تحاربها استدعها للصُلح، فإن أجابتك للصلح، وفُتحت لك، فكل الشَّعب الموجود فيها يكن للتَّسخير ويُسْتَعْبَدُ لك، وإنْ عَمِلَتْ معك حرباً، فحاصرها، وإذا دفعها الرَّبُّ إلهُكَ إلى يَدِكَ؛ فاضرب جميع ذكورها بحدِّ السَّيف، وأما النِّساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة، كل غنيمتها، فتغنمها لنفسك، وتأكل غنيمةَ أعدائِك التي أعطاها الرب إلهُك، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة التي ليست من مُدُنِ هذه الأُمَم، وأمَّا مُدُنِ هذه الشُّعوب التي يُعطيكَ الرَّبُّ إلهُكَ نصيبًا فلا تستبقِ منها نسمةً واحدةً). وما هذه النظرة العنصرية وهذه الروح التدميرية إلا من خرافة شعب الله المختار التي يؤمن بها اليهود، والتي شهدنا بعض صورها قريباً في الحالة الطالبانية ومنهج القاعدة في أفغانستان وفي العراق وغيرهما.

• المشهد في الكويت:

ومن يرقب المشهد الاجتماعي والسياسي في الكويت يشعر بقلق من التنامي المطرد لخرافة التميز العنصري والشوفينية والتعصب القبلي وحتى الديني والمذهبي، وما الثمن من وراء لك

إلا المزيد من صور الصراع والتدمير لكل مـا هو خير ولكل ما هو جميل في هذا الوطن المسـكين الذي أراد حكماؤه في وقت ما من خلال الدستور في نص المادة (٢٩) منه أن يؤكدوا مبدأ إنسـانياً إسلامياً سامياً حيث جاء فيه: (الناس سواسية في الكرامة الإنسانية وهم متساوون لدى القـانون في الحقوق والواجبات العـامة، لا تـمييز بينهم بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين) وقد قال نبينا الأكرم ﷺ في أخريات حياته المبـاركة وأمام تجمع هائل من الناس: (الناس كلهم سواء كأسنان المشط.. يا أيها الناس كلكم لآدم وآدم من تراب.. لا فضـل لعربي على عجمي إلا بالتقوى) أفضلية لا تعني احتقار الآخر، بل تعني توظيف مـا عندك من عناصر الخير ليشاركك فيه الآخرون.

ومن الطريف أن يأتي في المذكرة التفسـيرية التي هي بـمثابة امتـداد للدستور ومكمل له بأن: (المشرع لم يشـأ أن يضيف عبـارة [أو اللون أو الـثروة] رغم ورود مثل هذه العبـارة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسـان، وذلك لأن شبهة التفريق العنصري لا وجود لهـا في الكويت) ولا أدري ماذا سيكون موقف ذلك المشرع لو نظر إلى ما آلت إليه الأمور، فلعله كان يضيف في أصل المـادة الدستورية كل العنـاوين التي تـمزق اليوم هذا الوطن حتى بتنـا مصداقـاً لقوله سبحانه في بيان صورة من صور كفر النعم بعد وفورهـا على المستوى الإنساني والسيـاسي والاقتصادي والأمني والثقافي والتعليمي، قال ﷻ: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ، وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سبأ:١٩-٢٠).

• حكماء الكويت:

إنهـا دعوة لكل حكـماء الكويت، ولكل عقلاء هـذا الوطن، أن يتخلوا عن ذاتياتهم وعن عناوين انتماءاتهم التي تؤطرهم، وعن كل المصالح الشخصية والفئويـة التي تتحكم في مواقفهم وردود أفعـالهم، ليجلسوا على مائدة واحدة، ويضعوا خارطة الطريق للخروج بهذا الوطن من المأزق الذي وقع فيه، ومن الهاوية التي ينحدر إليهـا بصورة متسـارعة، بعيداً عن فلسـفـات التنظير، وقوانين التأزيم، وحتى عن البرلمانيين (الذين للأسف لم يعودوا غالباً سوى عناصر تأزيم نزولاً عند ضغوطات أصوات الناخبين أو استجابةً لأجندات خارجية أو مصالح ضيقة) أم ستنتظرون إلى أن تغدو أوضـاعنا إلى ما آلت إليه أوضاع لبنـان والعراق وسوريا، ثم نبحث عمن يأتي إلينا من الخارج ليحل لنا مشاكلنا، وكلنا نعلم أن الآخرين سيضعون مصالحهم على سلم أولوياتهم فيما يعرضونه من حلول.. فـاعتبروا يا أولي الألباب.

٢٣ جمادى الأول ١٤٣٣ هـ
١٤ إبريل ٢٠١٢ مـ

سمو الزهراء

(مقتبس بتصرف من كتاب حياة فاطمة لمحمود شلبي)

روى الإمـام أحمد بن حنبل وآخرون عن ابن أعبُد أنه قال: (قال لي علي بن أبي طالب عليه السلام: يا ابن أعبد هل تدري ما حق الطعام؟ قـال: قلت: وما حقه يا ابن أبي طالب؟ قال: تقول بسم الله، اللهم بارك لنا فيما رزقتنا. قال: وتدري مـا شكره إذا فرغت؟ قال: قلتك وما شكره؟ قـال: تقول: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا. ثم قال: ألا أخبرك عني وعن فـاطمة؟ كانت ابنة رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت من أكرم أهله عليه، وكانت زوجتي، فجَرَت بالرحى حتى أثّر الرحى بيدهـا، وأسقت بالقربة حـتى أثرت القربة بنحرهـا، وقمّـت البيت حتى اغبرت ثيابُهـا، وأوقدت تحت القِدر حتى دنّست ثيابهـا، فأصابها من ذلك ضرر فقدم على رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسبي أو خدم. قال: فقلت لهـا: انطلقي إلى رسول الله فاسأليه خادما يقيك حر مـا أنت فيه. فانطلقت إلى رسول الله فوجدت عنده خدما أو خدّامـا، فرجعت ولم تسـأله، فذكر الحديث فقال: ألا أدلك على ما هو خير لك من خادم؟ إذا أويت إلى فراشك سبحي ثلاثا وثلاثين واحمدي ثلاثا وثلاثين وكبري أربعا وثلاثين. قال: فأخرجت رأسها فقالت: رضيت عن الله ورسوله، مرتين).

• سيدة نساء العالمين:

ها هنا تسمو سيدتي.. سيدة نسـاء العالمين.. ثم تسمو.. ثم تسمو.. حتى لا يلحقُها أحد من النساء.. مشاهدُ انفردت بها، فأعجزت النساء قاطبة..

مشهدُ حيـاتها في بيتهـا الذي يصفه زوجهـا عليه وعليها السلام بكلمات بسيطة تحمل دلالات كبيرة: (جرَت بالرحى حتى أثّر الرحى بيدها)!!

يا نساء العالم .. تعالين واشهدن سيدتكنِ أجمعين ماذا كانت تفعل.. ثم توارين خجلا وحياءً وإكباراً.. ثم قلن: ما هذا بشراً.. إنْ هذا إلا ملَك كريم.

ثم قلن كما قالت صويحبات يوسف: ما هذا بشراً.. إنْ هذا إلا ملَك كريم.

ومشهد آخر: حيث (سـقَت بالقربة حتى أثّرت القربة بنحرها)..

سيدتي.. أما كان أحـدٌ يكفيك مؤونة ذلك؟! أم هي روح رسـول الله تجري في وجودك الزاكي، فأبيت إلا أن تتحملي مسـؤوليـاتك بنفسك مهما امتدت الأيدي لتعينك؟

ومشـــهد ثالث: حيث (قمّـــت البيت حتى اغبرت ثيابهـــا)، ليس مرة أو مرات، ولكن هي هكذا باستمرار..

أسلوب طبيعي في حيـاتها الشريفة، تبـاشر كل أعمال البيت الشاقة باستمرار!

ومشـــهد رابـــع إذ (أوقدت القدر حتى دنّســـت ثيابَها) بكل ذلك الدخـان المنبعث وبحرارة المَوْقد المتصاعدة..

وحين سألت أباها خادماً يحمل عنها بعض المشاق.. أبى.. لا بُخلاً عليها بخادم.. وقد عزّ عليه أن يراهـا وقـد أرهقها حملها الكبير.. وهي الزهراء.. وهي في زهرة أيامها..

ولكنه أراد لها ما هو خير.. لا كما نفكر نحن من خلال معاييرنا المعوجة.. بل ما هو خير عند الله.. وما هو خـير بـمنطق القرآن.. ﴿الْمَـالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَـاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلا﴾.. فوجّهها إلى التسبيح.. إلى التصعيد.. إلى السمو..

بُنيّة فاطمة.. إذا أويتِ إلى فراشك سبّحي واحمدي وكبّري.. بعد كل ذلك العمل الشـاق والإجهـاد..

وقد أدّبني ربي من قبلُ فأحسن تأديبي حيث خاطبني: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً﴾..

وهكذا أنتِ.. حبيبتي فـاطمة.. إن لكِ في النهـار سبحـاً طويلاً.. عملاً شـــاقـاً.. وجُهداً جهيداً.. يستنزف قوة الإنسان.. ويُسلمه إلى التعب واليأس والتخلي عن مسؤولياته..

بُنيّة فاطمـــة.. أدّبني ربي أن ذلك السبح الطويل لا تقوّمه إلا تسابيح الليل.. ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ تسـابيح تحمل للإنسان معناها الروحي.. وعطاءها العملي..

وإذا كان الليل هو زمن الصفـاء والهدوء عندمـا تخـلد كل الموجـودات الحيّـة للراحة، ويبسـط الظـلام ظلّه على الأرض ليمنحها الاستغراق في الاسـترخاء الهادىء، فإن الكلمة عندمـا تتحرك فيه من بين الشفتين، تـمثل العذوبة والحلاوة والروحانيـة والصفاء والنقاء التي تفتح النفس على الحقيقة، فلا يشوبها غموض ولا تعقيد، ولا يقترب منها الباطل.. فتكون أقوم في المعنى، وفي الجوّ وفي الحركة، لأنها لا تنطلق من بين الضجيج، بل تتحرك من عمق الهدوء الذي يمنح الفكر انطلاقه وعمقه وامتداده في الحياة.

وبين تلك الكلمات.. ومع كل تلك المعاني.. حلّقت الزهراء في عليائها.. وسمت على كل ذلك الزخرف.. و نطقت نطقها الخالد: رضيت عن الله ورسوله .. رضيتُ عن الله ورسوله..

فارتفعَت بذلك مرتين.. لتكون فوق النساء جميعاً.. إذ صدّقت أباها.. ورضيت رضىً هو أكمل الرضى.. فما نطقها إلا الحق والحقيقة.. ومشهدٌ من مشاهد العُلى..

فالسلام عليكِ أيتهـا الصديقة الشهيدة ورحمة الله وبركاته.

٣٠ جمادى الأول ١٤٣٣ هـ
٢١ إبريل ٢٠١٢ م

لماذا نسينا الميثاق ؟

لما نسي بنو إسرائيل حقيقة توحيد الله وما تأسس من علاقة بين المؤمنين بهذه الرسالة ومنظومة الحقوق والواجبات فيما بينهم، استحكمت بينهم حالة العداوة والبغضاء ..

قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ (المائدة:١٤).

في هذه الآية حديث عن واقع أتباع الرسالة العيسوية (عليه وعلى نبينا وآله السلام) من بعده، فقد كان انتماؤهم إلى هذه الرسالة في الأصل انتماءَ عقيدة وانتماء عمل، وهذا هو الميثاق الذي أخذه الله منهم، أي أن يلتزموا مضمون هذه الرسالة اعتقاداً وإيماناً، وأن يلتزموها تطبيقاً للتكاليف المختلفة من قبيل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ، وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ (البقرة:٨٣-٨٤).

• نسيان الميثاق الإلهي:

ولكنهم بمرور الوقت وتبدل الظروف نسوا جانباً من الميثاق.. نسوا حقيقة توحيد الله، ونسوا صفاء العلاقة بالله، ونسوا ما تأسس من علاقة إنسانية سامية بين المؤمنين بهذه الرسالة، ونسوا منظومة الحقوق والواجبات فيما بينهم، واتَّبعوا أهواءهم ومصالحهم الضيقة.. فخرجوا من الأفق الرحب الذي يكفله الإيمان، وحبسوا أنفسَهم في كهوف العصبية. النتيجة الحتمية لما سبق كانت استحكام حالة العداوة والبغضاء الأبدية فيما بينهم، حتى وقعت الحروب وانتهكت الحرمات.. والتعبير بقوله: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء﴾ لا تعني الفعل الإلهي المباشر، بل ترتُّب النتيجة ضمن القانون والمعادلة الإلهية.

ولعل التعبير بـ ﴿الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء﴾ لا لمجرد التأكيد، بل للدلالة على أن الكراهية لم تقتصر على الجانب النفسي، بل وتعدته إلى الجانب العملي، لما تحمله الكلمة الأولى من دلالة على الجانب العملي بلحاظ اشتقاقها من (العدْو)، بينما تتضمن الكلمة الثانية الدلالة على الطابع النفسي والشعوري للأمر.

إلا أنه لا يخفى ما في كلمة (أغرينا) من دلالة على



اختلاق أطراف الصراع لعناوين محببة إلى النفس تبرر لهم مواقفهم العدوانية وتستدرجهم في ترسيخ حالة العداوة والبغضاء، من قبيل (الانتصار للعقيدة) و(أداء التكليف الشرعي).

• عبرة للمسلمين ولكن:

ولا تطرح الآية هذه القضية لمجرد ذم النصارى على الواقع البائس الذي وضعوا أنفسهم فيه، بل هو تحذير ضمني للمسلمين من مغبة تكرار ذات التجربة، وهو ما وقع للأسف الشديد، ولم يستطع المسلمون تجاوزه. فقد أخذ الله الميثاق من المسلمين بكل ما أخذه من النصارى في الجانب العقيدي والجانب العملي.

ومن تلك المواثيق قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ، وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ ثم يعقب ذلك بقوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ آل عمران:١٠٢-١٠٤. وجانب من الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الجهود المبذولة لتحقيق الاعتصام بحبل الله وتوحيد الكلمة والتعايش السلمي ومحاربة التعصب المذهبي.

• محاربة الوحدويين:

إلا أنه وللأسف الشديد كلما برز على الساحة الإسلامية من يتحمل هذه المسؤولية ويدعو إلى ذلك اتُّهم بالتنازل عن مبادئ مذهبه.. فإذا نهض

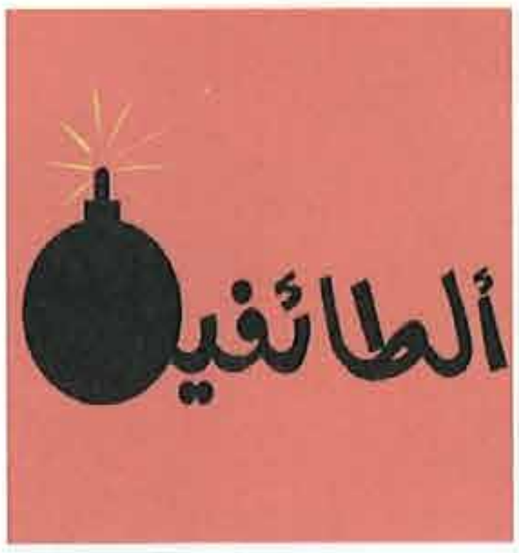

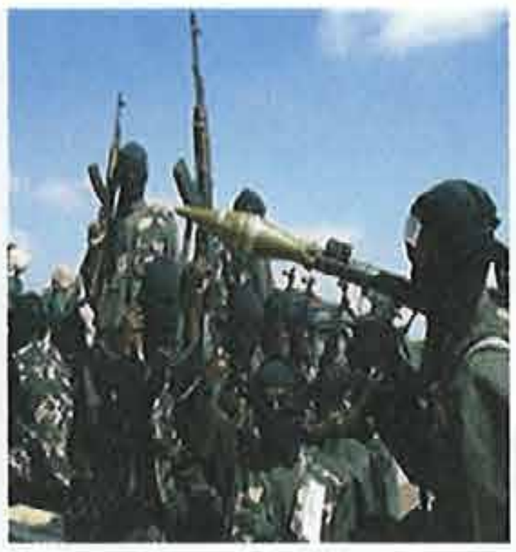

يحلو للبعض أن يزيّن ويشرعن مفردات الصراع.. فهذا رافضي دمه مباح.. والكتابي أهونُ خطراً منه.. وذاك لا يؤمن بولاية أهل البيت.. فلا حرمة له ..

من المسلمين الشيعة من يتحمل هذه المسؤولية هُدِّد بعصا التضليل، وإذا نهض من المسلمين السنة من يتحمل هذه المسؤولية اتُّهم بنشر التشيع.. حتى نسي الناس أن الإسلام الذي يجمع كل هذه التمذهبات هو الأساس، وأن المصلحة العليا للإسلام والمسلمين يجب أن تكون أولوية من أولويات كل مسلم، تماماً كما أكده أمير المؤمنين علي عليه السلام مراراً وتكراراً من قبيل قوله: (لقد علمتم أني أحق بها من غيري، ووالله لأسلّمنّ ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلاّ عليّ خاصّة، التماساً لأجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه) فليس هناك تراجع عن حق يؤمن به كل طرف وقام عليه الدليل عنده، بل هناك حكمة في الموقف وتجلي لروح المسؤولية بتقديم المصلحة الإسلامية العليا.

• تزيين الباطل:

وقد يحلو للبعض أن يزيّن ويزخرف ويشرعن مفردات الصراع.. فهذا رافضي دمه مباح.. واليهودي والنصراني أهونُ خطراً منه.. وذاك لا يؤمن بولاية أهل البيت.. فلا حرمة له، ولا قيمة لإسلامه.. وما هذا التزيين وما هذه الشرعنة إلا من مصاديق قوله: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.. والأمثلة كثيرة.

وبكل وضوح، إن الذين يدْعون لوحدة الكلمة ويسعون للتقريب والتعايش بين المسلمين هم الملتزمون بالنهج الإلهي حيث قال سبحانه: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ (آل عمران:١٠٥)، وهم المطيعون لرسول الله صلى الله عليه وآله القائل: (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً) وهم الموالون لنهج الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو المحذِّر: (احذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات بسوء الأفعال وذميم الأعمال، فتذكروا في الخير والشر أحوالَهم، واحذروا أن تكونوا أمثالهم.. واجتنبوا كلَّ أمر كسر فِقرتهم، وأوهن مِنَّتَهم، مِن تضاغن القلوب، وتشاحن الصدور، وتدابر النفوس،





أخبرنا الله في القرآن أن النبي محمداً برئ من أيِّ إنسانٍ يريد أن يفرّق بين المسلمين، وأن يشتّت جمعهم، وأن يفرِّق كلمتَهم، وأنْ يوقعَ بينهم العداوَة والبغضاء ..

وتخاذل الأيدي) أما من يعمد لمخالفة ذلك والتمرد عليه فإنما يتبع خطوات الشيطان ويخدم الأهداف الإبليسية كما قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ (الإسراء:٥٣).

• خدمة أعداء الإسلام:

وعلينا أن لا ننسى أن الفُرقة والتنازع إنما تخدم الذين يتربصون بالإسلام الدوائر ويسعون لتعزيز الصراع في ما بين المسلمين، أو أنها أحياناً قد تنطلق من عندهم، ومن خلال قابليتنا واستعدادنا للانسياق وراء تلك المخططات الشيطانية، نقع في شراكهم.

ففي سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ جاء أن شاباً يهودياً جلس بين الأنصار فذكرهم بصراعاتهم الجاهلية وأنشدهم بعض أشعارهم في ذلك، فتنازع الأنصار حتى قال أحدُهم: (إنْ شئْتُم والله ردَدْناها جَذْعَةً!) أيْ كما كانت وقْت نشُوبها، وقرروا المضي في الصراع فبلغَ ذلك النبي ﷺ فخَرَجَ إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهُم، فقال: (أبِدَعْوى الجاهليّة وأنا بين أظهركم؟ أبَعْد إذْ هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به وقطعَ به عنكم أمْر الجاهليّة واسْتَنْقذكم به من الكُفْر وألّف به بينكم، ترجعون إلى ما كنتم عليه؟!).

• النبي برئ منهم:

لقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.. فأنت يا محمد، يا رسول الله، أنت بريءٌ منهم، أنت برئ من انتمائهم إليك، هم لا ينتمون إليك، أيُّ إنسانٍ يريد أن يفرّق بين المسلمين، وأن يُشتّتَ جَمْعَهم، أن يفرِّق كلمتَهم، أنْ يوقعَ بينهم العداوَة والبغضاء، أيُّ إنسانٍ يسلك هذا السُّلوك فالنبي ﷺ برئ منه ومن فعله. وسنعالج في مقالة لاحقة المنهج القرآني في مواجهة ثقافة العداوة والبغضاء.

٧ جمادى الآخرة ١٤٣٣ هـ
٢٨ إبريل ٢٠١٢ م

معالجة ثقافة البغضاء

حذر القرآن المسلمين من تكرار ذات الخطأ التاريخي الذي ارتكبه النصارى في الاقتتال الداخلي، فكيف عالج القرآن بالتالي ثقافة وروحية البغضاء؟

كتبت في المقال الماضي عن نسيان الميثاق الإلهي من قبل النصارى على ما أخبر به القرآن الكريم، وأن جزءً من ذلك الميثاق المنسي يتعلق بأسس العلاقات الإيمانية والإنسانية، الأمر الذي أدى إلى استحكام العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، مع كل صور التجميل والشرعنة لها.

وإذا كان قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ (المائدة:١٤)، يأتي في سياق تحذير المسلمين من تكرار ذات الخطأ التاريخي، فكيف عالج القرآن الكريم ثقافة وروحية البغضاء؟ سألقي الضوء هنا على بعض تلك المعالجات:

١ـ ترسيخ الميثاق الإلهي:

وهو الماثل في قوله سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ (آل عمران:١٠٢)، لا باعتباره خطاباً لأبناء طائفة ما، بل هو لكل من تشهد الشهادتين.. ولا باعتباره أمراً مؤقتاً مرهوناً بالظروف العصيبة، بل باعتباره أصلاً من الأصول الإسلامية التي تحقق حالة من الوقاية الروحية والعملية للمجتمع المسلم.

٢ـ التجاوز عن السيئة:

ومقابلتها بتصرف يدل على الرفعة وكرم الأخلاق: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت:٣٤). فالمعاملة بالمثل تحقق الحركة الدورية للكراهية، ومن يقابل الإساءة بالإحسان يكسر تلك الحركة الدورية، ثم يحوّلها إلى حالة احترام أو علاقة أخوية قوية. وإذ كانت المسألة جداً صعبة كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت:٣٥)، فقد كان العطاء الإلهي لهذا الصابر فوق الوصف: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر:١٠).

٣ـ نبذ لغة الشتائم والإهانات:

لاسيما لمقدسات الطرف الآخر، لأنها من أشد الأمور التي تمكّن الأحقاد في النفوس، وتغلق منافذ القلوب أمام أية دعوة حق: ﴿وَلاَ تَسُبُّواْ



الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّواْ اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام:١٠٨).

وقد قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في ما كتبه لعبد الله بن عباس: (فلا يكن أفضل ما نلت في نفسك من دنياك بلوغ لذّةٍ أو شفاء غيظ، ولكن إطفاء باطلٍ أو إحياء حق)، فابحث عن كل الوسائل التي توصل كلمة الحق إلى الآخر، واستعملها، وابحث عن كل الوسائل التي تطفئ بها نيران الباطل في العقول وفي القلوب وفي الأعمال، واستعملها.. أما السبّ فلن يساهم في إحياء الحق وإطفاء الباطل، بل لن يمثل إلا حالة ذاتية من بلوغ لذّة أو شفاء غيظ، لا يُثاب عليها الإنسان ولا يؤجَر، بل قد يؤثم عليها ويؤزر.

٤ـ إيفاء الآخرين حقوقهم:

فبخس الحق والحرمان يؤجج نار الكراهية والعدوان، وبلحاظ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (المائدة:٩١)، ندرك صورة المقارنة مع ما نحن فيه، فمن يمارس لعبة قمارية فإنه يدخل في أجوائها وهو يدرك أن للحظ دوراً كبيراً في خسارته، وأن للغش دوراً مماثلاً، ومع هذا يمتلئ قلبه بغضاً للفائز، وقد يمارس العدوان عليه.. فما بالنا بمن يدخل عالم التنافس في العطاء العلمي أو الوظيفي أو غير ذلك من مجالات الحياة، وهو يبتني سلفاً أن للجهد المبذول وللإتقان الأثر في

التقييم والمفاضلة من قبل أصحاب القرار، فإذا به يصطدم بواقع استبعاده أو تهميشه وفق النظرة الضيقة والمعطيات الطائفية أو العنصرية، لا وفق المعطيات الحقيقية؟ لاشك أن العداوة والبغضاء ستكون أكثر تمكّناً في نفسه من الصورة الأولى.

• حرية التعبد بأريحية:

وهكذا عندما يُحرَم المواطن من حقوقه في ممارسة شعائره الإيمانية بأريحية، أو يهدد بين الفينة والفينة بعصا الرقيب، أو لا يُعامل بالمساواة في إنشاء مؤسساته وتمويلها، وغير ذلك من صور التمييز الطائفي، فإنها لن تثمر إلا مسلك العداوة وروحية البغضاء.

• شرعنة الكراهية:

لقد تحولت الكراهية ـ لدى البعض ـ إلى نوع من القربات التي يُتقرب بها إلى الله، وصارت كراهية المسلم للمسلم ومعاداته، بل ومقاتلته، مدرسةً لها بُناتُها ودُعاتُها والحارسون لأسوارها وأسرارها، فاستحكمت في النفوس وسيطرت عليها وأثمرت ثمرتها القاتلة، وأزهرت تكفيراً وتضليلاً واقتتالاً.

واستهوى التكفيرُ بعضَهم حتى لجأ إلى ادّعاءِ نسخ قوله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّين﴾ للتخلص من أي إلزام في هذا المجال، أو أية حجة قد تقام عليه.. واستهواه التخلصُ من الآخر المختلف معه ولو في قضايا فرعية اجتهادية، أو لقصورٍ الآخَر في التعبير، أو لاجتزاءٍ في قراءة نص كلامه، أو لزلة لسانٍ في لحظةٍ انفعاليةٍ لا يُحاسَب عليها الإنسان كما يُحاسب فيما لو كان قاصداً معانداً.. ليجد هذا البعض ضالّته في إشفاء عداوته وبغضائه، فيلجأ إلى القذف بتهمة الردّة مَن شاء، وليطالب بإنزال عقوبة الإعدام بحقّهم، متناسياً أن الحدودَ تُدرأ بالشبهات كما اتفق على ذلك المسلمون كافة.

لقد عاش المسلمون عصوراً مظلمة حُكم فيها على عديد من العلماء الأبرار بتهمة الردة، وعلى الكثير من البسطاء الأبرياء بتهمة المروق عن الدين، ولأسباب طائفية محضة، لا يكمن وراءها سوى ما قاله تعالى: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء﴾ فأعدِموا وأحرقت أجسادُهم أو دفنوا أحياءً أو انتُهكت حُرُمُهم، ولم يجنِ المسلمون من وراء ذلك حينها سوى التخلف والتمزق وتمكين العدو.. حتى إذا جاءت الأجيال اللاحقة لعنت أسلافها على ما كسبت أيديها.. فهل نع اليوم دروس الماضي، أم نبقى أسراء العداوة والبَغضاء، لتلعَننا الأجيال القادمة على كل ما دمرناه من منابع الخير ومقوّمات العطاء الرحب وركائز الفطرة الإنسانية؟



١٤ جمادى الآخرة ١٤٣٣ هـ
٥ مايو ٢٠١٢ م

فوضى .. رُشى .. واختلاسات

أكدت نصوص إسلامية عديدة على أن الالتزام بحفظ النظام في المجتمعات البشرية لا يرتهن بوجود دولة تقوم على أساس مطابق للشريعة الإسلامية ..

ترتسخ في أذهان بعض المتدينين صورة مغلوطة حول مسألة حفظ النظام في المجتمع، على أساس أن الالتزام بذلك مرهــون بوجود دولة تقوم على أساس مطــابق للشريعة الإسلامية، سواء أكانت وفق رؤية مدرســة أهل البيت عليهم السلام لمسألة الحكم، كــدولة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو الإمــام عليه السلام، أو وفق رؤية المدارس الإســلامية الأخرى بصورهــا المختلفة.. أما مع انتفاء ذلك ـ بحســب أولئك البعض ـ فإن المســؤولية ترتفع عن المكلف، ويكون في حِل من الأمر.. علماً بأن المقصود من النظام العــام هو: (مجموعة القواعد والضوابط التي يتوقّف عليهــا استقرار وتوازن الحيــاة الإنســانية على الأصعدة الاجتماعية والسيــاسية والأمنية والاقتصــادية كافة).

• في النصوص الإسلامية:

من نافلة القول بالنسبة إلى العقلاء تأكيد الحاجة إلى النظــام العام، وقد أكد القرآن على أن وجود النظام العــام أمر تكويني يرتبط بالوجود المــادي بأكمله، فهو قائم على نظام عام يحكمه: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَــاوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعْ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ، ثُمَّ ارْجِعْ الْبَــصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَــاسِئــاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (الملك:٣-٤).

كما تؤكد النصوص الإســلامية على أن من أهم مسؤوليات الأنبياء والقادة الدينيين أوالسياسيين هي إقامة النظام العام وحفظه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْــطِ﴾ (الحديد:٢٥). أي أن تتحقق العدالة الاجتماعية، وهي ركن أســاسي لتحقيق النظــام العام. وعن علي عليه السلام: (والإمــامة نظامــاً للأمة)، وعنه عليه السلام: (أوصيكم بتقوى الله ونُظم أمركم).

ولما كان وجود الحاكم ركناً آخر في منظومة حفظ النظــام العام قال علي عليه السلام: (لاَبُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرّ أَوْ فَاجِرٍ، يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الكافر، ويُبلّغ اللهُ فيها الأَجَلَ، ويجمعُ به الفيءُ، ويقاتل بِهِ الْعَدُوُّ، وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ، حَتَّى يَسْــتَرِيحَ بَرٌّ، وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ). بالطبع فإن الإمام عليه السلام لا يريد أن





خرق النظام وإشاعة الفوضى والتعدي على القوانين التي هي للصالح العام أمر لا يتسامح فيه الإسلام، وإن لم يكن الحاكم برا ، وإن لم تكن البلد من بلاد المسلمين..

يصبغ الشرعية على نظـام ظـالم مغتصبٍ لحقوق مواطنيــه، بل يتحدث عن ضرورة وجود حاكم في المجتمع يقوم بمســؤوليـات الحكم وتدبير شؤون الدولة في قطـاعاتهـا المختلفة بما يحقق للمواطنين مصالحهم.. ولو كان هذا الحاكم غير مسلم.

• لا تسامح في الفوضى:

فخرق النظـام وإشـاعة الفوضى والتعدي على القوانين التي هي للصالح العام أمر لا يتسـامح فيه الإسلام، وإن لم يكن الحاكم بَراً، وإن لم تكن البلد من بلاد المسلمين، لأن المسألة لا تتعلق بالحـاكم، ولا بنوع الحكم، بل تتعلق بالمصالح العامة للناس، وحتماً أن الفوضى وكسر القانون ممـا لا يحقق هذا الصالح العام بل يضرّ به. ولذا اعتبر الإمـام أمير المؤمنــين عليه السلام أن: (شَرُّ البِلادِ بَلَدٌ لا أمْنَ فِيهِ ولا خَصْب).. والأمن والتنمية فرع حفظ النظام.

• النظام العام فقهياً:

وعندمـا نأتي على المستوى الفقهي نجد أن حفظ النظـام يقـدَّم على الحـكم الشرعي الأولي عند حـدوث التزاحم بينهما، ومن أمثلة ذلك حرمة التصرف بممتلكات الغير دون رضا من المالك، إلا أن هذا الحكم الأولي يرتفع في مـا لو توقف تحقيق النظام على ذلك، كما لو كانت هناك حاجة ضرورية إلى شـق طريق عبر هذه الممتلكات مع رفض أصحابها. وأكثر من ذلك، حيث أن في التشريعات الإسلامية مرونة للتعامل مع الظروف المتغيرة التي تفرض تغييراً ما إذا كان ذلك يصب في مصلحة تحقيق وحفظ النظـام العـام، كالعقوبة الجسدية المنصوصة لبعض المخـالفات القـانونية (التعزير)، حيث يمكن استبدالها بعقوبة مالية مثلاً انطلاقـاً من أن حفظ النظام هو الأساس لنظام العقوبات، ولا دليل على أنّ العقوبة الجسدية هي الطريقة الوحيدة والمتعيّنة في هذا المجال.. وقد أفتى المرجع الراحل السيد أبوالقاسم الخوئي بجواز وضع غرامة مالية على الأشخاص الذين يعتدون على الطرقات العامة ووضع ما يضرّ المارة عليها، معلّلاً ذلك بحفظ المصالح العامة. وهكذا الأمر بالنسبة إلى القضاء، فالأسـاس في القاضي ـ وفق الفقه الجعفري ـ أن يكـون مجتهداً، ولكن لو استدعى حفظ النظـام





لم يرَ بعض المتدينين بأساً في التعدي على الممتلكات العامة، كما قد يبيحون التلاعب والاختلاس من المال العام أو قبول الرشاوى، بذريعة أن الحكومة لا تملك ..

العام توفير قضاة من غير المجتهدين بسبب كثرة القضايا وشح القضاة، جاز ذلك وفق ما أفتى به بعض الفقهاء، مع رعاية الأكفأ فالأكفأ.

• أسباب الصورة المغلوطة:

إن من أهم أسباب تكوّن تلك الصورة المغلوطة حول مسألة حفظ النظام في المجتمع هو أننا عندما تعاملنا مع الفقه الإسلامي كفقه ذا صبغة فردية فقط، غفلنا عن العديد من الأصول والمقاصد الشرعية التي تمثّل أطراً له، وبالتالي حدّقنا في جانب من الصورة، وأغفلنا اللوحة بأكملها، حتى أصبح الإسلام الشخصي والشكلي الفارغ من مضمونه الإنساني هو المعيار والحكم في التديّن. مع العلم بأن من الفقه ما له صبغة فردية كالتوضؤ للصلاة، ومنه ما له صبغة عامة كالأحكام التجارية والخمس والزكاة والأحوال الشخصية والأوقاف وغيرها كثير.

• تصرفات غير مشروعة:

ومن خلال هذه القراءة المنقوصة للأحكام الشرعية لم يرَ بعض المتدينين بأساً في التعدي على الممتلكات العامة تخريباً أو نهباً، كما قد يبيحون لأنفسهم التلاعب في عدادات الكهرباء والماء أوالاختلاس من المال العام أو قبول الرشاوى، كل ذلك تحت ذريعة أن الحكومة لا تملك - وفق بعض الفتاوى - ما تحت أيديها من أموال، وأنها أموال مجهولة المالك، في تركيز على الجانب الفردي من المسألة وغفلة عن أن القضية ليست فردية، بل هي ذات ارتباط وثيق بالنظام العام للمجتمع وبالتالي يحرم الإخلال به، تماماً كحرمة أكل الميتة مثلاً، والذي هو معصية ذات بُعد شخصي.

وهكذا أباح بعض المتدينين لأنفسهم خرق قوانين المرور أو القوانين البيئية أو تنظيم المدن أو التركيبة السكانية في المجتمع كقضية العمالة السائبة مثلا، وغيرها من تجاوزات كثيرة، ما دام أن المكلف بعيد عن أعين الرقابة والمحاسبة، أو أنه يمتلك نفوذاً ما يتعالى به على القانون، وكل ذلك بذريعة أن الحكومة ليست حكومة المعصوم التي يجب فيها مراعاة النظام العام، في غفلة عن أن هذا الأصل لا علاقة له بطبيعة الحكم.

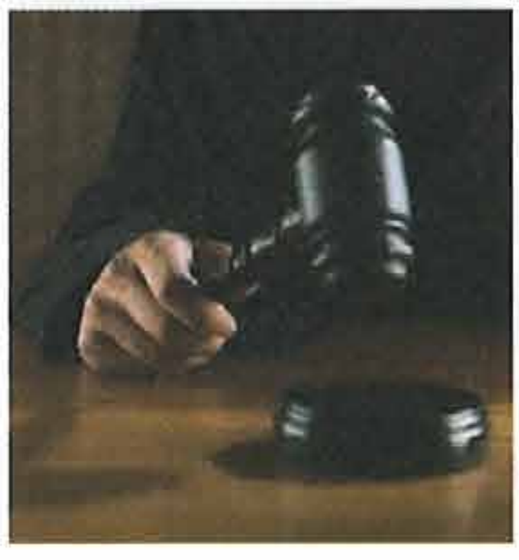



لابد أن نعي أن حفظ النظام العام هو الأول والأولى في سلم الضرورات الإنسانية؛ وعليه يأتي في أوّل كبريات المحرّمات الشرعية ..

• النظام العام أولوية:

إن حفظ النظام العام يأتي في أولويات الضرورات، لأن المحافظة على وجود الإنسان ومقوّمات استمراره تأتي في الدرجة الأولى من أولويات مراعاة الأحكام الشرعية، وكما يأثم الإنسان ويُحاسَب في الآخرة على المعاصي ذات البُعد الفردي، فإنه يأثم ويحاسب على المعاصي ذات البعد العام، بل يمكن القول أن حفظ النظام العام هو الأول والأولى في سلم الضرورات الإنسانية؛ وعليه يأتي في أوّل كبريات المحرّمات الشرعية، ويعني ذلك بأن المسألة هذه تأتي في كونها من أشد الكبائر، لاسيما إذا لاحظنا أن الصدق وصلة الرحم وحفظ حرمة الجار واحترام ممتلكات وخصوصيات الآخرين وغير ذلك من الواجبات الاجتماعية هي جزء من منظومة حفظ النظام العام، وأن كبائر من قبيل الكذب والغيبة والنميمة وقطيعة الرحم والتعدي على ممتلكات الآخرين وأكل المال الحرام بالسرقة والغش وغيرها إنما هي جزء من خرق ذلك النظام، وأن حرمتها تنطلق في الأساس من لزوم حفظ النظام العام على المستوى الاجتماعي والسياسي والاقتصادي.. إن أي مجتمع لا يعيش قدسية النظام العام والمصالح العامة، بل تغلب عليه الشخصانية والنزعة الفردية سيخط لنفسه طريقاً حتمياً نحو الفشل والانهيار.

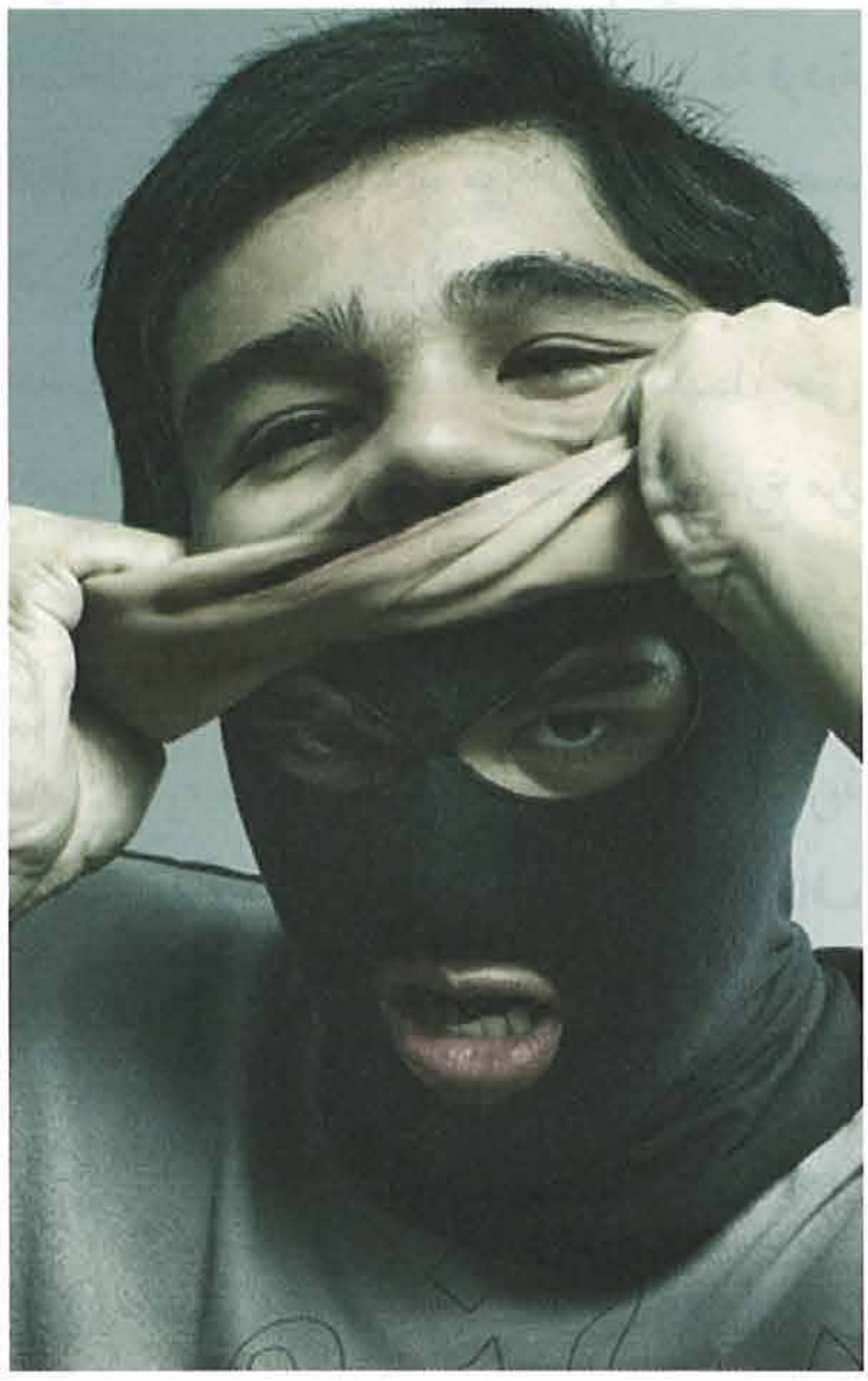

٢١ جمادى الآخرة ١٤٣٣ هـ
١٢ مايو ٢٠١٢ م

ضوابط إقامة الحدود الشرعية

مسألة العقوبات الشرعية تأتي كمرحلة متأخرة تسبقها مرحلة تأسيسية للقواعد التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي إيمانياً وأخلاقياً وعملياً، ومن ثَم تترتب العقوبة ..

يبدو أحياناً أن بعض مَن يتحدثون عن إقامة العقوبات الشرعية يتصورون أنها غاية أساسية في تطبيق الشريعة الإسلامية وفي كينونة الدولة الإسلامية، بالمستوى الذي تقفز فيه صورة الرجم والجلد وقطع اليد إلى ذهن الإنسان عندما يسمع كلمة (الدولة الإسلامية) أو (إقامة الحكم الإسلامي) وما شابه.. وكذلك بالمستوى الذي يظهر فيه دعاة تطبيق تلك الحدود وكأنهم يتعطشون لإقامة عقوبة رجم أو جلد أو قطع يد، ويبحثون عن أية حالة يمكن من خلالها إقامة هذا الحد أو ذلك التعزير.

• قواعد تأسيسية أولاً:

والحال أن مسألة العقوبات الشرعية تأتي كمرحلة متأخرة تسبقها مرحلة تأسيسية للقواعد التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي إيمانياً وأخلاقياً وعملياً، ومن ثَم تترتب العقوبة في ما لو تم ارتكاب جريمة ما. فالنبي ﷺ لم يتحدث عن عقوبات ترتبط بالسرقة أو غير ذلك إلا بعد أن أسس تلك القواعد ورسّخها، فأخذت مداها في المجتمع بالمستوى الذي استوعب معه المسلمون ما هو مطلوب منهم، وما هو ممنوع عليهم.. ولم يتحدث عن تلك العقوبات إلا بعد أن هيأ الأرضية لتحقيق العدالة الاجتماعية وتوفير أجواء العفة والحياء وغير ذلك من الأسس الذي ينبني عليها المجتمع بشكل سليم، لتكون هناك حالة من الردع الذاتي والرقابة الشخصية، والتي ستكشف حينها عن أن من يتعدى ويرتكب الجريمة إنما هو شخص معقّد أو ذي نوازع إجرامية أو تمردية على قيم المجتمع الآمن وأوضاعه.

• متى نزل حكم القطع:

فحد السرقة مثلاً يأتي في سورة المائدة، وهي من أواخر السور النازلة على النبي إن لم تكن آخرها على الإطلاق، وهذا مؤيِّد واضح لما ذكرته في الأسطر الماضية، وبالإضافة إلى ذلك فإنه لا يصح فصل الآيتين: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ، فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٨ – ٣٩)، عن الجو العام للسورة.

ففي بداية السورة أمر بالوفاء بالعقود.. ثم استعراض لماهية العقود والمواثيق التي يجب الالتزام بها.. ثم استعراض لأمثال تربوية من مواقف الأمم والشعوب ومدى الوفاء بها أو خيانتها وعاقبة ذلك.. وفي هذه الأجواء يأتي بيان الحدود والعقوبات المقررة للجرائم، ومن بينها السرقة، فهي ليست جريمة شخصية فقط، بل نقض للميثاق الإيماني والاجتماعي. ويأتي ذلك كله في أسلوب قرآني تلتقي فيه التربية الوجدانية بالتشريع الاجتماعي، والتوجيه الأخلاقي بتفصيل الحلال والحرام، وتصحيح العقائد والشعائر.

وهذا ما أكده الشيخ عبد الكريم الحمداوي في بحثه المنشور تحت عنوان (حد السرقة بين الفهم والتطبيق) حيث قال: (يتعذر... تطبيق مضمونها في مجتمع غير إسلامي اختلت عقيدته وفسدت نظمه السياسية والاقتصادية والاجتماعية).

• وحد الزنا أيضاً:

وهكذا عندما نأتي إلى عقوبة الزنا في سورة النور وهي من الآيات النازلة في العصر الوسيط لحكم النبي ﷺ في المدينة المنورة، نجد أنها محاطة بتشريعات وآداب ترتبط بالعلاقة بين الجنسين، من ضرورة غض البصر، وارتداء المرأة للباس الشرعي، والحث على الزواج، وصفات الزوج الصالح والزوجة الصالحة، وتقوية الارتباط الروحي بالله من خلال المساجد، والاستئذان قبل دخول بيوت الآخرين، وحتى تصرفات الأطفال مع آبائهم في ساعات الخلوة، وعدم الاتهام بالزنا إلا مع وجود الدليل القاطع، ومبغوضية نشر أخبار الفاحشة.. إلخ. فهل يصح الحديث عن إقامة ذلك الحد دون الأخذ بعين الاعتبار كل هذه العناوين التي تكمل صورة المجتمع الذي يريد الإسلام بناءه ويضع له القوانين ومن ثم منظومة العقوبات الرادعة؟ ولماذا لا يتحدث دعاة إقامة الحدود الشرعية عن تحقيق كل هذه المنظومة في المجتمع ويقتصرون على جانب إقامة الحدود؟

• درأ الحدود أَوْلى:

ثانياً، فإن أموراً كثيرة تدرأ عن إقامة الحد، ولنلاحظ الأمثلة التالية:

١. في الكافي بسند معتبر عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (السارق إذا جاء مِن قِبل نفسه تائباً إلى الله عزوجل، تُرد سرقته إلى صاحبها ولا قطع عليه).

٢. قال ابن حزم في المحلى: (وقال قوم: إن الحدود كلها تسقط بالتوبة.. واحتج أصحاب هذه المقالة بقول رسول الله ﷺ عن ماعز عندما مسته حجارة الرجم فخرج يشتد: «ألا تركتموه لعله يتوب فيتوب الله عليه؟ يا هذا لو سترته بثوبك كان خيراً لك»).

٣. روى الشيخ الصدوق عن الأصبغ بن نباته قال: أتى رجل أمير المؤمنين عليه السلام فقال: (يا أمير المؤمنين، إني زنيت فطهِّرني. فأعرض عنه بوجهه،



حد قطع اليد عند السرقة لا يقام على أي سارق، بل إذا توفرت مجموعة من الشروط تصل إلى ٩ شروط ، ومن الصعب اجتماعها إلا في حالات خاصة ..

ثم قال له: اجلس، فقال: أيعجز أحدكم إذا قارف هذه السيئة أن يستر على نفسه كما ستر الله عليه، فقام الرجل فقال: يا أمير المؤمنين إني زنيت فطهرني، فقال: وما دعاك إلى ما قلت؟ قال: طلب الطهارة. قال: وأي طهارة أفضل من التوبة؟! ثم أقبل على أصحابه يحدثهم، فقام الرجل فقال: يا أمير المؤمنين إني زنيت فطهرني، فقال له: أتقرء شيئا من القرآن؟ قال: نعم. قال: اقرأ. فقرأ فأصاب، فقال له: أتعرف ما يلزمك من حقوق الله في صلاتك وزكاتك؟ قال: نعم. فسأله فأصاب، فقال له: هل بك مرض يعروك أو تجد وجعا في رأسك أو بدنك؟ قال: لا، قال: اذهب حتى نسأل عنك في السر كما سألناك في العلانية، فإن لم تعد إلينا لم نطلبك). وفي نص آخر أنه قال: (ما أقبح بالرجل منكم أن يأتي بعض هذه الفواحش فيفضح نفسه على رؤوس الملأ، أفلا تاب في بيته؟ فوالله لتوبته فيما بينه وبين الله أفضل من إقامتي عليه الحد).

٤. الحديث النبوي الذي رواه المسلمون عامة: (ادرؤوا الحدود بالشبهات)... والقاعدة تتمثل في قوله: (ادرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله، فإن الإمام لأن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة).

• تخفيف العقوبة:

ثالثاً، فإن بعض الحالات تستدعي التخفيف في العقوبة بشكل كبير، ففي حديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (... إن رسول الله صلى الله عليه وآله أتي برجل أحبن مستسقى البطن «مريض بالاستسقاء»، قد بدت عروق فخذيه، وقد زنى بامرأة مريضة، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بعَذْق فيه شمراخ «سعف النخيل»، فضرب به الرجل ضربة، وضُربت به المرأة ضربة ثم خلى سبيلهما، ثم قرأ هذه الآية ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلا تَحْنَثْ﴾).

كما أن حد قطع اليد عند السرقة لا يقام إلا إذا توفرت مجموعة من الشروط تصل إلى ٩ شروط ذكرها الفقهاء في كتبهم، ومن الصعب اجتماعها إلا في حالات خاصة، وبالتالي لو تحققت السرقة دون استكمال تلك الشروط فإن هذه العقوبة تُخفَّف إلى عقوبة أخرى متناسبة مع طبيعة الجريمة وحجمها.

• آداب إقامة الحد:

رابعاً، تحدثت النصوص الإسلامية عن آداب خاصة بإقامة الحد، لاحظ مثلاً هذا الخبر الذي يرويه الكليني عن هشام بن أحمر، عن العبد الصالح (الإمام موسى الكاظم) عليه السلام قال: (كان جالساً في المسجد وأنا معه، فسمع صوت رجل يُضرب صلاة الغداة في يوم شديد البرد، فقال: ما هذا؟ قالوا: رجل يُضرب، فقال: سبحان الله، في هذه الساعة؟! إنه لا يُضرب أحد في شئ من الحدود في الشتاء إلا في أحرّ ساعة من النهار، ولا في الصيف إلا في أبرد ما يكون من النهار).

وفي المغني لابن قدامة: (روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: ضرب بين ضربين، وسوط بين سوطين وهكذا الضرب يكون وسطاً، لا شديد فيقتل، ولا ضعيف فلا يردع. ولا يرفع باعه كل الرفع، ولا يحطه فلا يؤلم. قال أحمد: لا يبدي إبطه في شيء من الحدود. يعني: لا يبالغ في رفع يده، فإن المقصود أدبه، لا قتله).

• التوبة أفضل:

ولذا نقول أننا في الوقت الذي ندرك فيه أهمية دعم سن القوانين بمجموعة من العقوبات الرادعة: ﴿وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلبَابِ لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٧٩)، إلا أننا أيضاً نؤكد على أن آخر ما يتمناه الإسلام هو إقامة الحدود والتعزيرات، وأنه يفضّل أن يتوب الإنسان مع ربه، وأن الجريمة لا تثبت بدون إقرار إلا بأدلة دامغة دقيقة بالتفصيل الذي لا يدع مجالاً للاحتمال الضعيف المضاد، وأن الحدود قد تُدرأ في حالات عديدة، وقد تُخفَّف العقوبة لأسباب عدة، فالإسلام جاء أساساً لينشئ مجتمعاً صالحاً بالتربية والتوجيه وتنفيذ القوانين، لا ليُرهب الناس ولا ليقطع ويجلد ويسجن، وكل هذا يأتي بعد تحقيق مجموعة من المقدمات الأساسية. كما أن من الإجحاف إطلاق الحديث عن تطبيق نظم العقوبات الشرعية في مجتمع غير قائم على النظام الإسلامي أصلاً، أو في مجتمع إسلامي اختلّت فيه الأوضاع الإيمانية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية ولم يطبَّق فيه حكم الإسلام إلا صورياً، أو في موارد اجتزائية انتقائية.

• شباب.. ضحايا:

ولذا فإننا لو أردنا أن نطلق القول في مجتمعنا بإقامة حد الردة عند التعرض بالسوء للذات الإلهية أو للرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم أو لغيرهما من العناوين المقدسة عند المسلمين، فسيكون ذلك متعارضاً مع ما تم تأكيده مسبقاً، لاسيما بلحاظ خطأ استلال آية حد السرقة من سياقها في سورة المائدة، وآية الزنا من سياقها في سورة النور، وهو ما يؤكد ضرورة مراجعة المشهد السياسي والثقافي والتربوي والإعلامي في الكويت على المستويين الرسمي والشعبي قبل الحديث عن إقامة أي حد من الحدود الشرعية.

إن أي منصف لن يختلف معي في الوصول إلى نتيجة واحدة وواضحة، وهي أن الأجواء الانفعالية والمواقف الاستعراضية هي السمة الغالبة لكل الحراك السياسي والثقافي والتربوي والإعلامي، فهل نتأمل في ظل هذه الأجواء أن نضبط مشاعر وسلوكيات وردود أفعال الشباب الذين لا يخفى على أي حصيف أن العاطفة عندهم متغلبة ـ بطبيعتها ـ على العقل بحكم المرحلة السنية التي يمرّون بها.. وهل من الإنصاف أن نحاكمهم ونعاقبهم قبل أن نحاكم ونعاقب (الكبار) الذين يرسمون معالم كل ذلك المشهد البائس؟ وفي الخبر عن أمير المؤمنين علي عليه السلام يصف فيه المجتمع حين تطغى عليه الصورة السلبية: (اعلموا رحمكم الله أنكم في زمان القائل فيه بالحق قليل... فتاهم عارم، وشائبهم آثم، وعالمهم منافق) وكأن الصورة السلبية للشباب هي جزء من الصورة السلبية الكلية للمجتمع بشيبته وعلمائه.

• ممارسات الجهات الحكومية:

هناك عدة جهات يفترض بها أن تكون مسؤولة عن رسم معالم المشهد الثقافي والتربوي والإعلامي في الكويت، فما الدور الذي قامت به هذه الجهات بما يرفع المجتمع إلى مستوى يمكن بعده أن نتحدث عن تطبيق الحدود الشرعية فيه؟ وهل فعلاً استطاعت أن تحقق المقدمات وتوفر الأجواء اللازمة بالمستوى الذي تحدثت عنه سورة المائدة أو النور في خصوص حدي السرقة والزنا مثلاً؟

إن من حق كل كويتي حريص على هذا البلد أن يتساءل عن مستوى التنسيق بين الجهات الحكومية التالية: وزارة الإعلام.. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.. وزارة التربية.. وزارة التعليم العالي (خصوصاً كلية الأصول والشريعة).. الهيئة العامة للشباب والرياضة.. لجنة الوسطية.. التنسيق الذي يتم من خلاله تعديل ذلك المشهد الذي يزداد بؤساً يوماً بعد يوم، ووفق استراتيجية وطنية واضحة، لا تحكمها الطائفية، ولا يستهدف من ورائها إشباع أطماع البعض في نيل المناصب أو تحقيق المكاسب المادية أو الاستعراض الإعلامي الفارغ.. التنسيق الذي يعيد صياغة فكر وأخلاقيات وسلوكيات الشباب الكويتي الذي يتجاذبه المتطرفون من الطائفيين والتكفيريين والعلمانيين ليقعوا في النهاية ضحية كلمة غير مسؤولة أو تصرف أخرق.

• مخرجات متطرفة:

إن من حق كل كويتي غيور على وطنه أن يتساءل عن مخرجات التعليم العالي والمعهد الديني والمراكز الدينية الواقعة تحت إشراف وزارة الأوقاف، وعن مدى تناغمها مع الجهود الاستراتيجية المدّعاة لترسيخ قيم الوسطية في المجتمع، أم أنها في واقعها تتعارض تعارضاً بيّناً مع تلك الاستراتيجية الوسطية؟ وهل نجحت اللجان والهيئات المشكلة

لتحقيق الوسطية في إشراك أهل الاختصاص بما يعكس حقيقة التنوّع المذهبي والفكري الذي يعيشه المجتمع؟ وما مدى الاستعانة بالمتخصصين في شؤون الإعلام وعلماء النفس واختصاصيي علم الاجتماع لتقديم الحلول العملية والواقعية لكل هذا العبث الحاصل في المشهد الكويتي؟ أعتقد أن الإجابة عن كل التساؤلات السابقة واضحة لكل متابع لما يجري على الأرض، وخلاصتها أن كثيراً مما يؤسَّس باسم الوسطية أو توجيه الشباب ورعايتهم دينياً سرعان ما يتحول إلى أداة جديدة بيد المتطرفين والمتعصبين.

• غبن مستمر:

وستبقى الهواجس المتعلقة بالغبن الذي يشعر به المواطن الكويتي من أبناء الطائفة الجعفرية في نيل حقوقه التي كفلها له الدستور على مستوى تأسيس المحكمة الجعفرية الخاصة بالأحوال الشخصية وتشييد المساجد في المناطق المختلفة (بشكل طبيعي ودون تعقيدات وعراقيل وأعذار يختلقها مسؤول هنا وموظف هناك ليبقى الطلب يتأرجح طيلة سنوات عديدة في أروقة الوزارات والإدارات البلدية.. وقد يرى النور.. وقد يبقى حبيس الأدراج) وفي تشريع قانون الزكاة الذي لم يعطِ الحق للمواطن أن يوجّه زكاته إلى مؤسسة رسمية كإدارة الوقف الجعفري، بينما تعطيه الخيار في توجيهها إلى بيت الزكاة أو وزارة المالية.. وغيرها من قضايا ستبقى هاجساً يشحن الشباب ويدفعهم لاتخاذ مواقف والاتيان بسلوكيات وردود أفعال غير متزنة تعود طائلتها على المجتمع برمته.

• ممارسات الجهات الشعبية:

وهكذا تأتي في نفس الاتجاه ممارسات مجلس الأمة التي بات يغلب على أعضائه الأسلوب الاستعراضي ويتم من خلاله دغدغة مشاعر الناخبين بتصريحات واستجوابات وسن قوانين دون مراعاة للآثار السلبية الكثيرة التي تهدم أسساً كثيرة شيّدها أبناء هذا المجتمع طوال عقود مضت، ولا تعطي مجالاً للتفكير والتخطيط فضلاً عن تشييد أية مشاريع حقيقية فاعلة تنتشلنا مما نحن فيه من وضع مأساوي.. فالجلسات تلو الجلسات تُستهلك في مشاهد الصراخ والحركات البهلوانية والمواقف الاستفزازية من جميع الأطراف لتنتهي دورة وتبدأ دورة، بينما تتسارع عجلة الانحدار في المشهد العام.. ولتطغى اللغة الطائفية الصادرة من هذا النائب وذاك، والمشحونة بالكثير من الطاقات الهدّامة لأسس التعايش والمحبة التي نص عليها الدستور في مادته السابعة حيث قال: (العدل والحرية والمساواة دعامات المجتمع، والتعاون والتراحم صلة وثقى بين المواطنين). وما إقرار قانون تغليظ العقوبة على المتعرض للذات الإلهية والإساءة للرسول ﷺ وزوجاته، ورفض شمول القانون لأهل البيت والسيدة فاطمة الزهراء

ابنة رسول الله إلا واحدة من الأمثلة التي تؤكد أن سنّ ذلك القانون إنما جاء كإفراز من الإفرازات الطائفية لا أكثر.

فهل يتوقع من أي شاب يتابع ذلك أن يكون متوازنا في تفكيره وسلوكياته؟ وأين هي مؤسسات المجتمع المدني التي فضّل بعضها الدخول في حالة من الغيبوبة، بينما انساق البعض الآخر منها في الحراك السياسي حتى طغى على طبيعة دورها المجتمعي؟

وإذا كانت هناك بعض المحاولات لضبط دور وسائل الإعلام والاتصال بالتقنين والمعاقبة فإن الواقع أثبت أن هذا الأمر لم يثمر بالصورة المطلوبة، وأن لبعض الأجندات الخاصة والرغبة في التكسب المادي الدور الكبير في صب الزيت على نار الفتنة، كما أن القانون عاجز عن التعامل مع قنوات فضائية تبث من خارج الكويت، ومع مواقع على الإنترنت يمكن الوصول إليها ولو حُجبت، بما يمثل جزء من ضريبة الانفتاح الاتصالاتي الحديث.

ولعل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (النور:١٩)، يقدم لنا قاعدة مهمة لا تخص فاحشة الزنا فحسب، بل تشمل كل ما يفسد طهارة الجوّ الذي يغمر المجتمع، فالله سبحانه يريد للإشاعات والكلمات اللامسؤولة أن لا تنطلق في الأجواء لأنها ستشكّل خطوةً سلبيّة، ويريد للكلمات أن تتحرك بحيث تكون خطوة تربويّة إيجابيّة، لأن الإنسان يتأثر بالمجتمع سلباً أو إيجاباً من خلال الفكرة التي يحملها عنه، أو من خلال الجوّ الذي يحتويه بفكره وروحه وحركته.

• حقيقة المشكلة:

وكما ذكرت في مقالة سابقة بأن المشكلة لا تكمن في شخص المتهم بالتعرّض للإمام المهدي عليه السلام بسوء، (وهو الشخصية التي يؤمن بها جميع المسلمين وإن اختلفوا في مصداقها الخارجي) بقدر ما هي مشكلة مناهج وزارة التربية التي لم تنجح في تقديم هذه الشخصية بصورة يحترم فيها كل مسلم عقيدة الآخر، أعود لأقول هنا أن المشكلة لا تكمن في شخص المتهم بالتعرض بسوء للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو لأزواجه المكرَّمات، بقدر ما هي مشكلة كل المشهد الذي يعيشه المجتمع في الكويت وعلى كافة المستويات السياسية والثقافية والتربوية والإعلامية.. فهل سيتحمل عقلاء الوطن مسؤوليتهم في هذا الإطار، أم سنبقى نتفرج على مسرحية هزلية بإخراج ردئ؟ .. ولات حين مناص.



٢٨ جمادى الآخرة ١٤٣٣ هـ
١٩ مايو ٢٠١٢ مـ

بيتٌ و محراب

(مقتبس بتصرف من كتاب حياة فاطمة لمحمود شلبي)

بيتٌ فقيرٌ بمقاييس الثَّرَى.. ثريٌّ بموازين الثُّريا.. فيه سبّحت الزهراء عليها السلام.. وسبّح معها بعلُها وبنوها بالغدو والآصال.. حتى تلألأ لَمن في السماء وحولَ العرش وأزهر.. وأمسى أصحابُه نجومَ سماواتٍ ازدانت بها الدنيا وتحلّت..

روى السيوطي في الدر المنثور عن أنس قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ له فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ فقام إليه رجل وقال: أي بيوتٍ هذه يا رسول الله؟ فقال: بيوت الأنبياء.. فقام إليه أبوبكر وقال: يارسول الله، هذا البيت منها؟ وأشار إلى بيت علي وفاطمة.. فقال: نعم، من أفضلها.

بيتٌ متواضعٌ في مقاييسِ أهلِ الدنيا والمادة.. ولكنه جمع خير الخلق.. فرسولُ الله سيدُ الأولين والآخرين.. وعليٌّ سيدُ الوصيين.. وفاطمةُ سيدةُ نساءِ العالمين.. والحسنُ والحسينُ سيدا شبابِ أهلِ الجنة..

فهل يمكن لمنطقِ الإنسان ـ والحال هذه ـ أن ينطلق في رحاب الكلمة بكل محدودياتها ليعبّر..

إنه بيتُ المجد السرمدي الذي تعجز الكلمات.. إلا كلمات القرآن الخالد.. أن ترتفع إلى معانيه السامية.. لترسم معالم العز والفخار لآل بيت محمد ..

ويصف.. ويمجِّد هذا البيت بكل رحابة عطاءاته؟

في هذا البيت كان يجلس ربُّ العائلة.. محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلم مع عائلته.. عليٌّ عن يمينه.. وفاطمةُ عن يساره.. والحسنُ والحسينُ في حِجره.. يُقبّل هذا مرة.. وذاك مرة.. يباركهم ويدعو لهم.. ويسألُ الله أن يُذهب عنهم الرجسَ ويطهرهم تطهيرا.

ومِن هذا البيت كان يخرج النبي إلى السفر.. وبه يبدأ إذا عاد..

في هذا البيت المتواضع.. عاشت فاطمة عند علي.. وهو لا يملك إلا قلبَه وسيفَه.. وإلا علمَه وإيمانَه..

وفي هذا البيت طحنت فاطمة بالرحى حتى تورّمت كفُّها.. واستقت بالقِربة حتى اسودّ صدرُها.. وكَنسته حتى اغبرّت ثيابُها.. وفيه لم يكن مِن أثاث الدنيا وزخرفها شيئاً ذا بال.. فقد أوصاهم مِن قبلُ ربُّ العائلة قائلاً: ليست الدنيا مِن محمد.. ولا آلِ محمد.. وحفِظ الآل وصيَّته.. فكانت تِرياقَ* صبرِهم.. وزينةَ بيتِهم..

وهو البيتُ الطاهر.. الذي طهّرَه الله في محكمِ

كتـابه.. والبيتُ الرفيعُ الذي رفعَه الله في محكمِ آياته.. والبيتُ الكريمُ الذي خلّد القرآنُ عطاءاته حيث سـطّرَ بأحرفٍ نورانية، ومعـانٍ ملكوتية مشـهدَ قدوم علي يصحبُ ابنيه الحسن والحسين أولَ الصباح.. مقبلين على رسول الله.. فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال: ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم.. وقام فـانطلق معهم.. فإذا به يرى فاطمة في محرابها.. وهي تترفع عن حطـام الدنيا بلقاء محبوبها.. في سموٍّ روحي وتسام أخلاقي، فتنسى في تلك اللحظات النورانية ألم الجَوع وتعبَ العطاء.. كما كان أبوها من قبلُ ينسى تورّم قدميه وهو يصلي في سـاعات الليل الطويلة حتى جـاء الوحي بقوله ﷻ: ﴿طه، مَـا أَنزَلْنَـا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ .. وكما هو بعلُهـا علي الذي كان ينسى ألَمَ جراحاتِ المعارك حين يصفُّ قدميه واقفـاً بين يدي الله في صلاة الخاشعين..

إلا أن ما سـاء الأبَ الحنون في تلك اللحظة أنه رأى بَضعتَه وقد التصق بطنُها بظهرِها.. وغارت عيناها.. فلم يكن حـالُهـا بأفضلَ من حـال علي والحسن والحسين.. فنزل جبريل عليه السلام وكأنه يبادر بتقديم الصورة المعنوية الحقيقية لذلك الموقف وقال: خذها يا محمد.. هنّأك الله في أهل بيتك.. خذهـا يا محمـد واقرأ.. وأسمِع الخلائق.. وخلِّد هذه اللوحة الملكوتية.. ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا.. عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا.. يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَـافُونَ يَوْمًـا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا.. وَيُطْعِمُونَ الطَّعَـامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًـا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا.. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُورًا.. إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًـا قَمْطَرِيرًا.. فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّـاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا.. وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا..﴾.

إنـه بيتُ المجد السرمدي الذي تعجز الكلمات.. إلا كلـمات القرآن الخـالد.. أن ترتفع إلى معـانيه السـامية.. لترسم معـالم العز والفخـار لآل ذلك البيـت الذي لم يكن لأحدٍ الأهليةَ أن يكون أهلاً لسيد الخلق أجمعين.. سواهم.. فهو بيت الوصي.. وبيت البتول.. وليس في الإسلام بيتٌ حوى من المجد والعظمة ما حواه هذا البيت..

ولذلك كان ﷺ إذا غزا أو سافر.. بدأ بالمسجد أولاً.. ليجدد العهدَ ببيتِ الله.. ثم أتى بيت فاطمة ثانيـاً.. ليجدد العهدَ ببيتِ آل الله.. فسـلامٌ على محمد في الليل والنهار.. وسلام على آل محمد ما بقي الليل والنهار..

(* ترياق : دواء)



٥ رجب ١٤٣٣ هـ
٢٦ مايو ٢٠١٢ مـ

المطلَّقة بين الشرع و القانون

هناك فجوة ما بين الرأي القانوني في بعض القضايا مع الرأي الشرعي، وفجوة أخرى ما بين الفرد وبين الرأي الشرعي. والمشكلة لا تتوقف عند حد الوقوع في الإثم ..

انعقد في الأسبوع الماضي في الكويت المؤتمر الأول ليوم المرأة العالمي المقام من قبل تجمع تواصي الإسلامي الوطني، وكان محور المؤتمر في اليوم الثاني حول حقوق المطلقة بين العرف والشرع والقانون. وحسناً فعلن الأخوات القائمات على التجمع بتفعيل المناسبات الإسلامية كمولد السيدة الزهراء عليها السلام بجعلها محطات لتحريك قضايا الواقع بما يخدم المجتمع، وعدم الاقتصار على قراءة الماضي، والبكاء على أطلاله.

ومن خلال الأوراق التي قدمت والنقاشات الجانبية يتأكد وجود فجوة ما بين الرأي القانوني في بعض القضايا مع الرأي الشرعي، وفجوة أخرى ما بين الفرد وبين الرأي الشرعي. والمشكلة لا تتوقف عند حد الوقوع في الإثم بمخالفة الحكم الشرعي، كي يفكر الإنسان بالتوبة والاستغفار للتخلص من التبعات، بل هي ذات آثار وضعية أيضاً، قد تترتب عليها أحياناً بعض الآثار الاجتماعية الكارثية على مستوى الأفراد. ولنأخذ بعض الأمثلة على ذلك:

• طلاق الحاكم:

هناك نوع من الطلاق يعرف بعنوان طلاق الحاكم، وهو في الفقه الجعفري يعني أن يقوم المجتهد بتطليق المرأة من زوجها لأسباب محدودة جداً، لأن الأصل أن العلاقة الزوجية تستمر، وأن الطلاق بيد الزوج نفسه، وهذا هو الوضع الطبيعي، أما عندما يقوم شخص آخر كأب الزوج (الولي) أو الحاكم الشرعي بالتطليق فهذا يعتبر حالة استثنائية ويُلجأ إليها في بعض الموادر الضرورية والاستثنائية.

من هذه الحالات الاستثنائية رفض الزوج الإنفاق على زوجته وهو قادر على ذلك، حتى مع إجبار الحاكم الشرعي له، وحينها يأمره الحاكم بتطليق زوجته، فإنْ رفض، يتدخل الحاكم الشرعي بنفسه فيطلقها طلاقاً بائناً لا يستطيع الزوج خلال عدة هذا الطلاق أن يرجع إليه زوجته. وإذا أراد إرجاعها فلابد له من عقد جديد برغبتها ومهر جديد. وتظهر المشكلة فيما لو لم يكن القاضي فقيهاً جعفرياً بلغ مستوى الاجتهاد، وحينها يقع طلاق



الحاكم باطلاً ولغواً، وتبقى المرأة ـ شرعاً ـ على وضع الزوجية، وإن كانت من الناحية الرسمية مطلقة. فإذا ذهبت وتزوجت جهلاً منها بالمسألة بطل زواجها الثاني، وحرمت على زوجها الثاني حرمة مؤبدة. ولكم أن تتخيلوا اكتشافها لهذه الحقيقة الكارثية بعد عدة سنوات، وأثر ذلك على البناء المتولدين من هذا الزواج غير الشرعي.

• تغيير المذهب صورياً:

المثال الآخر هو اللجوء إلى المحكمة غير الجعفرية في قضايا الأحوال الشخصية، من قبيل الطلاق والخلع وحضانة الطفل والنفقة وغير ذلك، فبعض المحامين يوجّهون الزوجة إلى مثل هذا الأمر على أن تُقسِم بأنها على مذهب أهل السنة والجماعة، باعتبار أن حكم القاضي هناك سيكون أسرع أو أيسر وأمثال ذلك من المبررات. فلو حدث ذلك فالحكم سيكون من الناحية الفقهية الجعفرية غير نافذ، لفقدان شرط صدوره من قبل فقيه جعفري، والمال الذي تأخذه المرأة بهذه الوسيلة قد يكون سحتاً، والحضانة قد تكون تصرفاً محرماً إلخ.

• فسخ الزواج:

المثال الثالث الفسخ، والذي يعني إنهاء الحياة الزوجية دون طلاق، ويتحقق ذلك فيما لو كان هناك عيب قد أخفي في الزوجة أو الزوج عند العقد، فيعتبر الزواج حينها لاغياً إن أراد أحد الزوجين عدم المضي فيه. والعيوب محدودة وفق الرأي الفقهي المشهور. ولكن قد يقوم بعض المحامين بتشجيع أحد الطرفين على طلب الفسخ لعيب معين مقبول قانونياً مرفوض شرعياً، ويقع الفسخ وتذهب المرأة لتتزوج بعد ذلك، ثم تكتشف بعد سنوات أنها ما زالت على ذمة الأول من الناحية الشرعية.

• الدقة في الاستفتاء:

وبالتالي فإن من المهم في البين هو الاطلاع على الرأي الفقهي لمرجع التقليد بدقة شديدة وبمراعاة الاحتياط في طرح الاستفتاء بحيث لا توجَّه الإجابة لتصب في مصلحتي، بل تُعرَض القضية كما هي، ليأتي الجواب الفقهي مطابقاً لواقع القضية. كما أنه لو صدر حكم قضائي غير مطابق للفتوى، فلابد من تصحيحه بمراجعة الحاكم الشرعي وعدم التهاون في ذلك.

• التقوى صمام أمان:

المسألة الأخرى التي يجب الالتفات إليها هي واقع تخلي المتخاصمين عن التقوى عند حدوث أمثال هذه الخلافات سواء على الطلاق أو المواريث أو حق الحضانة وما إلى ذلك، فالزوج يكذب ويحضر إخوانه ليشهدوا زوراً بأنه ينفق وأنه يعاملها بالمعروف وما إلى ذلك.. والزوجة تكذب وتضخّم المشاكل بينه وبين زوجها لتنتقم منه أو لترضخه لسيطرتها.. وتجد أحياناً أن بعض المحامين يوجهون موكليهم إلى ذلك بغرض مادي بحت.

• الوجه الآخر للمشكلة:

المسألة الثالثة هي عدم الاقتصار على البعد الشرعي عند السؤال عن مثل هذه القضايا، فهي قضايا اجتماعية قد يكون الحكم فيها بالإباحة لا الوجوب، وبالتالي فإنه عند الاستفتاء أو عند التفكير لابد من أخذ البعد الاجتماعي بعين الاعتبار.. أحد الأئمة عليهم السلام يُسأل عن حرمة شئ فيقول: (حلال إلا أنا أهل البيت نعافه).. فليس كل مباح يُفعل. ولذا من الضروري أيضاً التفكير في أثر ذلك القرار على الأطفال، وعلى سمعة الأسرة، وكيف سيرتب الإنسان مستقبل حياته، وهل الوضع القادم أفضل من الوضع القائم، وهل يتناسب هذا الموقف مع الأخلاق الرفيعة والقيم التي يتبناها، وما هي المواقف الأقرب لرضا الله.. وغير ذلك.

وهذا يفرض أن لا يتوقف صاحب المشكلة عند حد معرفة الجواب الشرعي من المشايخ وعلماء الدين، وعدم الاحتجاج بامتلاك فتوى في البين تؤيد موقفه، بل على المستفتي أن يطالب المشايخ والعلماء بإبداء الرأي بالجانب الآخر من الموضوع ومراعاته، وهو الجانب الداخل تحت عنوان (الحكمة)، تماماً كما نلحظه حاضراً مع عنوان التقوى ومراعاة الحكم الشرعي في الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوف أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوف وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلاَ تَتَّخِذُواْ آيَاتِ اللّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٣١).

١٢ رجب ١٤٣٣ هـ
٢ يونيو ٢٠١٢ م

شُرطة الخميس

شرطة الخميس عبارة عن قوة عسكرية من ستة آلاف عنصر شكلها الإمام علي في أجواء معركة صفين، وقد بايعه أفرادها على الاستبسال لتحقيق مهامهم المحددة ..

تطالعنا سيرة أمير المؤمنين علي عليه السلام بخبر تشكيله قوة عسكرية من ستة آلاف عنصر باسم (شرطة الخميس). وإذا عرفنا أن كلمة الخميس تعني الجيش، إذ كان يقسَّم إلى خمسة أقسام، نعرف لماذا سموا شرطة الخميس من خلال الخبر التالي إذ روي أن الأصبغ بن نباتة (وكان على رأس هذه القوة في معركة صفين) سئل: (كيف سُميتم شرطة الخميس يا أصبغ؟ فقال: إنا ضمنَّا له الذبح، وضمن لنا الفتح). أي أنهم بايعوه على الموت والاستبسال في طريق تحقيق مهامهم المحددة.

• مميزات شرطة الخميس:

وكانت لهذه القوة العسكرية مميزات:

١. في المعاجم اللغوية: (الشُّرْطةُ أو الشُّرَطة: أوّلُ كتيبة تحضر الحرب وخيار جند السلطان ونخبة أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم من جنده) فهي القوة الفدائية التي تستبسل من أجل تحقيق النصر ضد العدو.

٢. كانت تضم خيرة وصفوة الناس في زمانه إيماناً وتقوى وعملاً. فمن الصحابة ضمّت مثلاً: (المقداد وعمار وقيس بن سعد بن عبادة، وسهل وعثمان ابني حنيف الأنصاريين). ومن غيرهم ضمّت مثلاً: (الأصبغ بن نباتة، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وميثم التمار، ورشيد الهجري، وحبيب بن مظاهر الأسدي، ومحمد بن أبي بكر، والحارث الهمداني). حتى أنه إذا ذُكر أن فلاناً كان من شرطة الخميس كفاه ذلك مدحا، فتقرأ مثلا قولهم في سليم بن قيس: (كان من شرطة الخميس، وبذلك يُعلم جلالة سليم).

٣. في ذات الوقت الذي كانت تؤدي فيه مهامها العسكرية على جبهات القتال، أدت مهاماً داخلية ضمن المجتمع الذي كان يدير الإمام شؤونه، بصورة تقرب من دور الشرطة في هذا الزمان. وفي المصادر أكثر من خبر يؤيد هذا المعنى، ومنها الخبر التالي المروي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: (إن شاباً قال لأمير المؤمنين عليه السلام: إن هؤلاء النفر خرجوا بأبي معهم في السفر، فرجعوا ولم يرجع أبي، فسألتهم عنه فقالوا: مات. فسألتهم عن ماله فقالوا: ما ترك مالاً، فقدمتهم إلى شريح فاستحلفهم





تطورت وظيفة (صاحب الشرطة) تدريجياً فيما بعد خلافة الإمام علي، واهتم الإمام بالمحاسبة الدقيقة لمن يقوم بهذه المسؤولية في ما لو أتى بما يخل بوظيفته ..

وقد علمت أن أبي خرج ومعه مال كثير، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: والله لأحكمن بينهم بحُكم ما حكَم به خلقٌ قبلي إلا داود النبي عليه السلام. يا قنبر، ادعُ لي شرطة الخميس فدعاهم، فوكّل بكل رجل منهم رجلاً من الشرطة، ثم نظر إلى وجوههم فقال: ماذا تقولون؟ تقولون إني لا أعلم ما صنعتم بأبي هذا الفتى؟ إني إذاً لجاهل. ثم قال: فرقوهم وغطوا رؤوسهم. قال: ففرق بينهم وأقيم كل رجل منهم إلى أسطوانة من أساطين المسجد ورؤوسهم مغطاة بثيابهم. ثم دعا بعبيد الله بن أبي رافع كاتبه فقال: هات صحيفة ودواة، وجلس أمير المؤمنين عليه السلام في مجلس القضاء، وجلس الناس إليه، فقال لهم: إذا أنا كبّرت فكبّروا. ثم قال للناس: اخرجوا.

ثم دعا بواحد منهم فأجلسه بين يديه وكشف عن وجهه. ثم قال لعبيد الله: اكتب إقراره وما يقول، ثم أقبل عليه بالسؤال فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: في أي يوم خرجتم من منازلكم وأبو هذا الفتى معكم؟ فقال الرجل: في يوم كذا وكذا. فقال: وفي أي شهر؟ فقال: في شهر كذا وكذا، قال: في أي سنة؟ فقال: في سنة كذا وكذا. فقال: وإلى أين بلغتم في سفركم حتى مات أبو هذا الفتى؟ قال: إلى موضع كذا وكذا. قال: وفي منزل مَن مات؟ قال: في منزل فلان ابن فلان. قال: وما كان مرضه؟ قال: كذا وكذا. قال: وكم يوماً مرض؟ قال: كذا وكذا. قال: ففي أي يوم مات؟ ومن غسله؟ ومن كفنه؟ وبما كفنتموه؟ ومن صلى عليه؟ ومن نزل قبره؟

فلما سأله عن جميع ما يريد، كبّر أمير المؤمنين عليه السلام وكبّر الناس جميعاً، فارتاب أولئك الباقون، ولم يشكّوا أن صاحبهم قد أقر عليهم وعلى نفسه، فأمر أن يُغطّى رأسه ويُنطلق به إلى السجن. ثم دعا بآخر فأجلسه بين يديه وكشف عن وجهه وقال: كلا، زعمتم أني لا أعلم ما صنعتم؟ فقال: يا أمير المؤمنين ما أنا إلا واحد من القوم، ولقد كنت كارهاً لقتله، فأقر. ثم دعا بواحد بعدُ، كلهم يقر بالقتل وأخذ المال. ثم رد الذي كان أمر به إلى السجن فأقر أيضاً. فألزمهم المال والدم. ثم ذكر حكم داود عليه السلام بمثل ذلك).



• محاسبة دقيقة وحاسمة:

هذه واحدة من المشاهد التي تبين الدور الداخلي لشرطة الخميس. وبذلك يتبين ـ كما تذكر المصادر التاريخية ـ أنه تم تنظيم جهاز الشرطة من قبل الإمام عليه السلام، وتبلورت وظيفة (صاحب الشرطة) في خلافته ثم تطورت تدريجياً فيما بعده، واحتفظت بعنوان (الشرطة). المشهد الآخر الذي تطالعنا به النصوص هي المحاسبة الدقيقة والحاسمة لمن يقوم بهذه المسؤولية فيما لو كان هو مصدر الخلل في المجتمع، ففي الخبر أنه: (بعث علي عليه السلام إلى لبيد بن عطارد التميمي ليجاء به، فمر بمجلس من مجالس بني أسد، وفيه نعيم بن دجاجة، فقام نعيم فخلّص الرجل، فأتوا أمير المؤمنين علياً عليه السلام فقالوا: أخذنا الرجل فمررنا به على نعيم بن دجاجة فخلّصه، وكان نعيم من شُرطة الخميس، فقال: عليَّ بنعيم، فأمر به أن يضرب ضرباً مبرِّحاً، فلما ولُّوا به قال: يا أمير المؤمنين إن المقام معك لذل وإن فراقك لكفر، قال: إنه لكذلك؟ قال: نعم، قال خلوا سبيله).

ونلاحظ هنا الثمن الذي يدفعه الإمام عليه السلام بمحاسبته لهذا المخالف، والذي قد يصل إلى حد التمرد واللحوق بالأعداء كما حصل في مواقع أخرى، وقد يجر الأمر إلى تمرد عشيرة ذلك الرجل.. ولكن الإمام لا يتهاون في ذلك لأن المسألة تكمن في أنّه لو فسد مَن يُفترض به أن يكون هو مصدر الأمن والطمأنينة والمحافظ عليهما، فكيف

يـمكن تحقيق الأمن في المجتـمع؟ وكقول السيد المسيح عليه السلام: (لو فسد الملح فبماذا يُملَّح؟).

• ظلال الصورة المشرقة:

هذه الصورة التاريخية المشرقة تُلقي بظلالها على الوضـع القائم في جهاز الشرطة عندنا في الكويت، إذ يلاحظ في الفترة الماضية ومن خلال ما تناقلته وسائل الإعلام تكرر ارتكاب بعض رجـال الأمن لجرائم يَندَى لها الجبين، يضاف إليهـا تقرير وزارة الخارجية الأمريكية المنشـور في الصحف قبل أيام حول حقوق الإنسان في الكويت وتضمّن إشارات إلى وجود مثل هذه الأمور، وكلهـا تؤكد ضرورة إعادة النظر في كل النظـام القائم في هذا الجهـاز الحساس وذلك من خلال النقاط التالية:

١. المراجعة الشاملة لسلوكيـات الأفراد والضباط توعيةً ومراقبةً ومحاسبة.

٢. الاهتـمام بالانضباط العسكري بين المنتسبين لهذا السلك، وهو مـا يشهد حالياً انفلاتاً واضحـاً لكل مراقب.

٣. تغليظ العقوبات على العسـكريين المخـالفين، ردعاً لكل من تسوّل له نفسه منهم باستغلال هذا الموقع الوظيفي لإشباع رغباته الدنيئة.

٤. عدم إفساح المجال للوسـاطات في تغيير مجرى القانون. ولعل من أسوأ ما ابتلي به هذا الجهـاز هو الاستجابة لضغوطات بعض المسؤولين ونواب الأمة ممن يسـارعون للتدخل ضمن حسـابات مصلحية معينة لتجاوز القانون، أو تحويل التهمة من مرتكبها إلى شخص آخر، أو التلاعب في المحـاضر بصورة يُلغي القضية من أصلها، وغير ذلك من الأمور غير الخافية، والتي تـمتلئ بها الصحف المحلية يومياً، وكل ذلك يجرّئ العسكريين المخالفين للاستمرار في غيّهم، فَمَن أمن العقوبة أساء الأدب.

• الصورة الحقيقية للشرطة:

أخيراً أقول إن دور العسـكريين المنتسبين إلى سلك الداخلية في المجتمعـات التي تحفظ حقوق الإنسان وتراعيهـا هو دور المحـافظ على الأمن، الساهر على خدمة الشعب، لا صورة العسكري الذي تدفعه البدلة والسيـارة العسكرية والسلاح الذي يحمله للاستكبار على المواطنين والوافدين، أو تزرع في نفسه حالة من الشعور بالفوقية ليزرع الرعب في قلوب الناس دون أن يكونوا قد ارتكبوا مخالفةً ما، أو أن يوظّفها لإهانة الناس وتفريغ عقده الشخصية.. إن الصورة المطلوب تحقيقهـا هي صورة العسـكري الذي إذا رآه المواطن أو الوافد شعر تلقائياً بالراحة والطمأنينة والأمن.. ولذا قـال أمير المؤمنين علي عليه السلام في كتـابه لمالك الأشتر لما ولاه مصر: (فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِـكَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلإِمَامِكَ، وَأَنْقَاهُمْ جَيْباً، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ، وَيَرْأَفُ بِالضُّعَفَـاءِ، وَيَنْبُو عَـلَى الأَقْوِيَاءِ، وَمِمَّنْ لاَ يُثِيرُهُ الْعُنْفُ، وَلاَ يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ).

١٩ رجب ١٤٣٣ هـ
٩ يونيو ٢٠١٢ م

القضاء عند الإمام علي

وضع الإمام علي عدة ضوابط لاختيار القضاة الأصلح بما يضمن تحقيق العدالة ما أمكن، وهي ضوابط تهتم بأدق التفاصيل الروحية والعلمية والعقلية والأخلاقية ..

في المقال الماضي تحدثت عن إحدى ابتكارات أمير المؤمنين علي عليه السلام على مستوى إدارة الدولة، وهو تأسيس قوة الشرطة، وأتحدث اليوم عن جانب آخر وهو المتعلق بالقضاء، فقد كانت للإمام عدة لمسات في هذا الإطار تنطلق من إيمانه العميق بالعدالة وإحقاق الحق.

• المساواة أمام القانون :

أولاً : ترسيخ مبدأ المساواة بين الناس جميعاً أمام القانون، دون تأويل أو عبث، على مستوى الكلمة والفعل.. كان هذا دأب الإمام قبل أن تتوفر الظروف لكي يحكم وبعد ذلك. إذ لمَّا شكا يهودي علياً عند الخليفة عمر في خصومةٍ قال له: (يا أبا الحسن اجلس) فبدت علامات عدم الارتياح على وجه الإمام، فقال له عمر: (أكرهت يا علي أن يكون خصمك يهودياً ؟ فقال علي: لا ! ولكنني غضبت لأنك لم تسوِّ بيني وبينه بأن كنيتني فقلت يا أبا الحسن).

فبحسب مفهوم العدل في القضاء عند علي عليه السلام يجب أن لا يعيش أحد المتقاضيين ـ حتى على المستوى الشعوري ـ أي إحساس خفيٍّ بالهوان نتيجة التخوف من إيثار القاضي لمتقاضٍ على آخر لأي أمر. ولذا أوصى شريحاً القاضي قائلاً: (لا تُسارّ أحداً في مجلسك). لأن في هذه المسارّة ما قد يُقلق أحد المتخاصمين بأن القاضي يدبّر أمراً ما ضده، وهو ما يفقده توازنه النفسي فيخل بالعدالة بين المتخاصمين.

بل حتى فيما هو أقل من المسارّة حيث أوصى من يجلس للقضاء بقوله: (اخفض لهم جناحَك، وألن لهم جانبك، وابسط لهم وجهك، وآسِ بينهم في اللحظة والنظرة، حتى لا يطمحَ الأقوياءُ في حيفك، ولا ييأس الضعفاء من عدلك).

• على عهد خلافته:

وهكذا كان موقف الإمام من العدل في القضاء بعد أن اعتلى سدة الحكم، فلما خاصم نصرانياً في درع هي للإمام، وقف ـ وهو خليفة المسلمين ـ بصورة طبيعية أمام قاضي الكوفة كأي فرد من الشعب، إذ يؤمن كل الإيمان أن رئيس الدولة نفسه ليس بفوق أن يمثُل أمام القضاء، وهو

أمام القضاء كأي مواطن آخر، لأن القضاء في عقيدة علي عليه السلام ليس مؤسسة تُضاف إلى سائر المؤسسات التي أنشأها الأقوياء لأكل الظعفاء، والظالمون لإرهاق المظلومين، وأصحاب السلطان لأخذ السبيل على الناس بالعدوان والتنكيل.

وكان جل ما قاله الإمام: (إنها درعي ولم أبع ولم أهب) ولم يقل: (إنها درعي وقد سرقها)! خوفاً من أن يجرّح كرامة النصراني، فلعل شبهةً ما في البين!

لقد أكّد علي عليه السلام قولاً وفعلاً أن العدل أصلٌ لا علاقة له باختلاف الناس في أديانهم أو قومياتهم أو مراكزهم الاجتماعية أو غير ذلك، فالناس جميعاً متساوون فيه، ولذا قال: (ليكن أمرَ الناس عندك في الحق سواء).. وقال: (لا تبغوا على أهل القبلة ولا تظلموا أهل الذمة).

وإذا كان على القاضي أن يراعي هذه المساواة بهذه الحساسية، فإن على من يجعل من نفسه قاضياً سواء كنائب للأمة أو كأب بين أبنائه أو غير ذلك من المواقف، فإن عليه أن يكون منصفاً وحساسا ودقيقا في التعامل مع القضية التي يعالجها حكماً، وفي التعامل مع الطرفين أو الأطراف المتخاصمة.

• ضوابط اختيار القضاة:

ثانياً : وضع الإمام علي عدة ضوابط لاختيار القضاة الأصلح للقيام بهذه المهمة بما يضمن تحقيق العدالة ما أمكن، وهي ضوابط تهتم بأدق التفاصيل الروحية والعلمية والعقلية والأخلاقية. قال عليه السلام في عهده لمالك الأشتر: (ثم اختر للحكم بين الناس أفضلَ رعيَّتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ولا تُمحّكه الخصوم ـ أي لا يصبح لجوجاً معانداً بذلك ـ ولا يتمادى في الزلة ولا تُشرف نفسُه على مطمع ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفَهم في الشبهات وآخذَهم بالحجج وأقلَّهم تبرّماً بمراجعة الخصم، وأصبرَهم على تكشّف الأمور، وأصرَمَهم عند اتّضاح الحُكم، ممن لا يزدهيه إطراء ولا يستميله إغراء. وأولئك قليل).

• وقاية من أمرين:

ثالثاً : لما كان الإمام عليه السلام يدرك أن أهم أمرين قد يُسقطان القضاة ويحرفانهم هما:

١. ضغط السلطة التنفيذية، لذا فقد ابتكر فصل تأثير السلطة التنفيذية عليهم، وهو ما يعرف في هذا الزمان بمبدأ فصل السلطات ضماناً لاستقلالية القضاء، فقال للأشتر: (وأعطِه ـ أي القاضي ـ من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيرُه من خاصتك، ليَأمن بذلك اغتيال الرجال له عندَك ـ أي الاغتيال المعنوي ـ فانظر في ذلك نظراً بليغاً). أي اقطع الطريق على ذوي النفوذ للتدخل في شأنهم.

٢. الحاجة إلى المال ، ولذا أوصى الأشتر قائلاً: (وأفسِح له في البذل ما يُزيل علَّته وتقلّ معه حاجته إلى الناس).

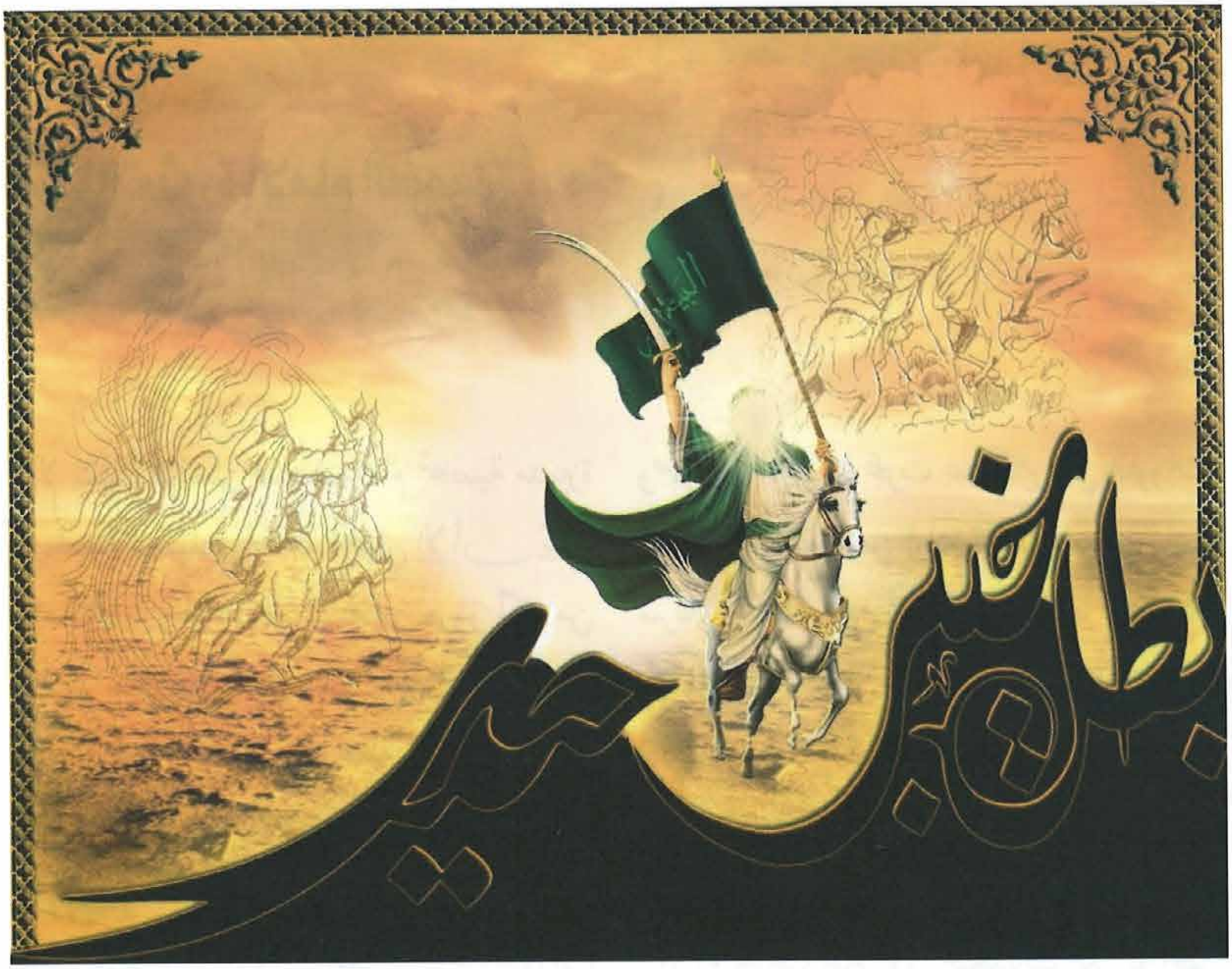

• التفتيش القضائي:

رابعاً : مع كل ذلك عمل الإمام عليه السلام على تأسيس حالة رقابية على القضاة أنفسهم، لأن القاضي في نهاية المطاف إنسان قد تدركه لحظة ضعف مع كل التحفظات السابقة، فقال: (ثم أكثر تعاهدَ قضائه)، وهذا يشبه ما يعرف اليوم بجهاز التفتيش القضائي.

لقد عُجنت طينة علي عليه السلام بالعدالة بأرحب دلالاتها ومفرداتها، وسمت روحه إلى الحق، فكان علي مع الحق والحق مع علي.. فتجسّد العدل فيه قولاً وفعلاً، ودار معه الحق حيثما دار.. ولذا عمل على ترسيخ ذلك دون كلل أو ملل، ودون مواربة أو مهادنة، وهو الذي يعلم أن المجتمع الصالح هو المجتمع الذي تسوده العدالة الاجتماعية بأوسع معانيها وأشرف أشكالها، وأن من ركائز هذه العدالة، العدالةَ في القضاء، وإذ يقر أهل الاختصاص اليوم أن سلامة الجسم القضائي محرك مهم للتنمية، حتى قيل: (أعطني قضاء سليماً وجيداً، أعطيك تنمية دائمة) وأن الإخلال بذلك زعزعة لأهم مقوِّمات استقرار البلد فضلاً عن تقدّمه.. فإن النموذج الذي قدّمه علي عليه السلام يمثّل مرجعية مهمة في هذا الإطار.

٢٦ رجب ١٤٣٣ هـ
١٦ يونيو ٢٠١٢ مـ

مميزات ثورة الإمام الخميني

أبرز محطة في حياة الإمام الخميني هي الثورة الإسلامية وكانت لها أبعاد مميزة، من قبيل الحفاظ على الأصالة في المنطلق والاستمرارية ..

لا يملك الإنسان المنصف أمام شخصية متميزة كشخصية السيد روح الله الخميني إلا أن يُبقي ذِكرها نابضةً بالحياة، عَلى الرغم من مرور أكثر من عشرين عاماً على رحيل ذلك الفقيه الرسالي.

ومن المعلوم أن أبرز محطة في حياة الإمام الخميني هي الثورة الإسلامية التي فجرها وقادها بكل اقتدار. وإذا كان العالم قد شهد ثورات عديدة قبلها وبعدها، وإذا كانت بعض تلك الثورات قد شهدت قيادات بارزة، إلا أن لتلك الثورة بقيادته أبعاداً مميزة، لا انتقاصاً من قيمة ثورات الشعوب المستضعفة والمظلومة، ولكن في عملية مقارنة أهدف من خلالها بيان قيمة ما أنجزه الإمام الخميني من خلال قيادته. ومن تلك الامتيازات:

أولاً ـ الحفاظ على الأصالة:

في المنطلق والاستمرارية، بعيداً عن الإرادة الاستكبارية ومخططاتها، على الرغم من كل الظروف والتحديات الهائلة التي تُخضع الجبال الشامخة.. ولكنها لم تخضع وصمدت. وكان الإمام الخميني هو الأساس في ضمان هذه الاستقامة وصمودها، وهو ما عجزت عنه كثير من الثورات، التي وإن انطلقت من إرادة الشعوب، إلا أنها سرعان ما تبتعد عن أصالتها وامتدادها لعوامل:

ـ كالوقوع في أحضان قيادات كانت أو غدت عميلة لهذه القوة الاستكبارية أو تلك.

ـ أو الاختطاف من قبل قيادات ذات توجهات حزبية ضيقة.

ـ أو الانحراف أمام أولى التحديات التي تواجهها.

ولم يكتف الإمام الخميني بالمحافظة على نزاهة الثورة واستقامة الدولة حال حياته، بل عمل على إيجاد المؤسسات، وبيان الضوابط الفكرية والشرعية التي من خلالها يضمن استمرار ذلك النهج بعد رحيله، الأمر الذي ما زالت إيران تدفع ضريبته الباهضة جداً على أصعدة عديدة.

ثانياً ـ رحابة الثورة إنسانياً:

فالإمام الخميني لم يحصر قضيته في إطارِ وطن، ولا في محيط قومية أو دين.. بل كان إنسانيَّ المنطلق.. إلهيَّ الغاية، ولذا انفتحت عليه شعوب العالم المقهورة، وتابعت ثورته بكل أمل، وتفاعلت

معه بكل حرارة، ورأت فيه القيـادة المخلّصة التي تستطيع أن ترسم لها معالم الخلاص من قهر الظلم ونير الاستضعاف. ومن عاش في تلك الفترة يدرك ما أقول. ولولا الأيادي الاستكبـارية الكثيرة التي عملت عـلى تقطيع أواصر تـلك العلاقة الجديدة الـتي بدأت تتشـكل بـين السيـد الخميني وبين الشعوب المستضعفة من خلال مؤامرات حـاكتها دوائر مخابراتية، ورصدت لها موازنات لا حد لها، وحرّكت عميلها المقبور صدام لإشغال الثورة الفتية في حرب طاحنة اسـتمرت ثمان سنوات، لولا ذلك لربما كان الوضـع مختلفاً بصورة كبيرة، ولكن كـما قال رحمه الله في أول خطـاب وجهه في هذا المجال: (أن الخير فيما وقع). وهذه الميزة تفتقدهـا كثير من الثورات ومنهـا ثورات الربيع العربي، إذ انطلقت لتحقيق أهداف محدودة في إطـار حدود الوطن، وهي بالتالي لا تمتلك تلك الرحابة، وإن كان لا يمكن إنكار تأثيرها الممتد.

ثالثاً ـ البعد الإسلامي الوحدوي:

فقد رفض الإمـام الخميني كل تأطير مذهبي أو وطني أو قومي، فهو على الرغم من اعتزازه الكبير بكونه فقيهاً في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وبكونه قـد قاد ثورته في وطنه، إلا أن ذلك كله لم يمثّل بالنسبة إليه عائقاً عن الانفتاح على كل المسلمين باختلاف مذاهبهم وباختلاف أوطانهم وقومياتهم، ولذلك عمـل على الدفـع بكل قوة نحو التقـارب والتعايش بين المسلمين، وعلى توحيد صفوفهم في قضاياهم الكبرى، واعتبار القضية الفلسطينية هي قطب تلك القضايا.

هذه الميزة أيضاً تفتقدها كثير من الثورات التي تعيش هموم قضاياها الخاصة، بل سرعان ما تتبنى قضايا طـائفية أو قومية أو أيديولوجية ذات أفق ضيق فتخسر رصيدها الخارجي بدرجة كبيرة.

رابعاً ـ انطلاقة البعد الفكري والثقافي والروحي:

فحركة الإمام الخميني لم تكن ثورة حركية سياسية فقط، بل كانت ثورة فكرية وثقافية وروحية أيضاً، إذ لم تكن المسألة بالنسبة إليه مجرد قلب واقع سيـاسي، بل تغيير واقع فكري وثقـافي ومعنوي بعيد عن الإسـلام.. ولذا عمل هو والمفكرون من حوله على النهـوض بهذا البُعد من الثورة كأولوية من الأولويات. لهذا كله ولسواه مما لا يسع المجـال لذكره نستطيع القول أن عـالمنا الراهن عاش منذ انطلاقة ثورة الإمـام الخميني في محطة سيـاسية وحضارية مختلفة جذرياً عن محطـات التاريخ السـابقة. لقد كان لإخلاص تلك الشيبة المبـاركة لله سبحانه، ولشجاعة ذلك الفقيه الكبير ولزهده وبصيرته الدور الأكبر في تحقيق ذلك، إذ استطاع أن يصدم العالم كله بالإسلام، ليدخل الإسلام إلى كل عقل وقلب، وأن يجعله شيئـاً علمياً وعمليـاً، بعد أن كان الإسلام يعيش الانكماش في الواقع السياسي والثقافي في العالم.

٣ شعبان ١٤٣٣ هـ
٢٣ يونيو ٢٠١٢ مـ

خطبتا صلاة الجمعة

ينبغي أن يكون الخطيب بليغاً مراعياً لمقتضيات الأحوال، عارفاً بما جرى على المسلمين، عالماً بمصالح الإسلام والمسلمين، شجاعاً صريحاً في إظهار الحق ..

تمتاز صلاة الجمعة عن سواها من الصلوات بالتشريع الإلهي باستبدال ركعتين منها بخطبتين، وما ذاك إلا للأهمية التي يُفترض بإمام الجمعة أن يوليها لمضمون الخطبتين، وضرورة حرص المصلين على تلقي المعرفة الإيمانية والروحية والأخلاقية والفكرية والسياسية والاجتماعية والتربوية من خلالهما في صورة عصارة لأهم ما يمس حياتهم، وخلاصة ما مرّ عليهم خلال أسبوعهم المنصرم.

• موعظة وموقف:

وقد روى الحر العاملي في وسائل الشيعة عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في بيان معالم الخطبتين قوله: (إنما جُعلت الخطبة يوم الجمعة لأن الجمعة مشهدٌ عام، فأراد أن يكون للأمير سببٌ إلى موعظتهم وترغيبهم في الطاعة وترهيبهم من المعصية، وتوقيفهم على ما أراد من مصلحة دينهم ودنياهم، ويخبرهم بما ورد عليهم من الآفاق من الأهوال التي لهم فيها المضرة والمنفعة... وإنما جعلت خطبتين ليكون واحدة للثناء على الله والتمجيد والتقديس لله عزّ وجلّ، والأخرى للحوائج والأعذار والإنذار والدعاء، ولما يريد أن يعلّمهم من أمره ونهيه ما فيه الصلاح والفساد).

وبالتالي فمن المهم أن تراعى الأطر العامة لخطبتي صلاة الجمعة كما وردت في الحديث السابق، وهو ما استرسل في بيانه الإمام الخميني رحمه الله بعبارة جلية في هذا المضمون حيث قال: (ينبغي أن يكون الخطيب بليغاً مراعياً لمقتضيات الأحوال بالعبارات الفصيحة الخالية عن التعقيد، عارفاً بما جرى على المسلمين في الأقطار سيّما قطره، عالماً بمصالح الإسلام والمسلمين، شجاعاً لا يلومه في الله لومة لائم، صريحاً في إظهار الحق وإبطال الباطل حسب المقتضيات والظروف.. أن يذكر في ضمن خطبته ما هو من مصالح المسلمين في دينهم ودنياهم، ويخبرهم بما جرى في بلاد المسلمين وغيرها من الأحوال التّي لهم فيها المضرّة أو المنفعة، وما يحتاج المسلمون إليه في المعاش والمعاد، والأمور السياسيّة والاقتصاديّة ممّا هي دخيلة في استقلالهم وكيانهم، وكيفيّة معاملتهم مع سائر الملل، والتحذير عن تدخّل الدول الظالمة المستعمرة في

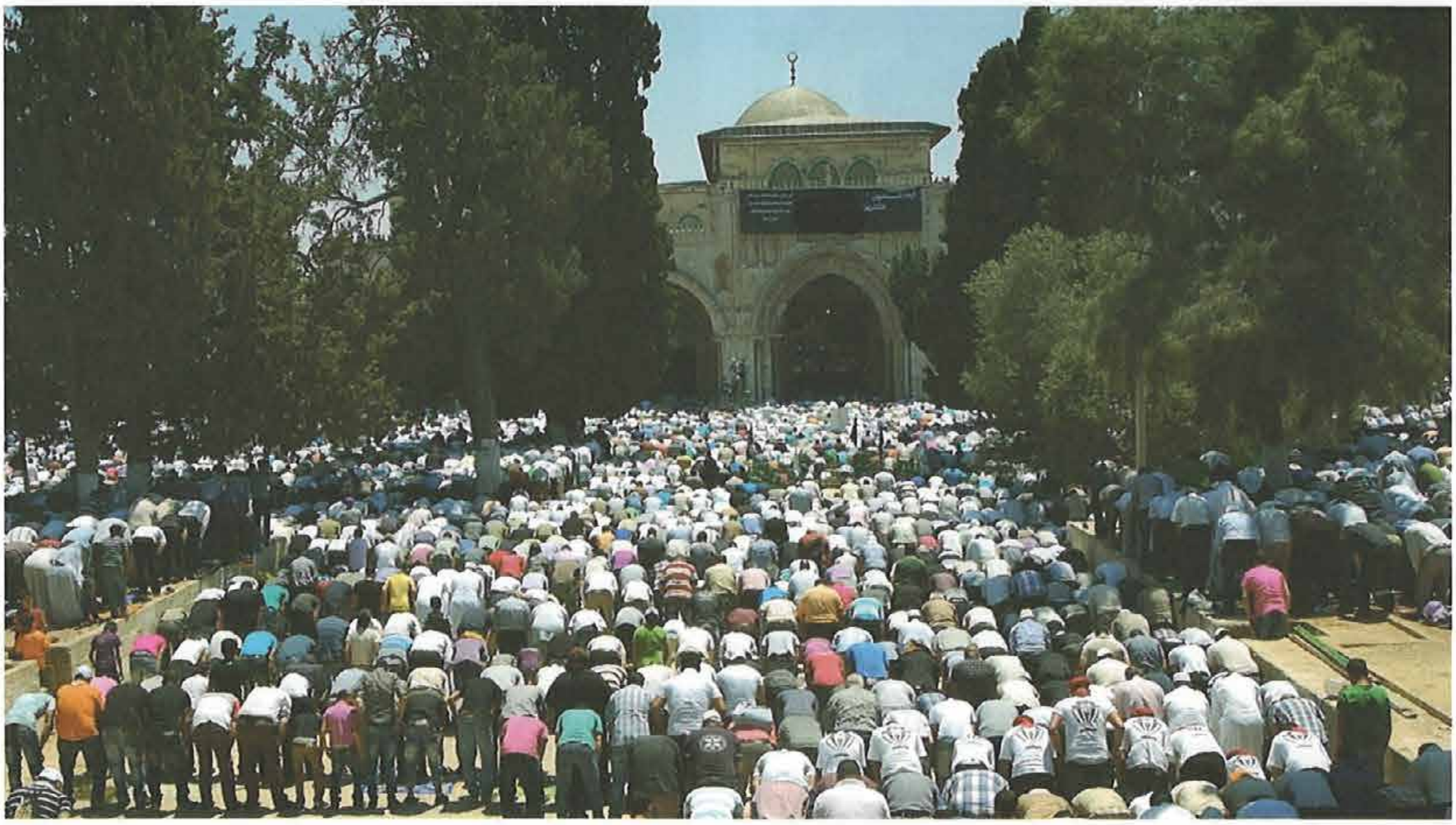

أمورهم، سيّما السياسيّة والاقتصاديّة، المنجرّ إلى استعمارهم واستثمارهم. وبالجملة: الجمعة وخطبتاها من المواقف العظيمة للمسلمين كسائر المواقف العظيمة، مثل الحجّ والمواقف الّتي فيه والعيدين وغيرها، ومع الأسف أغفل المسلمون عن الوظائف المهمّة السياسيّة فيها وفي غيرها من المواقف السياسيّة الإسلاميّة).

• نقد بنّاء:

وليس بالضرورة أن تكون الخطبة الثانية مجرّحة وناقدة بالصورة التي قد تستدعي بعض النتائج السلبية كما قد يتوهم البعض، فالحديث فيما يهم أمور الناس ويعالج قضاياهم الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية وبما يرد على الشبهات ممكن دون الدخول في المحذور السابق الذي قد يكبّل أيدي البعض عن الانطلاق في الخطبة.

كما وأن تناول هذه القضايا بالصورة المتزنة يمثل سبيلا لمعرفة كلمة الإسلام والموقف الشرعي منها، لاسيما ونحن نعيش في الكويت مساحة من الحرية تمكننا من ذلك إذا استفدنا منها بحكمة، أما الانعزال عن تلك القضايا والعزوف عنها فيمثّل خسارة على أكثر من صعيد.

• مقومات الخطبة الناجحة:

ومن الواضح أن طرح هذه القضايا تستدعي من الخطيب عدة أمور منها:

١. متابعة دائمة للتحديات الفكرية والأخلاقية المستجدة ومعالجتها بالأسلوب الأمثل بلا انفعال.

٢. متابعة حثيثة لأحداث الساعة على المستويين المحلي والدولي، خبراً وتحليلاً.

٣. تنويع مصادر المطالعة في المجالات الفكرية والثقافية والاجتماعية والتربوية والنفسية.





الجمعة وخطبتاها من المواقف العظيمة للمسلمين كسائر المواقف العظيمة، مثل الحجّ، ومع الأسف أغفل المسلمون عن الوظائف المهمّة السياسيّة فيها وفي غيرها..

٤. الاستئناس بآراء أهل الاختصاص في المجالات المختلفة.

٥. تجنب طرح القضايا النظرية البحتة، أو البعيدة عن اهتمام الناس، أو المعالجات غير الواقعية.

٦. عدم الاستغراق في القضايا التاريخية بصورة تُبقي التاريخ ماضيا لا ينطلق منه الإنسان لدراسة واقعه ومعالجة أوضاعه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلبَابِ﴾ (يوسف:١١١).

• لا للسب والإهانة:

يأتي كل هذا مع التأكيد على ضرورة الابتعاد عن طرح ما من شأنه أن يبث الفتنة ويحرّض على الفرقة، وذلك من خلال الالتزام بالقاعدة القرآنية: ﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّواْ اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام:١٠٨). وقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: (إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر وقلتم مكان سبِّكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به).

• تفاعل وتعاون:

ومن جانب آخر فإنني أدعو الإخوة المصلين في المساجد لأن يتعاونوا مع أئمة المساجد في هذا الشأن، وأن يتواصلوا معهم في بيان قضايا الساعة، وما يهم الناس، وأن يحثّوهم على معالجتها بالصورة السليمة، كما وأدعوهم إلى إعطاء الأهمية لحضور الخطبتين وللاستماع إليهما، فعن محمد بن مسلم عن الإمام أبي عبد الله جعفر بن الصادق عليه السلام أنه قال: (إذا خطب الإمام يوم الجمعة فلا ينبغي لأحد أن يتكلم حتى يفرغ الإمام من خطبته).

وأخيراً أقول أن تنوع وسائل الإعلام وتبادل المعلومات ويسرها ومساحة الحرية يحمّلنا مسؤولية توظيفها لنشر خطب الجمعة ذات العطاء المسؤول، وعدم حصرها بين جدران المسجد، وذلك لتعميم الفائدة، وأدعو الفضائيات على وجه الخصوص للاهتمام بنقلها بشكل أفضل مما هو عليه الآن.

١٠ شعبان ١٤٣٣ هـ
٣٠ يونيو ٢٠١٢ م

قيم الأكثرية وقيمتها

هل كون الأكثرية مع قرارٍ ما يعني صواب ذلك القرار وحقانيته، وكون الأقلية مع القرار الآخر يعني خطأه وبطلانه؟ وهل يطرح القرآن عكس ذلك تماما ؟

الحديث عن الأكثرية والأقلية متعدد الشعب، فتارة يكون حول ما تمثله من قيمة، وتارة حول البحث في مشروعية قرار الأكثرية، وهل هو الأكثرية كأكثرية أم أكثرية النخبة، وتارة حول علاقة هذا العنوان بالديمقراطية والشورى، والاختلاف بينهما، ومدى الإلزام في القرارات بالمستوى الذي يعد الخروج عنه خروجاً عن الشرعية أو ارتكاب المعصية، وغير ذلك من القضايا المتعلقة. وسأقسّم الحديث هنا عن الأكثرية والأقلية إلى قسمين:

• أولاً، في إطار القيمة:

الحديث عن الأكثرية والأقلية في إطار القيمة السياسية أو الاجتماعية، فهل كون الأكثرية مع قرارٍ ما يعني صواب ذلك القرار وحقانيته، وكون الأقلية مع القرار الآخر يعني خطأه وبطلانه؟ قد يبدو للوهلة الأولى أن القرآن الكريم في آيات عديدة يطرح عكس ذلك، وذلك من قبيل قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم:٣٠). وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ (الأنعام:١١٦). ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (الزخرف:٧٨). وكأن المنتزَع من الآيات الشريفة أن الأقلية هي التي تمثل القرار الصائب وحقانية الموقف، لا العكس.

والصحيح أن يقال أن القرآن الكريم لا يريد أن يثبّت أن الأكثرية كأكثرية تمثل الخطأ والباطل، ولا الأقلية كأقلية تمثل الصواب والحق.. فالمسألة بحسب القرآن لا ترتبط بالعدد، وإنما ترتبط بالمضمون نفسه، تماماً كما جاء في نهج البلاغة في الحكمة ٢٥٩ حينما سأل الحارث بن حَوْطٍ فقال: (أتُراني أظنّ أصحابَ الجمل كانوا على ضلالة؟) فقال الإمام علي عليه السلام: (يَا حَارِثُ، إنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتَكَ وَلَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ فَحِرْتَ إنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفَ مَنْ أتاهُ، وَلَمْ تَعْرِفِ البَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ أتَاهُ).

فالإمام عليه السلام يعتبر أن القاعدة الصحيحة هي أن يسعى الإنسان لاكتشاف الحق من المصادر الأصيلة حتى يعرف أي الفريقين على حق وأيهما





كون الأكثرية على خطأ في القرآن بمثابة وصف تاريخي لواقع حال الناس، ولا يمكن تعميمه في كل حالة بحيث يتحوّل إلى قاعدة مفادها أن الأكثرية دائماً على باطل..

على باطل، وفي ذات الوقت فإن هذه القاعدة تتضمن تحذيراً من الانبهار بالعدد بما يستوحش من خلاله الإنسان من المخالفة، فلربما لا تملك هذه الكثرة العددية العقل النوعي الذي يمكن الركون إليه، فلربما يكون أكثر من فيهم إنما ينظرون إلى الأمور بسطحية، أو وفق حساب المصالح الشخصية، أو يُساقون سوقاً دون تفكير من خلال الاتباع القبلي أو الحزبي أو العصبي، تماماً كما في المقولة المشهور: (الناس على دين ملوكهم).

ومن طريف ما قرأت أنه (كان الناس في زمن الحجاج إذا أصبحوا يتساءلون إذا تلاقوا: مَن قُتل البارحة ومن جلد؟ وكان الوليد بن هشام صاحب ضياع ومصانع، فكان الناس يتساءلون في زمانه عن البنيان والمصانع وشق الانهار، وغرس الأشجار، ولما ولي سليمان بن عبد الملك وكان صاحب طعام وقيان، كان الناس يتحدثون ويتساءلون عن الأطعمة اللذيذة، وفي أخبار القيان والسراري، ويعمّرون مجالسهم بذكرهن، ولما ارتقى عمر بن عبد العزيز الخلافة كان الناس يتساءلون: كم تحفظ من القرآن؟ وكم وِرْدك كلَّ ليله؟ وكم يحفظ فلان؟ وكم يصوم في الشهر؟) هكذا تتقلب أحوال الناس إلا من عصم الله.

وقد تتساءل: فلم أكّد القرآن في أكثر من آية على الوصف السلبي للأكثرية؟ والجواب عن ذلك أن الأمر يعد مجرد وصف تاريخي لواقع حال الناس، وهذا الوصف لا يمكن تعميمه في كل حالة بحيث يتحوّل إلى قاعدة مفادها أن الأكثرية دائماً على باطل، والأقلية دائماً على حق، فقد يكون الطرفان على باطل، كما قد يمتلك هذا الطرق شيئاً من الحق والطرف الآخر شيئاً من الحق أيضا. وعليه فإن الوصف الوارد في الآيات لا يمثّل قاعدة يمكن الركون إليها في تشخيص الحق من الباطل.

بالطبع هذا لا يعني رفض وعدم شرعية المشاركة الشعبية في اتخاذ القرار من خلال البرلمانات وغير ذلك ولا الدعوة إلى الاستبداد، فهو عنوان آخر يبحث من خلال تفاصيل عديدة في قراءة

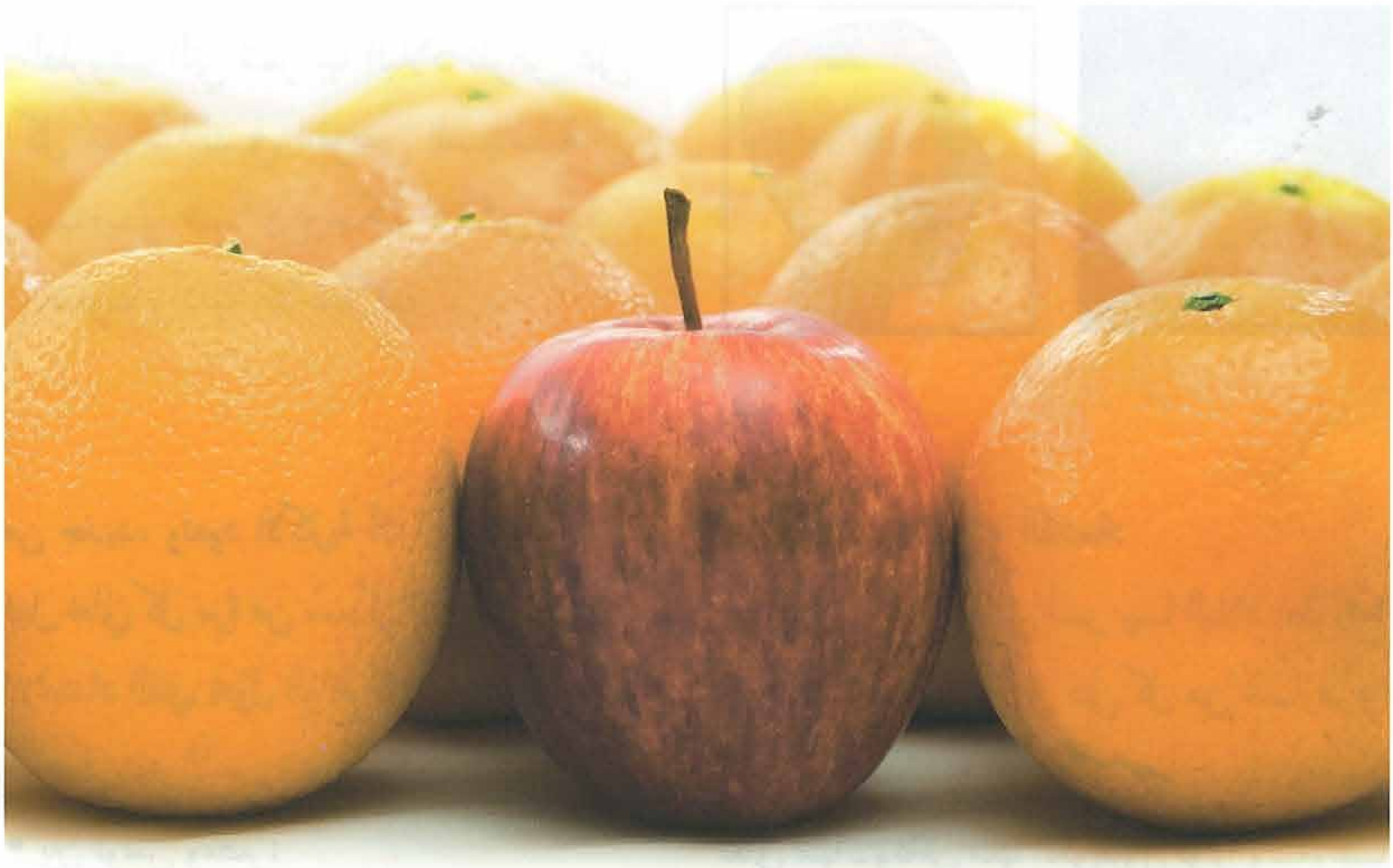

للديمقراطية والشورى ومواقع التلاقي والتعارض في ما بينهما وغير ذلك من التفاصيل التي لا أريد الخوض فيها ضمن هذا المقال.

• ثانياً، أدب امتلاك الغلبة:

فالإنسان ـ كفرد أو كمجموع ـ معرّض إلى الشعور بالغرور والعُجب بالمستوى الذي يُفقده توازنه، ليتحول إلى طاغوت يريد أن يكتسح كل ما أمامه، ويلغي كل من يختلف معه، وأن يفرض كل ما يريده بالضغط والترهيب: ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى، أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ (العلق:٦-٧). وأن يحوّل ما حوله إلى حقل مليئ بالألغام ليعرقل حركة الآخرين ويكون الطريق مفتوحاً له وحده في السبيل الذي يحدده هو.. وينسى أن الآخرين شركاء معه، سواء في نفس الكيان السياسي أو في المؤسسة أو في الوطن، تماماً كالحالة التي عاشها صاحب الجنة الذي نقل القرآن حواره مع صاحبه المؤمن الذي كان يدعوه لشكر نعم الله بالإيمان والعمل الصالح، إلا أنه أبى إلا كفوراً: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا، وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ (الكهف:٣٤-٣٥). فهو ليس على استعداد للاستماع إلى الآخرين، لأنه يعيش حالة من سكر القوة ونشوة الامتداد، وهو ينسى أنه كان يعيش الضعف في يوم ما، وأنه لربما تألم من سطوة الأقوى أو الأكثر في ما مضى، ليعود ويكرر ذات الخطأ حين دارت الدوائر، وستدور الدوائر

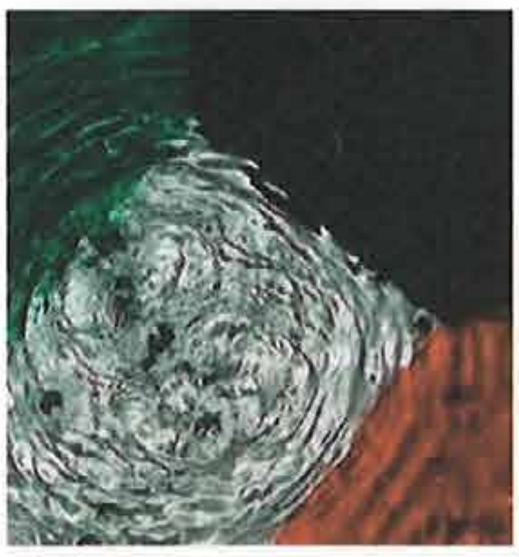

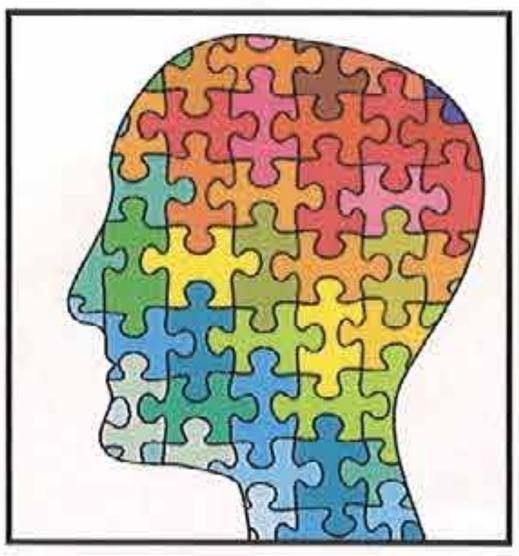

الظروف التي تمر بها البلاد تفرض على كل من شارك في الفوضى السياسية أن يستعيدوا شيئاً من حكمة التفكير وتوازن السلوك وأدب الاختلاف ..

من جديد، وتعود الأكثرية أقلية، والأقلية أكثرية، فهل نعاني كل مرة من سُكر امتلاك القوة ونشوة الامتداد الذي يحوّل الواقع الذي نعيشه إلى واقع ضاغط يفقد الآخرين توازنهم أيضاً؟

• بين تونس ومصر:

ويمكن للمتابع للشأن السياسي الخارجي أن يقارن وضع تونس بعد الثورة بمثله في مصر.. فالاستقرار السياسي النسبي في تونس تحقق في جانب كبير منه بسبب مبادرة حزب الأغلبية الفائزة إلى دعوة الآخرين إلى المشاركة الحقيقية في السلطة وفي اتخاذ القرار. ولك أن تقارن ذلك مع وضع مصر مثلاً حين انطلقت الأكثرية فيها للاستحواذ على كل شيء، وكيف أنها فقدت الزخم الثوري فأحدثت ربكة في مسيرة الثورة مما أتاح الفرصة للأطراف المضادة للثورة للتقدم في مواقع عديدة، إلا أنه لما عاد شيء من التلاحم والثقة بين تلك الأطراف الثورية قبيل إعلان نتائج الانتخابات الرئاسية استعادت شيئاً من بريقها وتأثيرها.

• الكويت في المرحلة القادمة:

إن الظروف التي تمر بها البلاد بعد حكم المحكمة الدستورية تفرض على كل من شارك في الفوضى السياسية التي عانينا منها جميعاً ـ وما زلنا نعاني منها ـ وعاش معها الكويتيون توتّراً وضغوطاً نفسية هائلة، إنها تفرض عليهم جميعا أن يستعيدوا شيئاً من حكمة التفكير وتوازن السلوك وأدب الاختلاف، هذا إن كانت مصلحة الكويت ـ حقاً ـ محط أنظارهم، وكفى عبثاً وأنانية وطغياناً وغروراً.. فالوقت وقت حكمة رجالات الكويت، نريد حراكاً ومبادرات سياسية عاجلة من عقلاء الوطن يُتعالى فيها على الجراح، وتُفتح فيها صفحة جديدة تقوم على المواطنة الحقيقية والعيش المشترك والمشاركة السياسية للجميع دون إقصاء لأحد، صفحة جديدة لا تقوم على المزايدات من خلال هدر المال العام واستعراض القوة، بل على القاعدة القرآنية ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (الإسراء:٥٣).

١٧ شعبان ١٤٣٣ هـ
٧ يوليو ٢٠١٢ م

المهدوية والهروب إلى الأمام

مرت أكثر من ٥٠٠ سنة على البشارة بنبوة نبينا من قبل المسيح دون أن تتحول هذه البشارة، أو يغدو هذا الانتظار حالة من الهروب إلى الأمام، ورضا بالواقع ..

هل يمثل الإيمان بالمهدوية حالة من الهروب إلى الأمام، بمعنى أن المجتمعات الإنسانية حين تشعر بالضعف عن مقاومة الظلم، فإنها تبحث عن قادم في المستقبل ـ القريب أو البعيد ـ والذي سيخصلها من نير الظالمين، لتستكين ـ الآن ـ إلى الوضع القائم وترضى به مرغومة، إيماناً منها بأن الخلاص لن يتحقق ما دام أن هذا المخلِّص لم يظهر بعدُ؟ هذه الإشكالية يطرحها عدد من الكتاب الذين يعتبرون أن العقيدة المهدوية لا تعدو أن تكون أسطورة من نسج خيال الإنسان الضعيف على مر التاريخ، يبرر بها استسلامه للباطل والظلم، وأخذت مسميات عديدة، كما هي عقيدة اليهود في إيليا، وعقيدة النصارى في المسيح، وعقيدة المسلمين في المهدي.

• انتظار المخلص:

انتظار المخلِّص ـ بشكل عام ـ وإطلاق البشارات بظهوره في زمن قادم أمرٌ اعتادته الرسالات السماوية، وعرفه المؤمنون بها في أزمنة مختلفة، وهي جزء من الحالة الإيمانية التي تمزج عالم الشهادة بعالم الغيب، وتربط الحاضر بالمستقبل، من خلال الوحي الذي يُعتبر من أهم ركائز الإيمان بالرسالات السماوية، ومثال ذلك البشارة بظهور النبي الأكرم محمد ﷺ قبل قرون من بعثته وانتظار المؤمنين لتحقق تلك البشارة جيلاً بعد جيل، إلى أن شاء الله سبحانه أن يتحقق ذلك بعد أكثر من ٥٠٠ عام من زمن إطلاق البشارة: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (الصف:٦)، دون أن تتحول هذه البشارة، أو يغدو هذا الانتظار حالةً من الهروب إلى الأمام، ورضا بالواقع الذي عاشه المؤمنون بالرسالة العيسوية، بل كان مفتاح الأمل الذي يدفعهم دائماً للصبر في الله، والثبات في طريق الابتلاءات العظيمة والاستعداد للحظة الحقيقة، لا الصبر السلبي الذي يخنع فيه الإنسان للظلم فيتخلى عن إيمانه وقيمه في مقابل انتظار من يأتي ليغيِّر له الواقع ـ على الراحة ـ إلى ما هو أفضل: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ





لعل من يتحدث عن الهروب إلى الأمام من خلال الاعتقاد بالمهدي إنما يتحدث عن نوع من الانتظار السلبي، دعا إليه البعض ممن أخطأ قراءة العقيدة المهدوية ..

وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ، وَإِذَا سَمِعُواْ مَـا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّـاهِدِينَ، وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ (المائدة:٨٢-٨٤).

• أقسام الانتظار:

ولعل من يتحدث عن الهروب إلى الأمـام من خلال الاعتقاد بالمهدي المنتظر إنما يتحدث عن نوع من الانتظـار السـلبي، دعا إليه البعض ممن أخطـأ قراءة العقيدة المهدوية، إذ يمكن القول أن بين أيدينا ثلاثة أقسام من الانتظار:

١. الانتظـار الإيجـابي: وهو الذي يتمسك فيه الإنسان بعقيدته ومبادئه وقيمه، ويسعى جـاهداً لإصلاح الواقع الذي يعيشه ما استطاع، باعتبار ذلك جزءً من مسؤوليته أمام الله وأمام الإنسانية في كل زمان، وباعتباره رافداً من روافد الاستعداد لاستقبال الظهور المنتظَر لمخلِّص البشرية جمعـاء، ولو في قرون لاحقة، فعن ابن مسـعود ﷺ عن النبي ﷺ: (لا تذهب الدنيا حتى يملك رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً). فكما أننـا نحصد ما زرعه مَن سبقنـا، فعلينـا أن نـزرع ليحصد اللاحقون ما زرعنا.

٢. الانتظار السلبي: إذ يدعو البعض إلى الرضوخ إلى الواقع القائم مهما كان سيئاً، لأن الحقيقة الغيبية ـ وفق ادعائهم ـ تنص على أن أية حركة رافضة للظلم، وثائرة على الباطل فهي أيضاً ظالمة، وعلى باطل مـادامت غير منضوية تحت لواء المهدوية، فعن الإمـام محمد البـاقر ﷺ: (كل راية تُرفع قبل راية القـائم ﷺ صاحبها طـاغوت!). وقد حقق بعض أهل الاختصاص هـذه الروايات وخرجوا بنتيجة مفادها أن هذه الروايات إما ضعيفة وإمـا أنهـا تخبر عن الرايات المرفوعة من قبل أناس يدّعون المهدوية قبل ظهـور المهدي الحقيقي، أو يدّعون النيابة الخاصة عن المهدي ليحققوا لأنفسهم مكاسب خاصة بعيدة عن الحق.

٣. الانتظار السلبي الفـاعل: وهو القسم الأخطر من سـالفه، إذ يدعو إلى تحقيق مقدمة ظهور

المهدي في عنوانه الأبرز: (كما ملئت جوراً وظلماً)، والمساعدة على تحقق هذا الظلم الفادح على الأرض، من خلال السكوت تارة لتيسير السبيل أمام (القوى الشيطانية) لتفسد في الأرض بأسرع صورة ممكنة، بل ومن خلال المعاونة على انتشار الجور بتقديم خدماتها إلى الظالمين إسهاماً منها في تحقيق المقدمة الحتمية لظهور المهدي! ومن الواضح تعارُض هذا مع مبدأ كل إنسان مؤمن يتحمل مسؤولياته في كل زمان بغض النظر عن المسألة المهدوية، ومن ضمن مسؤولياته الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:١٠٤)، فهل يمكن لمسلم عاقل أن يقول أن تكليفه لا يتوافق مع ما في الآية القرآنية بذريعة انتظاره لظهور المهدي في آخر الزمان؟ وقد ذم القرآن قسماً من بني إسرائيل بسبب تخليهم عن مسؤولياتهم تجاه الباطل: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المائدة:٧٨-٧٩). والملاحظ أن اليمين المسيحي المتطرف في الولايات المتحدة عمل خلال عهد حكومة (بوش الإبن) من منطلق عقائدي على تقديم الدعم الهائل لكل المشاريع الصهيونية، والدفع بقوة نحو حالة صدامية بين الحضارات، لتحقق لليهود من خلال دولتهم قوة وسلطاناً وإمعاناً في الفساد والظلم كي يكون ذلك مقدمةً لظهور السيد المسيح! وهو توجه لا يبتعد في منحاه العام عن القسم الثالث من الانتظار.

• خطأ مفهومي:

بات من الواضح الآن أن من يتحدث عن سلبية الإيمان بالعقيدة المهدوية لأنها تؤصّل الرضا بالباطل، وتخدم مصالح ذوي السلطة، وتدفع للهروب إلى الأمام بدلاً من مواجهة الواقع السلبي، إنما يتحدث عن أصحاب القسمين الثاني والثالث، فحقيقة الانتظار تأتي بمعنى أن ننتظر المهدي عليه السلام لا انتظار الغافلين، ولا انتظار المرتاحين، ولا انتظار المعينين على الفساد والظلم، بل انتظار الرساليين الذين يحملون همّ الإنسانية المعذّبة، والواقع الفاسد، والجور المتفشي، والظلم المستفحل، فيعملون بما أوتوا من قوة لتغيير ذلك كله إلى الأحسن، متقربين بذلك إلى الله سبحانه، منتظرين ظهور من يملأ الأرض كلها عدلا وقسطا، دون أن يمنعهم ذلك من أن يحاربوا الظلم في واقعهم، ويسعوا لرفع الجور ما أمكن.. لأن المهدي رسالة نعيش روحانيتها في الحاضر، ونفعّل أهدافها في الواقع، وننتظر حركتها الشمولية في المستقبل.

٢٤ شعبان ١٤٣٣ هـ
١٤ يوليو ٢٠١٢ مـ

المرجع فضل اللّه
شجاعة الفكر والقول والعمل

المرجع فضل الله: لـم يكن عندي خوفٌ من المعارضة، لأنني أعتقد أنَّ على الإنسان أن يقول كلمته بغضّ النظر عن ردود الفعل، طالما يؤمن بأنَّ كلمته تـمثّل الحقيقة..

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُم تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ (سبأ:٤٦)، تدعو الآية لامتلاك الإنسان من الإرادة والشجاعة ما يدفعه للابتعاد عن العقل الجمعي الذي ينساق وراءه دون تفكير في مدى صحة متبنياته فيتبعه غالباً اتباع الأعمى ويردد مقولاته دون وعي، وكما جاء في بعض النصوص العلمية: (العقل الجمعي يمانع بطبيعته عملية التغيير بعكس العقل الفردي، إذ يميل الإنسان بمفرده لحساب العواقب، وهذا الحساب هو ما يميز العقلانية عن اللا عقلانية، ولكن إذا انجرف العقل الفردي لشروط العقل الجمعي فحينئذ سيصاب حتمياً بمعظم آفاته كالانفعال والغضب).

بالطبع فإن هذا لا يعني أن يكون الإنسان متمرداً على القرارات الجماعية، فليس هذا هو المراد من العقل الجمعي، بل المقصود أن لا يقع الإنسان تحت تأثير آراء الآخرين بالمستوى الذي يلغي فيها عقله، ويجمّد تفكيره، ولا يحاول أن يكوّن لنفسه رأياً وفق الأسس السليمة.

• فضل الله والعقل الفردي:

وهذه الميزة من الأمور التي تجلّت في شخصية المرجع والمفكر الراحل السيد محمد حسين فضل الله ونحن نعيش الذكرى السنوية الثانية لرحيله. صحيح أن شجاعته هذه وابتعاده عن العقل الجمعي جعله عُرضة لكثير من النقد والتجريح والإساءة البالغة التي لم تكف عنه حتى بعد أن غادر هذه الدنيا الفانية إلى جوار ربه، إلا أنها قدّمت منهجاً علمياً رصيناً، وفتحت آفاقاً رحبة في فهم الدين وعلاقته بالحياة، وحمّلتنا مسؤولية أن نفكر قبل أن نقول نعم أو لا، وهو الذي كان دائماً يكرر: (لا تعيروا عقولكم للآخرين ، ولا تسمحوا لأحد بأن يملأ عقولكم).

في عام ٢٠٠٣ حاورته جريدة الرأي العام حول فتواه في الاستنساخ وسأله الصحفي إن كان قد خاف أو تردد في طرح رأيه في الأمر فقال: (لم يكن عندي خوفٌ من المعارضة للرأي، لأنَّني أعتقد أنَّ على الإنسان أن يقول كلمته بغضّ النظر عن ردود الفعل، طالما هو يؤمن بأنَّ كلمته

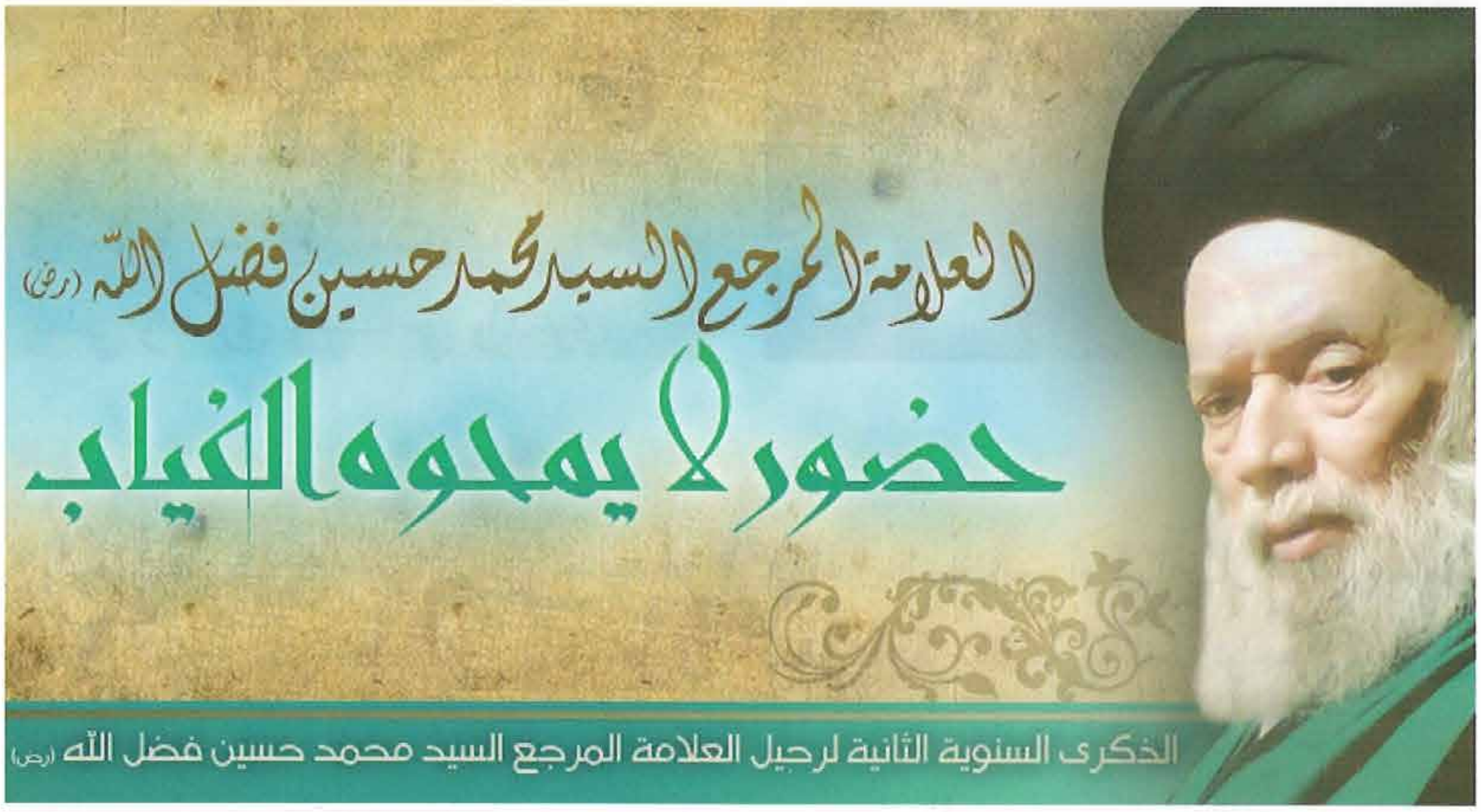

تمثِّل الحقيقة.. وإذا كانت هناك أيّة وجهة نظر أخرى، فأنا مستعد لأن أدخل في الحوار معها. فإذا اكتشفت الخطأ فإنَّ لديّ الشجاعة للتراجع عن رأيي).

إنها في الواقع شجاعة في إطلاق الفتوى، وشجاعة في الحوار، وشجاعة في التراجع إن قام الدليل على وقوع الخطأ.. شجاعة ترجمها إلى الإفتاء بما قام عليه الدليل ولو خالف فتاوى الفقهاء على مدى قرون.. وشجاعة قلل من خلالها كثيراً من (الاحتياط الوجوبي) غير المبرَّر الذي يعقّد حياة المكلفين.. وشجاعة دفعته للأخذ بالمعطيات العلمية اليقينية في تشخيص الموضوعات ولم يكتفِ بفرض (إن كان كذا فكذا، وإن لم يكن فلا)، فقدّم للناس الفتوى عن علم وتشخيص خارجي للمسألة.

وبعد هذا فهي شجاعة علمية في مواجهة ردود الفعل العنيفة حتى من أقرب الناس إليه، وهو ما كرره في أكثر من موقف: (هذا ما أتحدث به دائماً. ولهذا، في كل مسيرتي لن أجامل أحداً.. قلت لهم عندما ترونني لا أمثل قناعاتي، فلن أكون موجوداً).

• شجاعة عن وعي:

وفي قناعتي أن شجاعته انطلقت عن وعي لأهمية هذا العنصر في تركيبة الشخصية الرسالية بما يمكّنها من أداء دورها لا في حالات الرخاء فقط، بل أن تتجلى كلمة الحق وينبلج الموقف الحاسم عند الشدة، دون تردد أو تلكؤ بداعي التوقف عند الشبهات، أو الهروب من الفتنة، أو الخوف على المصلحة العامة، مما قد يُبعد الإنسان عن تأدية الواجب، أو التخلي عن مسؤولية (القائد) حين تلتف الساق بالساق.



كان المرجع فضل الله يطالب الآخرين بأن يعالجوا مشكلة التردد والخوف عندهم كي يكونوا بمستوى المسؤولية في المجال العلمي والفكري والسياسي والدعوي ..

وأراه يتمثّل ما كتبه هو ضمن حديثه عن جده أمير المؤمنين علي عليه السلام: (كان كل شئ في شخصيته عليه السلام في خدمة الله، وهكذا كان سيفه وبطولته وشجاعته، لا في خدمة الذات، وإنما في خدمة الله. لم تكن الشجاعة والبطولة عنده حالة ذاتية، ولم يكن السلاح ملكاً شخصياً له، فهو يعتبر ذلك ملكاً لله، لهذا كان لا يحرك سلاحه إلاّ في المواقع الذي يريد، التي تتطلب منه أن يحرك سلاحه فيها، كان ينتظر أمر الله وينتظر المعركة التي يشعر أنّ الله يرضى بها، ولا يسمح لنفسه أن يدخل في أية معركة يمكن أن لا تكون في رضا الله، أو يمكن أن تسيء إلى الإسلام).

بمثل هذه الرؤية لشجاعة علي عليه السلام انطلق في حياته ليكون الشجاع لا في خدمة الذات، وإنما في خدمة الله.

• دعوة للآخرين:

ولذا كان يطالب الآخرين بأن يعالجوا مشكلة التردد والخوف عندهم كي يكونوا بمستوى المسؤولية، سواء في المجال العلمي والفكري أم في المجال السياسي أم في المجال الدعوي، وهو القائل: (لنكن مقاومةً في الفكر تواجه كلَّ الظالمين والمستكبرين، مقاومةً تحاول أن تنتج عناصر القوّة من داخل الأمة، تنتج عناصر القوّة حتى نتواصى بالحق فلا يسقط الحق بيننا، ونتواصى بالصبر فلا نسقط أمام الجزع. تعجبني كلمة قالها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما أرسل شخصاً ورجع يُجبّن أصحابه ويجبّنونه في وقعة خيبر، وأرسل شخصاً ثانياً ورجع يجبّن أصحابه ويجبّنونه، قال: [لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يحبُّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله كرّار غير فرار] لنكن هذا الرجل، حتى نشجِّع أصحابنا ويشجّعونا. ولنتحدّث عن الشجاعة ولا نتحدّث عن الضعف).

• شجاعة سياسية:

نعم، لم يهب (السيد) كل محاولات الاغتيال والصواريخ والمتفجرات التي استهدفته شخصياً، وراح ضحيتها المئات من الأبرياء، واشتركت فيها دول استكبارية وجهات استخبارية عديدة كانت ترى فيه الأب الروحي للعمل الإسلامي المقاوم،





لم يهب المرجع فضل الله مواجهة كل محاولات القتل المعنوي الذي يبقى معه الإنسان حياً جسداً إلا أنه يفقد حرية التفكير وحرية الكلمة وحرية الموقف ..

فأرادت أن تُسكت ذلك الصوت، ولكنهم لم يعرفوا من هو محمد حسين فضل الله.. حسبوا أن رصاصتِهم (التي إن لم تصب ستُدْوش) وتُزعج وتُفقد (السيد) توازنه، ليقبع بعدها في زاوية حجرته، مفضلاً الدور التقليدي لعالم الدين..

ولكنَّ كيدهم عاد إلى نحورهم، وفي كل مرة ينطلق (السيد) من جديد في ميدان المواجهة مع العدو كجدِّه حيدرة عليه السلام أسداً هصوراً ازداد قوة إلى قوته وعزيمة إلى عزيمته.

وكما أنه لم يهب محاولات التصفية الجسدية فإنه كذلك لم يهب مواجهة كل محاولات القتل المعنوي الذي يبقى معه الإنسان حياً جسداً إلا أنه يفقد حرية التفكير وحرية الكلمة وحرية الموقف، ليكون خاضعاً لهذا الشخص أو لتلك الجهة خضوعاً ذليلاً، وآمن أن عليه أن يكون شجاعاً في مواجهة الأمرين معاً.

وهكذا كان الشجاع أيضاً في الموقف السياسي، وهو الذي عاش في بلد لم يذق طعم الراحة منذ أمد بعيد، في أجواء الحرب الأهلية، وفي الاحتلال الصهيوني، وفي كل النزاعات الطائفية والحزبية، وفي التدخلات الإقليمية، وفي كل الخروقات الأمنية وأجواء الصراع، فعاش (السيد) في عمق الحدث، فكانت تحليلاته الدقيقة تسبق الحدث، وكانت توجيهاته الأبوية تفرض احترامها على القريب والبعيد، لا يداهن في ما يقول، ولا يجامل على حساب المصلحة العامة، ولذا عرف الجميع في موقفه السياسي: الإخلاص والصدق والبصيرة.. والشجاعة.

كما أنه لم يؤطّر نفسه في حدود لبنان، بل كانت حركته السياسية فكراً وتفاعلاً وإحاطةً وتربيةً وتوجيهاً ذات شمولية واسعة، فقصدته الوفود الدولية والشخصيات من ذوي الاهتمام السياسي لينهلوا من عطائه الذي لا يعرف المجاملة السياسية. أعلى الله مقام المرجع الراحل وجعله في أعلى عليين مع أجداده الطاهرين.

٢ رمضان ١٤٣٣ هـ
٢١ يوليو ٢٠١٢ م

الرحلة الغارودية

الخروج من الكفر إلى الإيمان قد يتم بعوامل مختلفة منها الانبهار بمعجزة لنبي أو بالقيم الأخلاقية العظيمة أو نتيجة الحاجة والإحساس بالضعف أو لقناعة عقلية ..

من روعة البيان القرآني أنه يحمل في طياته إمكانية استيحاء المعاني من تعابيره بجانب دلالتها الحقيقية المباشرة المتحققة من ظاهر النص، ولعله هو المراد من باطن القرآن وظاهره كما في بعض الأحاديث، وهذا ما نجده في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ ممَّن تَشَاء وَتُعزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيلِ وتُخرِجُ الحيَّ مِنَ الميِّتِ وتُخرِجُ الميِّتَ مِن الحيِّ وتَرزُقُ مَن تَشاءُ بغيرِ حِسابٍ﴾ (آل عمران:٢٦-٢٧).

ففي الحديث النبوي: (يخرج الحي من الميت و يخرج الميت من الحي. قال: المؤمن من الكافر و الكافر من المؤمن) فمن الواضح أن ليس هذا هو المعنى الظاهر والأصلي للعبارة، بل هو معنى استيحائي باعتبار أن الله سمّى الإيمان حياة ونوراً والكفر ظلمة والكافر كالميت والأصم إذا ولى مدبراً، كما قال تعالى في بيان المقارنة بين حال المؤمن والكافر: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ الأنعام:١٢٢.

ومن الضروري هنا أن نؤكد على أن للاستيحاء أسسه اللغوية لئلا يتحول إلى وسيلة للتلاعب في القرآن ودلالاته، كما فعل البعض حيث اعتبر أن المراد من الجنابة إفشاء الأسرار!

• من الكفر إلى الإيمان:

هذا الخروج من الكفر إلى الإيمان قد يتم بعوامل مختلفة، فقد ينبهر إنسان بمعجزة فيؤمن: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ، فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ، وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ، قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف:١١٧-١٢١). وقد يؤمن نتيجة الانبهار بالقيم الأخلاقية في الإسلام كما في العديد من الأحداث التي جرت في العهد النبوي وما بعد ذلك، كما قد يؤمن نتيجة الحاجة والإحساس بالضعف: ﴿حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ





تمرد غارودي على الشيوعية التي آمن بها في شبابه، وانفتح على الإيمان بالله ثم شرح الله صدره للإسلام، نتيجة قناعة متبلورة من عمق فهم الوجود والحياة ..

الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (يونس:٢٢). إلا أن أهم وأرقى صور الإيمان هو ذلك النابع عن قناعة عقلية متبلورة من عمق فهم الوجود والحياة والإيمان.

• محمد رجا غارودي:

في الثالث عشر من يونيو ٢٠١٢ توفي الفيلسوف الفرنسي المسلم روجيه غارودي عن عمر تجاوز الثامنة والتسعين، ومن يطّلع على مراحل حياته يجده مصداقاً من مصاديق قوله تعالى في المعنى الاستيحائي: (يُخرج الحي من الميت). فقد وُلد روجيه (محمد رجا لاحقاً) من أب ملحد وأم كاثوليكية، ولكنه اختار في بداية حياته الالتزام بالبروتستانتية، ومع ظهور الشيوعية بقوة انضم إلى الحزب الشيوعي وهو في العشرين من عمره، ليغدو بمرور الوقت الفيلسوف الرسمي للحزب وأحد قادته.

ولكن عقله لم يهدأ، فتمرد على الشيوعية في حزمة إشكالات طرحها ليبدأ رحلة البحث من جديد عن الإيمان، فالتزم الكاثوليكية، ولم يجد فيها مبتغاه، فانفتح على الإسلام وبدأ يقرأ ويؤلف في هذا المجال حتى شرح الله صدره عام ١٩٨٢، معتبراً: (أن الإسلام يقدم تصوراً عقلانياً ومتكاملاً للكون والإنسان والحياة والله، كما أن تشريعات الإسلام تلائم طبيعة الإنسان والحياة ملاءمةً تامة، فضلاً عن انفتاح الإسلام على العقائد التي سبقته وانفتاحه على الثقافات الأخرى والعلم والفلسفة).

• أهم القضايا التي شغلته:

ما يهمنا هنا بجوار وصوله إلى الحقيقة عن طريق العقل والتفكير والمقارنة، القضايا التي تبناها بعد إسلامه، وكيف استطاع الإسلام أن يفتح آفاقه بما يتواءم مع همومه، ويمكن تلخيصها في التالي:

١. مقارعة الصهيونية ابتداء من إدانته لمجزرة صبرا وشاتيلا، مروراً بمؤلفاته ككتاب: (الأساطير المؤسِّسة للسياسة اليهودية).

٢. سعى لتخليص العالم الغربي من عقدة المحرقة النازية، والتي تستخدمها الصهيونية كورقة ضغط في وجه كل من يعاديها تحت عنوان معاداة السامية.

ومن هنا كتب غـارودي عن المبالغات في شـأن المحرقة، وكشف عن أدلة تثبت وجود تعـاون قد تـمّ بين هتلر وبين قادة إسرائيليين، وغير ذلك من الفضائح التي لم يتحملها الصهاينة ولا الغرب، فحوكم وأدين وحورب إعلامياً بشكل واسع.

٣. انتقاد الغرب في توجهـاتـه: (وهذا يقودنا نحن الغربيين إلى بناء علاقات ودية بالعالم الثالث بعيدة عن ثقـافة التفوق والعنصرية. وحتى تنجح خطة العمل لا بد من تغيير نـمط الحيـاة من خلال التبشير الأخلاقي النابع من الإيـمان، الإيـمان بالله أو الإيـمان بالإنسان، وكذا تصحيح المفـاهيـم في الإنتاج والاقتصاد).

٤. تبنّي قضايا المظلومين في الشرق والغرب، حتى عُرف بعنوان (فيلسوف الإنسان).

٥. نقد النتاج الثقـافي للمسـلمين بـما لم يكن يراه متوائماً مع متطلبات العصر، وبـما يـمكّن الإسـلام من الوصول إلى العقل الغربي، وبالتالي أولى اهتماماً كبيراً لإعـادة الإسلام إلى الحيـاة بصورة فـاعلة، محتـملاً أن: (السبيل الوحيد في إرجـاع الإسلام الحي إلى واقعنا، هو نبذ التعصب والتقليد الأعمى وفتح باب الاجتهاد، وإخراج الإسـلام من دائرة القول إلى دائرة الفعل، ومن الجمودية إلى التجديد) معتبراً أن (كل نهضة للإسـلام تبدأ بقراءة جديدة للقرآن).

إن سيرة هذا الفيلسوف الإسلامي الغربي في رحلته إلى الإيمان، وحمل هم الإنسان، والدفاع عن القضايا العادلة يـمثل نـموذجاً لكل شبـابنا الحائر الباحث عن الحقيقة في خضم تنـاقضات الحيـاة، وصراع الحديـث والقديـم، واستقواء البـاطل وأهـله، وتقهقر الحقّ وأنصـاره، وضيـاع القيم الإنسانية، واستغلال الدين، واتساع دائرة النفاق، وانتشـار الخرافة، وتراجـع دور العقل، وتفشي العصبيـات القومية والعرقيـة والدينية والمذهبية.. نمـوذج يدعوهم إلى قراءة الإسـلام بوعي وتدبر وتجرّد عن كل المؤثرات والضغوطات النفسية في رحلة إيمانية حكى فيها القرآن نموذجاً لرحلة العقل في كيفية البحث عن الحقيقة إذ قال: ﴿كَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ، فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾ ليسـتمر في بيان مسارات هذه الرحلة حتى أعلن: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ، إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ فكان إيمانه النابع من العقل بالمستوى الذي عندما حاجَّه قومُـه: ﴿قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾. الأنعام:٧٥-٨٠.

٩ رمضان ١٤٣٣ هـ
٢٨ يوليو ٢٠١٢ م

لماذا ضيقنا دائرة التقوى؟

مرت أكثر من ٥٠٠ سنة على البشارة بنبوة نبينا من قبل المسيح دون أن تتحول هذه البشارة، أو يغدو هذا الانتظار حالة من الهروب إلى الأمام، ورضا بالواقع ..

اعتبر الله ﷻ أن الصيام في شهر رمضان من عوامل تحقق التقوى حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٨٣) وذلك فيما لو أحسن الإنسان الاستفادة من هذا الشهر، لاسيما بلحاظ كل العوامل المساعدة الاستثنائية ـ الواردة في خطبة النبي ﷺ كاستجابة الدعوات ومضاعفة الثواب وفتح أبواب التوبة والجنان وتكبيل الشياطين ـ والتي يقدمها الله لعباده في هذا الشهر، ويُفترض بها أن تساعد المسلم على تحقيق هذه الغاية المهمة.

• مصلحية أم قصور:

وعلى الرغم من سعة مفهوم التقوى ودلالاته، إلا أننا عادةً ما نعمل على تضييقه، إما رعايةً لمصالح شخصية تستدعي تصويره بما نشاء، وإما قصوراً في فهم حقيقة التقوى. فعندما نأتي إلى آية: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (البقرة:٢٧٨) أو آية: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ ما دُمتُم حُرُماً واتَّقُوا اللهَ الذي إليْهِ تُحشَرونَ﴾ (المائدة:٩٦)، أو ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: (اسْتَنْزِهُوا مِنَ الْبَوْلِ، فَإِنَّ عَامَّةَ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنْهُ) تجدُ أحدَنا يتوقف ملياً في التفكير في كيفية تفعيل التقوى في هذه العناوين.

وفي المقابل عندما نأتي إلى مثل قول الله ﷻ: ﴿يا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ... وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات:١٢) تجد سوء الظن حاضراً بقوة في تفسير الأمور، فالأصل عندنا سوءُ نيةِ الآخر. بينما يفترض أن يكون الأصل هو البناءُ على حسن النية. فعلى الرغم من أن بعض الظن إثم إلا أنه يجب علينا أن نجتنب كثيراً من سوء الظن وفق الأمر الإلهي.. وهذا جزء من فاعلية التقوى، ومنه تقوى الصيام.

• تقوى العلاقة الزوجية:

وهكذا عندما نأتي إلى قوله ﷻ : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ

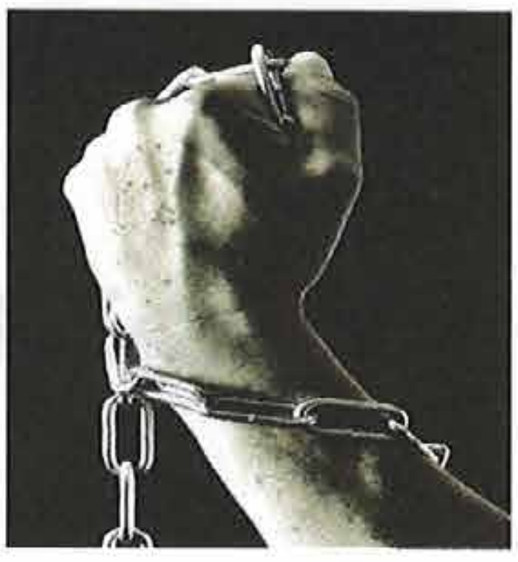

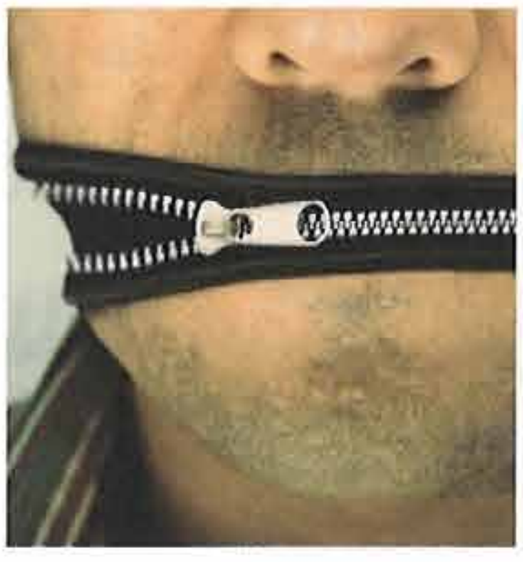

عندما تتحدث آية الأخوة الإيمانية عن المؤمنين، هل تقصد خصوص أتباع المذهب الذي أؤمن به، أم كل مَن دخل في الإسلام، بغض النظر عن المذهب ؟

يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا، فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ (الطلاق:١-٢) تغيب التقوى مجدداً، فتجدُ كل شئ، من سُبابٍ وبهتانٍ ومنع حقوق وهتكِ حرمات وغيبة وفتن.. إلا التقوى، لأنَ التقوى عند البعض محبوسة في دائرة النجاسة والطهارة ومخارج الحروف في قراءة السور القرآنية وما شابه.. وهي أمور لابد من مراعاتها ولكنها ليست الوحيدة في هذا الإطار.

• تقوى النزاعات:

وهكذا عندما نأتي إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات:١٠)، نجد أن السعي للإصلاح جزء من التقوى. فهل فعلاً ننظر إلى هذا الأمر من هذه الزاوية؟ أم نعتبره أمراً كمالياً يعتمد على المزاج الشخصي؟

ثم إنه عندما تتحدث الآية عن المؤمنين، هل تقصد خصوص أتباع المذهب الذي أؤمن به، أم كل مَن دخل في دين الله الإسلام، بغض النظر عن الانتماء المذهبي؟ لقد كان أمير المؤمنين علي عليه السلام واضحاً صريحاً دقيقاً حين قال للأشتر: (الناس اثنان إمّا أخ لك في الدّين أو نظير لك في الخلق). فكل مسلم هو أخ في الدين. وبعد ذلك.. هل هذا الاصلاح يخص التخاصمات في الدوائر المحدودة كخصومة بين زوجين أو صديقين؟ أليس السعي للتقريب والتعايش بين المذاهب ورفع أسباب الخصومات بين أتباعها جزء رئيسي من هذا الإصلاح، إن لم يكن من أهمه؟ فما بال الكثيرين منا اليوم لا همّ لهم إلا البحث عن موارد الخصومة والشقاق وبث ذلك؟ لماذا نتحول إلى أداة بيد الصهاينة والاستكبار وبيد أعدائنا؟ لماذا نذبح الإسلام كل يوم مرات ومرات باسم التعصب المذهبي؟

• تقوى الكلمة:

ثم هل إثارة النزاع من التقوى؟ يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الأحزاب:٧٠) فعندما لا يكون القولُ سديداً، فلا تقوى إذاً. فلماذا لا يتوقف الشيعي مرات ومرات أمام هذه الآية قبل أن ينشر مقطعَ فيديو أو نصاً ما، يعمّق فيه الكراهية بين المسلمين بمقدار ما يقف





إن كان شهر رمضان هو شهر التقوى فمن أعظم التقوى الإصلاح بين المسلمين ومن أعظم التقوى حسن الظن ببعضنا البعض ومن أعظم التقوى القول السديد ..

أمام حديث يرتبط بالتحرز من النجاسات مثلاً؟ ولماذا لا يتوقف السني مرات ومرات أمام هذه الآية قبل أن يشتمَ الشيعة ويقذفَهم في أعراضِهم أو ينشر كلماتٍ يُخرج بها إخوانَه من الدين، بمقدار ما يتوقف أمام آية الربا؟

لقد جاءت دعوة السيد حسن نصر الله لإنشاء ميثاق الشرف بين السنة والشيعة في محله، إذ يُفترض به أن يمنع علماءُ كل مذهب أيَّ صوت من أتباعه يرتفع ليمزق الصف، ونحن في شهرٍ يُفترض به أن يحقق التقوى، فهل من مجيب؟ إن القلب ليتمزق ونحن نشاهد كل هذا العدد الكبير من العلماء الصامتين عندنا وعند إخواننا من أهل السنة فضلاً عن أولئك الذين يصبون الزيت على النار.

فأين هم علماء الإسلام من كل هذا الانجراف نحو هاويةِ فتنةٍ عمياء يهرم فيها الكبير ويربو فيها الصغير؟ ألم تُلقَ عليهم الحجة إلى الآن؟ ونعوذ بالله أن يصل حال المسلمين ـ لاسيما علماؤهم ـ إلى ما وصفته الآية: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ (النمل: ٨٠).

• الحرب الباردة:

ولنتذكر ما قاله الصحفي الأمريكي المطّلع سيمور هيرش في سنة ٢٠٠٧ عن العمل على قدم وساق من أجل إشعال نار الحرب الباردة بين السنة والشيعة، الوصف الذي ورد على لسان مارتن إنديك السفير الأمريكي السابق لدى الكيان الصهيوني، وذلك من خلال التعبئة الإعلامية حول فكرة الخطر (الشيعي)، والذي بتعبير الأستاذ فهمي هويدي تمثَّل تارة فيما سمي بإقامة (هلال شيعي)، وتارة بالتخويف من التوسع الشيعي في بلاد السنة، وتارة ثالثة بإبراز إساءاتٍ لصحابة الرسول ولأم المؤمنين عائشة.. وكيف وظِّفت الكتب والقنوات الفضائية المأجورة والتجمعات المتعصبة عند الطرفين لتحقيق ذلك كله.

إن كان شهر رمضان هو شهر التقوى، فمن أعظم التقوى الإصلاح بين المسلمين، وإن من أعظم التقوى حسن الظن ببعضنا البعض، وإن من أعظم التقوى القول السديد.

١٦ رمضان ١٤٣٣ هـ
٤ أغسطس ٢٠١٢ مـ

شهر الرحمة

استجابة الدعاء وعد إلهي قد يؤجل الإنسان تحققه لبعض ممارساته السلبية، و قد يضع في طريقه العراقيل بسبب الذنوب، وقد لا يتحقق منه التوجه ..

الخطبة المشهورة للنبي الأكرم ﷺ في استقبال شهر رمضان والمروية عن الإمـام علي بن موسى الرضا عن آبائه عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، تتضمن صورة واضحة عن ارتبـاط شهر رمضان والصيام فيه بالرحمة، على بعدين: بُعد علاقة الله بعبـاده، وبعد العلاقات الإنسانية، (أيّها الناس إنّه قد أقبل إليكم شـهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة) هذا هو العنوان العام لطبيعة هذه العلاقة في هذا الشهر، ثـم يقدم النبي الأكرم ﷺ نـماذج من هذه الرحمة الإلهية نذكرها وفق ترتيب ذكرها ضمن البعدين:

• البعد الأول، علاقة الله بعباده الصائمين:

• النـموذج الأول:

(ونومكم فيه عبادة) فالإنسان عندما يكون متعباً في هذا الشـهر فينـام، فإن الثواب الذي يُفترض أن يكون فقط للمستيقظ المتعبد، لن يفوته ـ ولو نسبياً ـ حال نومه. وهذا من خصوصيات هذا الشهر، لأن الصائم فيه في ضيـافة الله (هو شهرٌ دعيتم فيه إلى ضيافة الله)، والمضيف كريم بحق ضيوفه، رحيم بضعفهم، ويقدّر طاقاتهم المحدودة، فالحقيقة أنكم: (جُعلتم فيه من أهل كرامة الله).

• النـموذج الثاني:

(وتوبـوا إلى الله من ذنوبكم، وارفعوا إليه أيديكم بالدّعاء في أوقات صلواتكم، فإنّها أفضل السّاعات، ينظر الله عزّ وجلّ فيها بالرَّحمة إلى عبـاده، يجيبهم إذا ناجـوه، ويلبيّهـم إذا نادوه، ويستجيـب لهم إذا دعوه) رحمة مرتبط بالتوبة من جهة، وبالدعاء من جهة أخرى، سواء أكان بصورة المناجاة والخطاب الخفي، أم كان بصورة النداء والجهر، وقد قال تعالى في كتابه الكريـم: ﴿وَقَـالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ هذا وعد إلهي قد يؤجل الإنسان تحققه من خلال بعض ممارساته السلبية، و قد يضع في طريقه العراقيل بسبب الذنوب، وقد لا يتحقق منه التوجه والرغبة الصـادقة بسبب الانشغـال بأمور تفقده التركيز، كما نجده في هذا المقطع من دعاء أبي حمزة الثـمالي الذي يرويه عن الإمام زين العابدين عليه السلام: (اَللّـهُـمَّ،إني كلما قلتُ قد تَهيّـأتُ وَتَعَبَّأتُ وَقُمْتُ لِلصَّلاةِ بَيْنَ يَدَيْكَ وَناجَيْتُكَ، أَلْقَيْتَ عَلَيَّ نُعـاساً إذا أنَا صَلَّيْتُ، وَسَلَبْتَني مُناجاتِكَ إذا اَنَا ناجَيْتُ.

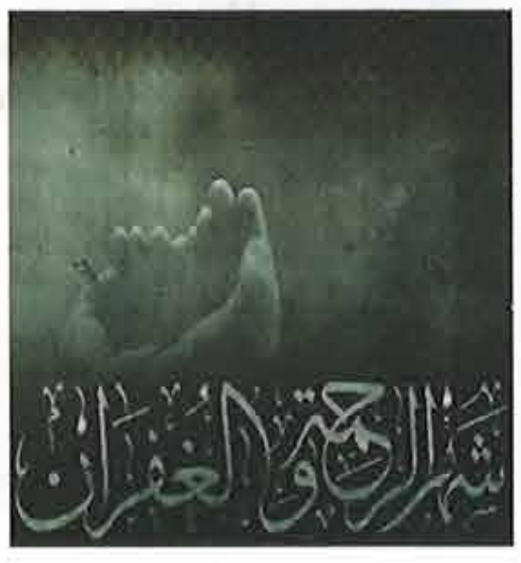

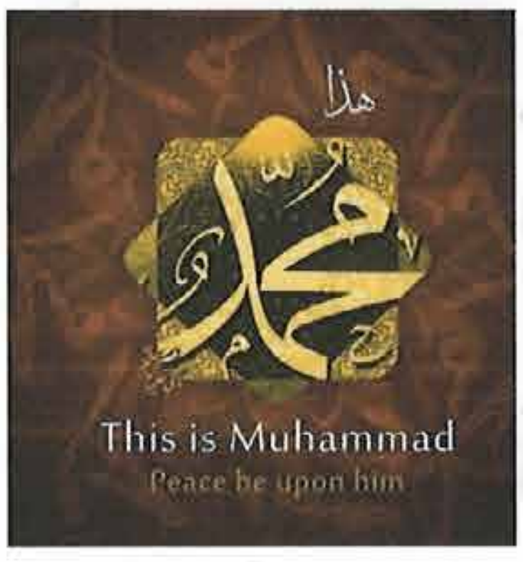

في شهر رمضان أمامنا ١٥٠ فرصة مميزة ويومية للغفران الإلهي، لأنه بحسب تعبير الخطبة النبوية: (الشقيَّ من حُرِم غفران الله في هذا الشهر العظيم) ..

مالي كلَّما قلتُ قَدْ صَلَحَتْ سَرِيرَتي، وَقَرُبَ منْ مَجالِسِ التَّوّابينَ مَجْلِسي، عَرَضَتْ لي بَلِيَّةٌ اَزالَتْ قَدَمي، وَحالَتْ بَيْني وَبَيْنَ خِدْمَتِكَ؟! سَيِّدي لَعَلَّكَ عَنْ بابِكَ طَرَدْتَني، وَعَنْ خِدْمَتِكَ نَحَّيْتَني. اَوْ لَعَلَّكَ رَاَيْتَني مُسْتَخِفّاً بِحَقِّكَ؛ فَاَقْصَيْتَني. اَوْ لَعَلَّكَ رَاَيْتَني مُعْرِضاً عَنْكَ؛ فَقَلَيْتَني. اَوْ لَعَلَّكَ وَجَدْتَني في مَقامِ الْكاذِبينَ؛ فَرَفَضْتَني. اَوْ لَعَلَّكَ رَاَيْتَني غَيْرَ شاكِرٍ لِنَعْمائِكَ؛ فَحَرَمْتَني. اَوْ لَعَلَّكَ فَقَدْتَني مِنْ مَجالِسِ الْعُلَماءِ؛ فَخَذَلْتَني. اَوْ لَعَلَّكَ رَاَيْتَني في الْغافِلينَ؛ فَمِنْ رَحْمَتِكَ آيَسْتَني. اَوْ لَعَلَّكَ رَاَيْتَني آلِفَ مَجالِسِ الْبَطّالينَ؛ فَبَيْني وَبَيْنَهُمْ خَلَّيْتَني. اَوْ لَعَلَّكَ لَمْ تُحِبَّ أَنْ تَسْمَعَ دُعائي؛ فَباعَدْتَني. اَوْ لَعَلَّكَ بِجُرْمي وَجَريرَتي؛ كافَيْتَني. اَوْ لَعَلَّكَ بِقِلَّةِ حَيائي مِنْكَ؛ جازَيْتَني). قد تكون هذه هي صورة الإنسان في الأوضاع العادية.

إلا أن شهر رمضان بأجوائه وببركاته ومن خلال كرامة الصيام والصائم عند الله فإن كثيراً من تلك المعوّقات تزول وتتبخر لتنفتح آفاق الرحمة الإلهية وكأن السماء تنشق ليصعد إليه الكلم الطيب، لتصعد إليه المناجاة، وليرتفع إليه الدعاء، وليقبل الله توبة عباده، لاسيما في أوقات الصلوات المفروضة، كما جاء في الخطبة النبوية.

إذاً مع كل هذه الامتيازات الاستثنائية والعوامل المساعدة، فإنه بحسب تعبير الخطبة النبوية: (الشقيَّ من حُرِم غفران الله في هذا الشهر العظيم) فلا تفوّتوا هذه الفرص العظيمة، خمس صلوات يومية في ٣٠ يوماً، أي مائة وخمسون فرصة متميزة في هذا الشهر، ناهيك عن ليلة القدر وامتيازاتها.

• النموذج الثالث:

(أيُّها الناس! إنَّ أبواب الجنان في هذا الشّهر مفتّحة، فسلوا ربّكم أن لايغلقها عليكم، وأبواب النيران مغلّقة فسلوا ربّكم أن لايفتحها عليكم، والشيّاطين مغلولة فسلوا ربّكم أن لايسلّطها عليكم) فمن رحمته أن هيّأ كل السبل المعينة لعبده كي يحقق الصورة المُثلى للصيام في هذا الشهر الكريم، ويبقى على العبد أن يُحسن استغلال هذه العوامل والامتيازات، وأن لا يستغرق فيما

يضيع عليه الفرص المتوالية بالتكاسل والإهمال والانشغال بالملهّيات، ليخرج صفر اليدين إلا من القليل بسوء اختيارٍ منه.

• البعد الثاني، الرحمة في العلاقات الإنسانية:

وهو ليس بالبعد المنفصل عن البعد الأول، ولكنه هنا ينتظر من العبد عملاً ومبادرة ما تدل على الرحمة في العلاقات الإنسانية لتأتي الرحمة الإلهية كجائزة ثمينة لا تقدَّر، ومن نماذج ذلك:

• النموذج الأول:

(وتصدَّقوا على فقرائكم ومساكينكم، ووقّروا كباركم، وارحموا صغاركم.... و تحنّنوا على أيتام النّاس يُتحنّن على أيتامكم) وهذا بُعد آخر من أبعاد العبادة عموماً، ومنه صيام شهر رمضان، وهو بُعد اجتماعي تنعكس فيه الجوانب التربوية للعبادة، بتزكية النفس وتطهيرها من الأنانية والتعلق بالدنيا وحب المال والعجُب والتعاظم على خلق الله وتحقير المحرومين، لتحل محلها قيم التعاون وقضاء حوائج المحتاجين والتفاعل مع آلامهم وآمالهم والرحمة والتواضع والاحترام وتقدير إنسانيتهم.

وهكذا يفترض بالعبادة أن تكون دائماً، عبادة مربّية مزكية مطهّرة من الصفات السلبية التي يتلبّس بها الإنسان، عبادة ذات بعدين جسدي وروحي، فالجسد هو نفس العمل، والروح هو أثر العمل وانعكاساته الإيمانية والروحية والفكرية والأخلاقية، كما قال عزّ وجلّ: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

• النموذج الثاني:

(أيّها النّاس، من فطّر منكم صائماً مؤمناً في هذا الشّهر كان له بذلك عند الله عتق رقبة، ومغفرة لما مضى من ذنوبه. قيل: يا رسول الله، و ليس كلّنا يقدر على ذلك! فقال ﷺ: اتّقوا النار ولو بشقّ تمرة، اتّقوا النار ولو بشربة من ماء) وهي إشارة مرتبطة بسابقتها ولكنها تتضمن التفاتة أخرى تخص الرحمة، وهي قبول النسبية في العطاء بلحاظ النسبية في الإمكانات، فهذا الذي لا يملك سوى القليل من الماء يمكنه أيضاً أن يدخل في سجل الباذلين للعطاء الذين وعدهم الله بثواب عظيم، كثواب من حرر عبداً، ومغفرة واسعة إذ يخرج من عطائه كيوم ولدته أمه، تماماً كذاك الذي أنفق المئات أو الآلاف من الدنانير بحسب إمكاناته المادية بما أنعم الله عليه، فكل يُعطي بحسب إمكاناته، فالمهم أن يمتلك الإنسان هذه الروحية، وأن يحقق هذا البذل.. لا بمعنى أن يكتفي بالقليل كشق تمرة وهو القادر على أن يبذل الكثير، بل بمعنى مراعاة النسبة والتناسب.. وهذا كله من رحمة الله سبحانه المتجلية في هذا الشهر.

• النموذج الثالث:

(ومن خفّف في هذا الشهر عمّا ملكت يمينه، خفّف الله عليه حسابه) واليوم وإن ألغي نظام الرق



بحمد الله إلا أن الخدم الذين يعملون في المنازل يتحملون مسؤوليات كثيرة مما كان يتحملها الرقيق، فينطبق عليهم ما في العبارة السابقة بنحو ما.

وبين أيدينا نص رواه السيد ابن طاوس في كتابه الإقبال بسنده عن الصادق عليه السلام: (كان علي ابن الحسين عليه السلام إذا دخل شهر رمضان لا يضرب عبداً له ولا أمة ـ كضرب تأديبي على المخالفات التي يرتكبونها ـ وكان إذا أذنب العبد والأمة يكتب عنده أذنب فلان أذنبت فلانة يوم كذا وكذا، ولم يعاقبه فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان دعاهم وجمعهم حوله ثم أظهر الكتاب ثم قال يا فلان فعلتَ كذا وكذا ولم أؤدبك أتذكر ذلك؟ فيقول بلى يا ابن رسول الله. حتى يأتي على آخرهم ويقررهم جميعا ثم يقوم وسطهم ويقول ارفعوا أصواتكم وقولوا: يا علي بن الحسين إن ربك قد أحصى عليك كلما عملت كما أحصيتَ علينا كلما عملنا، ولديه كتاب ينطق عليك بالحق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وتجد كل ما عملت لديه حاضرا كما وجدنا كل ما عملنا لديك حاضرا، فاعف واصفح يعفُ عنك المليك ويصفح، فإنه يقول وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم ـ ثم يبدأ الإمام يلقنهم ما يقولون وهو يبكي في وسطهم ويظهر الاعتذار إلى الله وإليهم ثم يعتق رقابهم ويعطيهم في عيد الفطر من المال ما يغنيهم

عـما في أيدي الناس ـ وفي الخبر أنه مـا من سنة إلا وكان يعتق فيها في آخر ليلة من شـهر رمضان قرابـة العشرين عبداً وأمة). هكذا تنعكس الرحمة في سلوك الصائم في رمضان بصورة عملية ومتوافقة مع الأدب النبوي.

• النموذج الرابع:

(ومن وصل فيه رَحِمَه وصله الله برحمته يوم يلقاه، ومن قطع فيه رَحِمَه قطع الله عنه رحمته يوم يلقـاه) لأهمية هذه العلاقة الإنسانية، قـال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأُوْلُـواْ الأَرْحَـامِ بَعْضُـهُمْ أَوْلَى بِبَعْـضٍ فِي كِتَـابِ اللَّهِ﴾ وقال سبحانه: ﴿ وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَـامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًـا﴾ وقال : ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَـنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى﴾ وقـال: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ وغير ذلك من الآيات التي تتحدث عن الأرحـام وذوي القربى من حيث الرعاية والمساعدة والعطـاء والبر والمعروف، وكلها تؤكد على أهمية هذه العلاقة الإنسـانية التي يريد الله سبحانه أن ينـميها ويقوّيها، ففيهـا عزة للفرد، وقوة للمجتـمع المؤمن، ونزول لبركات السماء.

ويأتي التأكيد ليشمل حتى أولئك الذين يعمدون إلى قطع صلتهم بك، فمسؤوليتك أن تصلهم ما استطعت (صل من قطعك) لترفع بذلك أسباب القطيعة والشـحنـاء، ولترتفع بذلك قيـمتك عند الله، فصلتك هذه التي قد لا تتعدى مكالمة هاتفية لدقيقتـين، أو زيارة قد لا تكلفك أكثر من نصف سـاعة، أو بذل شئ من ماء وجهك في موقع كريم يحبه الله ويعظّمه ويقدّره المجتـمع ويجلّه، أو إنفـاق مال سرعان مـا يعوّضك الله عنـه خيراً وزيادة، هذه الصلة يبدلهـا الله برحمة واسعة في الآخرة يتـمناها الجميع في ذلك اليوم العظيم الذي يبحث فيه الإنسان عن أي سبب يتخلص به من العذاب وينال به رضوان ربه.

إن الحيـاة وفق النظام القـائم في هذا الزمـان والذي تغلب فيه الماديات والنظرة الضيقة إلى الدنيا والابتعاد عن الله والانغماس في الذات وحب النفس كلها من أسباب سـلب الرحمة من القلب أو إضعاف تأثيرها، والصيام في شهر رمضان تـمثل الفرصة الذهبية في السنة التي تـمكّن الإنسان من تعديـل هذا الخلل ولو بصورة مؤقتة، وهي فرصة لا يعلم الإنسـان إن كان سيوفّق لمثيلتهـا في عام مقبل، فرصة عنوانهـا الرحمة، وعطـاؤها الكرم، وخاتـمتها التوبة والمغفـرة من الله الرحمن الرحيم الكريـم التواب الغفور.

٢٣ رمضان ١٤٣٣ هـ
١١ أغسطس ٢٠١٢ م

توكل و قوة و عفو

عناوين العبودية الخالصة لله والتوكل عليه والعفو عند المقدرة وإعمال الشورى والعطاء المادي والمعنوي والقوة في مواجهة البغي كلها حاضرة في سيرة الإمام علي ..

قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ، وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ، وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ، وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ، وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ، إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ (الشورى:٣٦-٤٣).

إلى العفو والإصلاح عند توفر الأرضية لذلك.. كلها حاضرة في تلك السيرة، ونهج البلاغة في خطبه وكتبه وحكمه غني في هذا الإطار. وسأختار بعض ما سبق من عناوين من تجليات ذلك التجسيد.

• التوكل على الله:

التوكل على الله يمثل اللجوء الكامل إلى الله والإيمان المطلق بقدرته وقوته، فما من شيء يغيب عنه، وما من شئ يحدث إلا بإذنه، ولو شاء أن يغيّر المقادير غيّرها: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَئٍ قَدِيرٌ، تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران:٢٦-٢٧)، بمثل هذه العقيدة الواضحة ينطلق المؤمن في التوكل على الله، لأن النتيجة المفروضة هي الإيمان بأنه ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق:٣). وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه

• تجسيد القِيَم في علي:

عندما تتمعن في هذه الآيات تتجسد أمامك شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لاسيما عندما تسترجع تفاصيل سيرته خلال سنوات الحكم التي لم تكمل الخمس. فعناوين العبودية الخالصة لله والتوكل عليه والعفو عند المقدرة وإعمال الشورى والعطاء المادي والمعنوي والقوة في مواجهة البغي والتوازن في ردة الفعل تجاه المعتدي والركون

قال: (من أحب أن يكون أقوى النـاس فليتوكل على الله، ومن توكل على الله ذلّت له الصعـاب وتسهّلت عليه الأسباب).

في نهج البلاغة أنّ أحدَ من كان في جيش الإمام علي عليه السلام عندما خرج لقتال الخوارج قـال له: (يا أمير المؤمنين إن سرت في هذا الوقت خشيتُ أن لا تَظفر بمرادك من طريق علم النجوم). فقال الإمام علي عليه السلام بذلك الإيمان العميق والتوكل التام: (أتزعم أنك تهدي إلى السـاعة التي من سار فيهـا صرف عنه السوء، وتخوّف من الساعة التي مَن سار فيهـا حـاق به الضر؟ فمن صدق بهذا فقد كذب القرآن واستغنى عن الإعـانة بالله في نيل المحبوب ودفع المكروه، وتبتغي في قولك للعامل بأمرك أن يوليك الحمد دون ربه، لأنك بزعمك أنت هديتَه إلى الساعة التي نال فيها النفع وأمِن الضُّر؟) ثـم أقبل عليه السلام على الناس فقال: (أيهـا الناس إياكم وتعلّم النجوم إلا مـا يُهتدى به في بر أو بحر، فإنهـا تدعو إلى الكهـانة والمنجم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار. سيروا على اسم الله).

• بين القوة والعفو:

وأما العنوان الآخر فهو أن في الآيات خطـاب حول اللجوء إلى القوة في مواجهة العدوان، فالخلود إلى الضعف غير مقبول، والاستسلام أمام حركة البغي التي لا تتورع عن الظلم غير مبرَّرة، لأن الله لا يحب الظلم، ولأن السـكوت عن الظلم قد يشجع الظالم والباغي على التـمادي، إلا أنه عندما تكون الفرصة ماثلة أمـامك كي تتنازل عن حقك أو أن تعـالج الموضـوع دون أن تلجأ إلى القوة، لا من موقع الضعف، بل من موقع القدرة على أخذه، انطلاقاً من روحية التسامح في شخصيتك، وترفّعاً عن الانتقام لنفسـك، وتقرّباً إلى الله بذلك، فإن هذا التـصرف يـمثل قيـمة عليـا، تدل على قوة ضبط النفس، والصبر، والشهامة، ولذا أحبها الله وندب إليها ووعد عليهـا بالأجر العظيم. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن مواجهة ذلك البغي يجب أن تكون بحدود البغي نفسه انتزاعاً لذلك من قوله: ﴿وَجَزَآءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ فالعدل الذي يقوم على المعاملة بالمثل مطلوب حتى في مثل هذا الموقف، فلا يزيد حجم العقاب على حجم الجريـمة، فذلك هو المقدار المسموح به.

• وصايا الإمام في البصرة:

ولنتصور ذلك في حدود سيرة الإمـام علي عليه السلام نعود إليه في لحظات حاسمة في حرب البصرة، قبيل بدء الحرب ليوجّه تعليـماتـه إلى جنده، لا بروحية الباحث عن الانتقام والتشفي، بل بروحية المضطر إلى القتال، الذي يلتزم برد الإساءة بـمثلهـا لا أكثر، هذا إن لم يـمكن التجـاوز والعفو، فهو الأقرب إلى قلبه عليه السلام.. قال: (لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤوكم حُجَّة أخرى، وإذا قاتلتـموهم فلا تُجهزوا على جريح، وإذا هزمتـموهم فلا تُتبعوا مدبراً ولا تكشـفوا عورة ولا



تمثّلوا بقتيل، وإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً ولا تدخلوا داراً ولا تأخذوا من أموالهم شيئاً، ولا تهيِّجوا امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم).. وفي صفين استبطأ أنصار الإمام الإذن في القتال وقالوا: يا أمير المؤمنين، خلّفنا ذرارينا ونساءنا بالكوفة، وجئنا إلى أطراف الشام لنتخذها وطناً؟! ائذن لنا في القتال، فإن الناس قد قالوا. قال لهم عليه السلام: ما قالوا ؟ فقال منهم قائل: إن الناس يظنون أنك تكره الحرب كراهيةً للموت، وإن من الناس من يظن أنك في شك من قتال أهل الشام. فقال عليه السلام: ومتى كنت كارهاً للحرب قط ؟! إن من العجب حبّي لها غلاماً ويفعاً، وكراهيتي لها شيخاً بعد نفاد العمر وقرب الوقت ! وأما شكّي في القوم فلو شككت فيهم لشككت في أهل البصرة، والله لقد ضربتُ هذا الأمر ظهراً وبطناً، فما وجدت يسعني إلا القتال أو أن أعصي الله ورسوله، ولكني أستأني بالقوم، عسى أن يهتدوا أو تهتدي منهم طائفة، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي يوم خيبر: لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس). وبحسب نهج البلاغة أنه قال في مثل هذا الموقف: (أما قولكم أكل ذلك كراهية الموت فوالله ما أبالي أدخلت إلى الموت أو خرج الموت إلي. وأما قولكم شكا في أهل الشام فوالله ما دفعت الحرب يوما إلا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي وتعشو إلى ضوئي، وذلك أحب إلي من أن أقتلها على ضلالها وإن كانت تبوء بآثامها). هكذا كان علي عليه السلام في إيمانه.. في توكله.. في قوته.. في بصيرته.. في قلبه الكبير.. وفي كريم خلُقه..

٣٠ رمضان ١٤٣٣ هـ
١٨ أغسطس ٢٠١٢ مـ

كاشف الغطاء.. القدس.. سوريا.. وميانمار

أمّ الشيخ آل كاشف الغطاء المصلين في القدس وألقى خطبة حضرها عشرون ألفاً من المصلين في أجواء المؤتمر الإسلامي الذي عقد في القدس عام ١٩٣١ ..

في عام ١٩٣١ تم عقد مؤتمر إسلامي عام في مدينة القدس الشريفة، وبادرت لجنة إعداد المؤتمر إلى توجيه دعوة ملحة للمرجع الراحل الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء ﵀ للمشاركة في هذا المؤتمر الهام الذي تقرر أن تعقد جلساته الموزعة على أيامه العشرة ابتداء من ليلة ٢٧ رجب .

وكان هدف هذا اللقاء كما ذكر ذلك الحاج أمين الحسيني لصحيفة السياسة القاهرية آنذاك هو: البحث في نشر أساليب التعاون الإسلامي، ونشر الثقافة الإسلامية، والدفاع عن البقاع المشرفة الإسلامية، والعمل لوقاية الدين الإسلامي وصيانة عقائده من شوائب الإلحاد، وتأسيس جامعة إسلامية في بيت المقدس.. إلخ. وكانت وضع فلسطين من أهم محركات هذا الاجتماع، وذلك بهدف مواجهة الخطة الصهيونية والاستعمارية لاحتلال فلسطين، وتهويد القدس.

• كاشف الغطاء في القدس:

وجاءت دعوة الشيخ ـ الذي يعد من مراجع الشيعة في النجف الأشرف ـ للمؤتمر لما عُرف عنه من وعي واهتمام بقضايا الأمة الإسلامية وفي توحيد كلمتهم والتقريب بينهم، وهو القائل: (بني الإسلام على دعامتين: كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة). وهكذا كانت له مواقفه البارزة في مواجهة الاستعمار وبفتاواه الجهادية ضد المستعمر، وكانت القضية الفلسطينية والأراضي المقدسة في مقدمة القضايا العربية والإسلامية التي أولاها الشيخ كاشف الغطاء اهتماما بالغا، وكان من المتحمسين لإقامة مؤتمر إسلامي واسع من أجل القضية الفلسطينية، وقد طرح هذه الفكرة في مدرسته العلمية في النجف بحضور علماء من النجف وبغداد، فألقى الشيخ كاشف الغطاء خطابا أوضح فيه هذه الفكرة، وجاء مؤتمر ١٩٣١ ترجمة لطموحه ﵀.

وفي يوم الافتتاح طُلب منه أن يرتقي المنبر بعد صلاة المغرب لإلقاء خطبة في الحاضرين الذين بلغ عددهم عشرين ألفاً امتدت صفوفهم حتى خارج المسجد الأقصى، وبعد أن أتمها قُدِّم لإمامة صلاة العشاء بالحضور في حدث عظيم قل نظيره.





يوم القدس العالمي محطة جديدة من محطات إحياء القضية الفلسطينية، باعتبارها رأس قضايا المسلمين في هذا العصر، ولتبقى حاضرة في وعي المسلمين..

هذا التاريخ الناصع يكشف عدة أمور، منها:

١. عمق القضية الفلسطينية في وجدان الإنسان المسلم بغض النظر عن انتمائه المذهبي، وأنها تمثل القضية المركزية التي يمكن للجميع الالتفاف حولها لتكون المنطلق في حركتهم الوحدوية.

٢. أن الأمة بحاجة إلى علماء واعين يحملون همها بجد وإخلاص، ويعملون على الأرض لتحقيق التقارب والتعايش ووحدة الموقف، لا على تمزيق أوصالها وتمكين أعدائها منها، فالتقارب الفكري والوحدة في المواقف يجب أن تأتي على رأس أولويات المسلمين، لا من منطلق ظرفي ومصلحي آني، بل كأساس عقيدي إيماني نابع من القرآن الكريم.

٣. أن الاهتمام بصلاة الجماعة المشتركة يمكنها أن تكسر الكثير من الحواجز النفسية التي تصطنعها أيادي كثيرة في الأمة.

٤. أن المسلمين الشيعة هم جزء لا يتجزأ من كيان الأمة الإسلامية، بعربهم وأعاجمهم.. همومهم الكبرى واحدة، وقضاياهم الأساسية واحدة، وآمالهم المستقبلية واحدة.

• يوم القدس العالمي:

وتأتي الجمعة الأخيرة من شهر رمضان من كل عام ـ بعنوان يوم القدس العالمي الذي أطلقه الإمام الخميني ـ لتكون محطة جديدة من محطات إحياء القضية الفلسطينية، باعتبارها رأس قضايا المسلمين في هذا العصر، ولتبقى هذه القضية حاضرة في وعي المسلم وهو يودع شهر رمضان ويستقبل عيد الفطر، سواء في البعد السياسي للقضية، أو الديني، أو الإنساني المطلق.

ولعل مأساة غزة ـ اليوم ـ تمثل القمة في القضية الفلسطينية في السنوات الأخيرة.. غزة التي عاشت أياماً قليلة من الأمل بتغير أوضاعها على وقع تبدل الوضع في مصر، إلا أن المؤشرات والتحليلات تؤكد أن يد المخابرات الإسرائيلية سارعت إلى العبث بالمشهد الأمني من خلال الاعتداء الإرهابى والآثم الذى تعرض له الجنود المصريين فى رفح من قبل مسلحين عُبِّر عنهم بـ (الجهاديين)! وهي بذلك تحقق أكثر من نتيجة:

١. فهي ستحرج الحكومة المصرية الجديدة

وتضطرها إلى اتخاذ قرارات قاسية ضد الفلسطينيين عموماً وضد قطاع غزة خصوصاً، وهذا ما جرى بالفعل من خلال هدم الأنفاق وإغلاق معبر رفح والتشديد في التنقل بين البلدين، مما يقضي على التسهيلات التي قُدِّمت للفلسطينيين مؤخراً، ويجهض أية مشاريع مستقبلية في هذا الإطار.

٢. ستُظهر القوات المسلحة المصرية وكأنها عاجزة عن حماية حدودها، وهناك حديث يدور حول نية الكيان الصهيوني لإيجاد شريط حدودي داخل سيناء بعمق ٥ ـ ١٠ كيلومترات لتحويلها إلى منطقة عازلة والسماح باختراق الأجواء المصرية وتقليص عدد الجنود المصريين المتواجدين في سيناء، من خلال تغيير بعض بنود اتفاقية كامب ديفيد، وهو المشروع المعد منذ أربع سنوات.

واللافت في الأمر أن الاتهامات في تنفيذ الجريمة تتوجه إلى بعض المجموعات (الجهادية) التي تتخذ من سيناء وقطاع غزة مقراً لها، وهو ما يؤكد الاختراق المخابراتي الصهيوني لها، إن لم تكن صنيعتها من الأساس، وقد قدمت في أكثر من مناسبة خدمات (جليلة) لهذا العدو خلال السنوات الماضية.

• سوريا وميانمار:

وأما العيد في سوريا وميانمار فيأتي هذا العام مصبوغاً بلون الدم، في ظل الأوضاع المأساوية التي يعيشها الشعبان في ظرفين مختلفين.. فسوريا دخلت في نفق مظلم يهددها بحرب داخلية طويلة تدمر الكثير مما تبقى من مقوماتها، وتستحكم من خلالها حالة التمزيق والعداء الطائفي، لا فيها فحسب، بل على مستوى المنطقة ولسنوات قادمة، هذا إن لم تجر معها دولاً أخرى كلبنان مثلاً للوقوع في حروب أو فتن مستمرة أو متقطعة.

أما قضية المسلمين في ميانمار والذين يشكلون ٤٪ من مجموع السكان، فهي ليست بالجديدة. فمنذ العام ١٩٦٢ عقب الانقلاب العسكري، مارست الحكومة بمليشياتها عمليات طرد وتهجير ومجازر جماعية متكررة.. ففي ذلك العام طردت أكثر من ٣٠٠,٠٠٠ مسلم إلى بنغلادش. وفي العام ١٩٧٨، طردت أكثر من نصف مليون مسلم، مات منهم قرابة ٤٠,٠٠٠ حسب إحصائيّة وكالة غوث اللاجئين التابعة للأمم المتحدة. وفي العام ١٩٨٨، تم طرد أكثر من ١٥٠,٠٠٠ مسلم. وفي العام ١٩٩١ تم طرد قرابة النصف مليون.

يأتي هذا كله في ظل عدم الاعتراف بحقوق المواطنة لهم، فهم ممنوعون من دخول ولايات معينة في البلاد، ومحرومون من تملك العقارات وممارسة أعمال التجارة وتقلد الوظائف في الجيش والهيئات الحكوميَّة، مع فرض شّروط قاسية عليهم في الإجراءات المتعلّقة بالأحوال الشخصية، كالزواج وتسجيل الأبناء، كما تم حرمانهم من حقّ التّصويت في الانتخابات البرلمانيّة، وتأسيس المنظّمات وممارسة

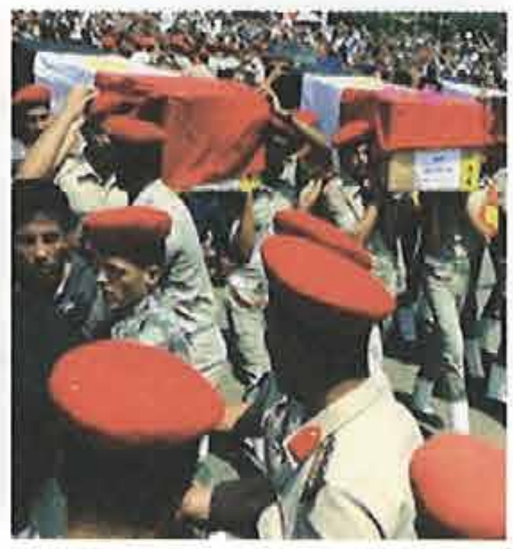



يأتي عيد آخر والعالم الإسلامي لا يزال في موقع الضعف الداخلي، والضعف أمام المستكبرين، الأمر الذي يجعل مقدراته السياسية والاقتصادية في دائرة الخضوع..

النشاطات السياسيّة، فضلاً عن استخراج جوازات سفر. ما تتعرّض له الأقلية المسلمة في ميانمار والذي يقدّر البعض عدد المقتولين في مجازرها منذ شهر يونيو بـ ٧٠ ألف مسلم، صُنّف من قبل منظمات حقوق الإنسان جرائم حرب قائمة على التطهير العرقي، حتى اعتُبرت (تصفية القرن العرقية)، وقد ووصفت مراسلة صحيفة (نيويورك تايمز) في بنغلادش الأحداث بأنها ليست عنفاً طائفياً فحسب، بل (تطهير عرقي تدعمه الدولة)، وأنَّ دول العالم لا تضغط على ميانمار لوقفه، مشيرةً إلى أنّه حتى زعيمة المعارضة والمعروفة بـ(أيقونة الديموقراطية في ميانمار) والفائزة بجائز نوبل للسلام العام ١٩٩١، أونج سان سوتشي، التزمت الصمت على الرغم من مناشدة المسلمين لها بمساعدتهم في إنهاء معاناتهم.

• فلنغير ما بأنفسنا:

وهكذا يأتي عيد آخر والعالم الإسلامي بمليارهِ والنصف مليار لا يزال في موقع الضعف الداخلي من جهة، والضعف أمام المستكبرين من جهة أخرى، الأمر الذي يجعل مقدراته السياسية في دائرة الخضوع والسيطرة لأجندات معينة داخلية وخارجية، ومقدراته الاقتصادية تتوجه في غالبيتها لغير مصلحة الشعوب والتنمية، وليبقى مَن هم تحت الاحتلال يعانون منه، وكلما جاءت بارقة أمل سرعان ما تخمَد بفتنة هنا أو مؤامرة هناك. ويتوَّج ذلك كله بتعميق الهوة الطائفية من خلال عمل أطراف عديدة على خلق الفتن التي تربك الواقع كله، لتكون الصورة هي انشغال المظلومين بالمظلومين، بدلاً من انشغال الظالمين بالظالمين.

إن ما نبتهل به إلى الله ونحن نستقبل عيد الفطر لهذا العام أن يعين المسلمين ليأخذوا بأسباب القوة والعزة والكرامة والحرية، ليكون عيداً يرتفع فيه الواقع الإسلامي إلى المستوى الأعلى الذي يريد الله له أن يكون خير أمةٍ أخرجت للناس، لأنه لا عيد مع الضعف ومع الخضوع والمهانة والسقوط تحت تأثير قوة الآخرين، مع التأكيد على قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد:١١).

٧ شوال ١٤٣٣ هـ
٢٥ أغسطس ٢٠١٢ م

الموت وخطاب العقل والروح

قام أمير المؤمنين علي بتفصيل ما تم إجماله في القرآن من حديث حول الموت، ببيان ممتزج بالعمق في المفهوم والحكمة في المعنى والبلاغة في التعبير ..

عندما تحدث القرآن عن الموت، فقد تحدث عنه في بُعدين، فهو تارة يتحدث عنه من بعد عقدي، وهذا البعد بحد ذاته ينقسم إلى أقسام:

ـ ما يرتبط بالإيمان بقدرة الله عزّ وجلّ وصفاته: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ (الزمر:٤٢).

• ما يرتبط بالجانب التدبيري الخاص بالموت قال الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (السجدة:١١).

• ما يرتبط بالإيمان باليوم الاخر: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجمعة:٨).

وهناك حديث عن الموت في بُعده التربوي: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (الملك:٢). ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ، وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المنافقون:١٠-١١).

ولما كان من شأن القرآن الكريم أن يُجمل الحديث في الكثير من القضايا بما يحقق الغرض من الآية النازلة، فقد قام أمير المؤمنين علي عليه السلام بتفصيل ما تم إجماله ببيان ممتزج بالعمق في المفهوم والحكمة في المعنى والبلاغة في التعبير. ومن نماذج ذلك ما جاء في خطة برقم (١٠٧) في نهج البلاغة: (خلقت داراً وجعلت فيها مأدبة: مشرباً ومطعماً وأزواجاً وخدماً وقصوراً وأنهاراً وزروعاً وثماراً. ثم أرسلت داعياً يدعو إليها. فلا الداعي أجابوا، ولا فيما رغبت رغبوا، ولا إلى ما شوقت إليه اشتاقوا. أقبلوا على جيفة افتضحوا بأكلها، واصطلحوا على حبها، ومن عشق شيئاً أعشى بصره، وأمرض قلبه. فهو ينظر بعين غير صحيحة، ويسمع بأذن غير سميعة. قد خرقت الشهوات عقله، وأماتت الدنيا قلبه، وولهت عليها نفسه. فهو عبد لها، ولمن في يده شئ منها. حيثما زالت زال إليها، وحيثما أقبلت أقبل عليها. ولا يزدجر من الله بزاجر، ولا يتعظ منه بواعظ. وهو يرى المأخوذين على الغِرّة، حيث لا إقالة ولا رجعة كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون،



وجاءهم من فراق الدنيا ما كانوا يأمنون، وقدموا من الآخرة على ما كانوا يوعدون. فغير موصوف ما نزل بهم، اجتمعت عليهم سكرة الموت وحسرة الفوت. ففترت لها أطرافهم، وتغيرت لها ألوانهم. ثم ازداد الموت فيهم ولوجاً. فحيل بين أحدهم وبين منطقه، وإنه لبين أهله ينظر ببصره ويسمع بأذنه، على صحة من عقله، وبقاءٍ من لُبّه. يفكر فيم أفنى عمره، وفيم أذهب دهره. ويتذكر أموالاً جمعها أغمض في مطالبها، وأخذها من مصرحاتها ومشتبهاتها. قد لزمته تبعات جمعها وأشرف على فراقها، تبقى لمن وراءه ينعمون فيها ويتمتعون بها. فيكون المهنأ لغيره، والعبء على ظهره. والمرء قد غُلقت رهونه بها. فهو يعض يده ندامة على ما أُصحر له عند الموت من أمره، ويزهد فيما كان يرغب فيه أيام عمره، ويتمنى أن الذي كان يغبطه بها ويحسده عليها قد حازها دونه. فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتى خالط لسانُه سمعَه. فصار بين أهله لا ينطق بلسانه، ولا يسمع بسمعه، يردد طرفه بالنظر في وجوههم، يرى حركات ألسنتهم ولا يسمع رجع كلامهم. ثم ازداد الموت التياطاً به، فقُبض بصره كما قُبض سمعه. وخرجت الروح من جسده، فصار جيفة بين أهله قد أوحشوا من جانبه، وتباعدوا من قربه. لا يُسعد باكياً، ولا يُجيب داعياً. ثم حملوه إلى مخط في الأرض، وأسلموه فيه إلى عمله، وانقطعوا عن زورته).

• الموت وحديث العقل:

بمثل هذا التصوير الرائع يصف الإمام ما يجري على الإنسان عند الموت، ليحرك به عقله،

ليتخذ القرار الحكيم قبل أن يفاجأه ملاحقُه، ففي أكثر من خطبة يصف الإمام الموتَ وكأنه مخلوق يلاحق الإنسان ينتظر الفرصة لينقض عليه كما ينقض الكاسر على فريسته، وحينها لا مجال للفرار. والحكيم من يتأهب لتلك اللحظة. وفي وصيته للحسن: (يا بنيّ! أكثر من ذكر الموت، وذكر ما تهجم عليه، وتفضي بعد الموت إليه، حتّى يأتيك وقد أخذت منه حذرك، وشددت له أزرك، ولا يأتيك بغتة فيبهرك). إذاً هو حديث العقل يطلقه أمير المؤمنين لكل ذي لب، يتحدث به من خلال الواقع اليومي الذي يعيشه الإنسان، لا لكي يتجمد الإنسان في حياته استسلاماً للقدر المحتوم الذي قد يداهمه في أية لحظة، ليتحول إلى فرد عاطل لا عطاء له في هذه الحياة، وهو القائل عليه السلام: (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً) فتعامل مع كل ما يرتبط بعمارة الأرض في هذه الحياة من منطلق الحياة الأبدية، لكي تمتلك القدرة على هذه العمارة.. بل لكي يكون هذا الإيمان العميق الواعي سبباً لتهذيب حركة الإنسان في الحياة، ولعمارة النشأة الأخرى التي ستتحقق له فيها الأبدية الحقيقية.

وإذا كنا نجد خطاب العقل حول الموت في نهج البلاغة، فإن الصحيفة السجادية تأتي لتحرك القلب، لتكتمل صورة التأثير عقلاً وقلباً، وعياً وشعوراً، بكل ما تتضمنه تلك المناجاة من مفاهيم ترسم معالم العلاقة السليمة بين الإنسان وبين أجله المحتوم. فكان من دعائه عند ذكر الموت: (وَاجعَل لَنَا مِن صَالِحِ الأعمَالِ عَمَلاً نَسْتَبْطِئُ مَعَهُ المَصِيرَ إِلَيْكَ، وَنحرِصُ لَهُ عَلَى وَشْكِ اللِّحَاقِ بِكَ حَتَّى يَكونَ الْمَوْتُ مَأنَسَنَا الَّذِي نَأنَسُ بِهِ، وَمَألَفَنَا الَّذِي نَشْتَاقُ إِلَيْهِ، وَحَامَّتَنَا التي نُحبُّ الدنوَّ منها. فإذا أوردتَهُ علينَا، وأنزلْتَهُ بنا، فأسعدنابه زَائِراً، وَآنِسَنَا بِهِ قَادِماً، وَلاَ تُشْقِنَا بِضِيافَتِهِ، وَلا تُخْزِنَا بِزِيارَتِهِ، وَاجْعَلْهُ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ مَغْفِرَتِكَ، وَمِفْتَاحاً مِنْ مَفَاتِيحِ رَحمتِكَ. أَمِتْنَا مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ طَائِعِينَ غَيرَ مُسْتَكْرِهِينَ تَائِبِينَ غَيْرَ عاصِينَ وَلا مُصِرِّينَ يَا ضَامِنَ جَزَاءِ الْمُحْسِنِينَ، وَمُسْتَصْلِحَ عَمَلِ الْمُفْسِدِينَ). إن الإمام لا يطلب التفاعل مع هذه الكلمات من خلال لحن القراءة، ليكون تأثراً شعورياً فارغاً لا يُصلح ما يفسده الإنسان إلا القليل، كما لا يريد أن نتفاعل معها تفاعل الوجدانيات المحبوسة في إطار القلب، والمتحولة إلى دمعات تنهمر ثم ينتهي كل شئ.. بل هي الكلمات التي تخاطب الوجدان، وتشتمل على معالم طريق التغيير إلى الأحسن، ليس فقط في العلاقة مع الله، بل مع عباد الله، وفي الآخرة قد يتجاوز الله عن معصية يرتكبها الإنسان في حق من حقوق الله، ولكنه لن يتجاوز عن حقوق الناس إلا أن يتجاوزا ويعفوا عنه.. فحسن العلاقة مع الناس هي جزء من الصورة المتكاملة للإنسان كما يحبه الله: (عاملوا الناس معاملة من إذا متّم بكوا عليكم وإن غبتم حنوا اليكم).

١٤ شوال ١٤٣٣ هـ
١ سبتمبر ٢٠١٢ مـ

أحبكِ

الكثير من الزوجات يشتكين من عدم إبداء الزوج لكلمات الاطراء والإعجاب، مما يجعل الحياة الزوجية بالنسبة لهن كئيبة ويشعرن بعدم حب الزوج لهن ..

(قــول الرجل للمــرأة: اني أحبك، لا يذهب من قلبها أبداً) الرسول الأكرم ﷺ ..

هناك جعل تكويني سماوي للحب صنعه الخالق سبحانه عنــد ارتباط الذكر والأنثى من خلال عُلقة الزوجيــة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِه انِ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا الَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ان فِي ذَلِكَ لآيات لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم:٢١).

وهنــاك جهد يبذله الزوجــان لتعزيز هذا الحب وترسيخه وتنـميته ليتأصل في الوجود الأسري، ويرسم لوحة رائعة للمشـــاعر الإنســانية الراقية.. وللكلمة أثر الفرشاة في يد فنان مبدع.

• تأثير عام:

ولا يقتصر الأثر الإيجــابي لكلمة الحب وتعبيراتهــا المختلفة في إطــار الحيــاة الزوجية، بل هي حــالة طبيعيــة في الوجدان البشري والعلاقــات البشرية بشكل عام، وهذا ما نلاحظه في الخبر التــالي: (مر رجل في المسجد والامامان محمد الباقر وابنه جعفر الصادق عليهما السلام جالسان، فقال له بعض جلسائه: والله إني لأحب هذا الرجل. قال له أبو جعفر: ألا فأعلمه، فإنه أبقى للمودة وخير في الألفة).

كما أن ضعف هذا العامل المهم في تكوين مشاعر الحب، أعني التعبير بكلمات الحب للطرف الآخر، أو فُقد، كانت النتيجة كارثية!

• من أسباب الطلاق:

في دراسة لوزارة العدل – ادارة الاستشــارات الأسرية – بعنوان أسبــاب الطلاق بين الكويتيين حديثي عهد بالزواج، جــاء من بين الأسباب المطروحة: (عدم ابداء الطرف الآخر كلمات الحب والاعجاب)، ووفق هذه الدراسة، فقد بلغت النسبة المئوية للموافقة لدى الذكور بأنه من أسباب الطلاق (٢٤,٤٪) بينــما ارتفعــت لدى الإناث لتصل إلى (٤٣٪). وتشير تجارب العاملات في مجال الإرشاد الأسري – كما تقول الدراســة – إلى أن هذا الأمر – أي ارتفاع النسبة لدى الإناث – يتفق مع الواقع الكويــتي، فالكثير من الزوجات يشتكين من عدم إبداء الزوج لكلمات الاطراء والإعجــاب، مما يجعل الحياة الزوجية بالنسبة لهن كئيبة ويشــعرن بعدم حب الزوج لهن.

• مكمن المشكلة:

ولم ذلك؟ تقول (آن موير) في كتابها (جنس الدماغ) (الرجال مكيفون على عدم التعبير عن مشاعرهم، ذلك لأن قدرتهم على الإحساس بالمشاعر مفصولة في أدمغتهم بتكوينها المادي عن قدرتهم على الإفصاح اللفظي بدرجات أكبر من النساء). وهذا يعني أن الرجل بحاجة الى ان يجاهد ويصارع هذا الفارق الخَلْقي، كي ينجح في دوام التعبير عن الحب وعن مشاعره لزوجته، ولربما يحتاج الى ان ينبّه نفسه ويدرّبها ويراقبها كي تتحول المسألة عنده الى مسألة تلقائية.

وفي المقابل على المرأة أن تتفهم وجود هذا الفارق بينها وبين الرجل، كي يزول اللبس الحاصل عند بعضهن بتصور أن الزوج لم يعد يحبها، ففي أحيان كثيرة لا تكون المسألة من باب أنه لم يعد يحبها، بل هي من باب ان هذه هي فطرته التي خُلق عليها.

ولربما لهذا نجد النبي ﷺ يحث على بصورة غير مباشرة على ان يقول الرجل للمرأة (أحبك)..فلو كانت المسألة تلقائية لانتفى الداعي. وكذلك يفترض بالمرأة حينما تشعر بوجود مثل هذا البرود في التعبير عن الحب من قبل الزوج (فيما يُعبَّر عنه بالحب المكنون) أن تدفعه للتغلب عليها، فالمشكلة في دماغه لا في قلبه!

• سحر المحبة:

ومن المؤسف لجوء بعض الزوجات إلى المشعوذين والدجالين والسحرة لكتابة أو عمل شيء يجلب المحبة بحسب ادعائهم.. وقد يبدو للبعض ألا مانع مما يقدمه هؤلاء من دجل باعتبار ذكر البسملة وبعض الآيات القرآنية واسم النبي ﷺ في ضمن أعمال السحر المقدمة للزوجة، إلا أن الواقع أن هؤلاء يدلسون ويخدعون طالبات (سحر المحبة) بمثل هذه الأسماء المقدسة والآيات القرآنية بهدف اضفاء الشرعية على أعمالهم أو لمزيد من خداع (عملائهم)! ولن يكون ذلك طريقا حقيقياً لشرعنة أعمالهم الشيطانية والباطلة. وعلى كل حال سواء أكان لهذه الأعمال تأثير حقيقي أم لا، فإن كل المبررات التي تقدمها الزوجة للجوء إليها لا تصمد بأجمعها أمام حقيقة ان هذه ممارسة كفرية، وفي الحديث النبوي: (من أتى ساحراً أو كاهناً فسأله فصدّقه، فقد كفر بما أنزِل على محمد). وقد سألت امرأة النبي ﷺ: (إن لي زوجاً وبه علي غلظة، وإني صنعت شيئاً سحر لأعطفه عليّ. فقال رسول الله ﷺ: أف لك، كدّرتِ البحار وكدّرتِ الطين، ولعنتك الملائكة الأخيار وملائكة السماوات والأرض).



٢١ شوال ١٤٣٣ هـ
٨ سبتمبر ٢٠١٢ مـ

الولاءِ السياسي و العقَدي

شخّص الإمام الحسن أهم مشكلة كان يعاني منها ذلك المجتمع الكوفي الذي وجّه إليه خطابَه، حيث ركز على مسألة الطاعة له، ومن منطلق قرآني عقدي ..

بعد أن تمت مبايعة الإمام الحسن عليه السلام من قبل الناس على إثرِ استشهاد أبيه أمير المؤمنين علي عليه السلام خطب قائلاً: (نحن حزب الله الغالبون، وعترةُ رسولِه الأقربون، وأهلُ بيته الطيبون الطاهرون، وأحدُ الثقلين اللذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وآله في أمَّته، والثاني كتابُ الله، فيه تفصيل كل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالمعوَّل علينا في تفسيره، لا نتظنَّى تأويلَه، بل نتيقن حقائقه، فأطيعونا فانَّ طاعتنا مفروضة، اذ كانت بطاعة الله عز وجل ورسولِه مقرونة، قال الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُم فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾. وأحذركم الإصغاء لهتاف الشيطان، فإنه لكم عدوٌ مبين فتكونوا أولياءه الذين قال لهم: ﴿لاَ غَالِبَ لَكُمُ اليَومَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُم فَلَمَّا تَرَاءَتِ الفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ منكُم إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ﴾ فتُلقون إلى الرماح وِزراً) أي آثمين (وإلى السيوف جَزْراً) أي مذبوحين (وللعَمَد حُطُماً، وللسهام غَرَضاً، ثم ﴿لاَ يَنفَعُ نَفْسًا ايمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي ايمَانِهَا خَيْرًا﴾).

• مشكلة المجتمع الكوفي:

من الواضح أن الإمام الحسن شخّص أهم مشكلة كان يعاني منها ذلك المجتمع الكوفي الذي وجّه إليه خطابَه، حيث ركز على مسألة الطاعة له، ومن منطلق قرآني عقدي. فعلى الرغم من حالة التشيع والنصرة التي كانت تغلب على ذلك المجتمع، إلا أنه كان في مجمله تشيعاً سياسياً، فارغاً من المضمون العقدي، الأمر الذي أدى الى حالات عديدة من التمرد أو النكوص في الاستجابة لأوامر الحاكم، سواء أكان هو أمير المؤمنين علي عليه السلام أو الإمام الحسن المجتبى عليه السلام من بعده.

وقد شخّص أمير المؤمنين علي عليه السلام هذه الحالة من قبل إذ قال: (أيتها النفوس المختلفة، والقلوب المتشتتة، الشاهدةُ أبدانُهم، والغائبةُ عنهم عقولُهم، أظأرُكم) أي أُعطِفكم (على الحق وأنتم تنفرون عنه





قال أمير المؤمنين علي: (اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك) ..

نفور المعزى من وعوعة) أي صوت (الأسد ! هيهات أن أُطلعَ بكم سرارَ العدل) أي تلمع بكم لوامع العدل، ويبرق وجهه (أو أقيم اعوجاجَ الحق) أي وأنتم على هذه الصورة (اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك. اللهم إني أول من أناب وسمع وأجاب، لم يسبقني إلا رسول الله ﷺ بالصلاة، وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والاحكام وإمامة المسلمين البخيل، فتكون في أموالهم نهمته.ولا الجاهل فيضلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوما دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة، فيُهلك الأمة).

لغوي ستجد ان تعريف السياسة: (القيام على الشيء بما يصلحه، والسياسة: فعل السائس، والولي يسوس رعيته).

ولكن السياسة ارتبطت في الذهنية العامة بالخديعة والغش والمصلحية والكذب وغير ذلك، ولما لم يجدوا ذلك عند علي عليه السلام، كما لن يجدوه عند الحسن، لم ينسجم كثيرون معهما في سياستهما.وكيف ينسجمون مع علي وهو القائل: (والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسبلها جلب شعيرة ما فعلته)؟!

قال ابن أبي الحديد: (وأما الرأي والتدبير: فكان من أسدِّ الناس رأيا ، وأصحهم تدبيرا.. وإنما قال أعداؤه: لا رأي له، لأنه كان متقيدا بالشريعة لا يرى خلافها، ولا يعمل بما يقتضي الدين تحريمه. وقد قال عليه السلام: لولا الدين والتقى لكنت أدهى العرب. وغيره من الخلفاء يقصد من الأمويين والعباسيين كان يعمل بمقتضى ما يستصلحه ويستوقفه، سواء أكان مطابقا للشرع أم لم يكن. ولا ريب ان من يعمل بما يؤدي إليه اجتهاده، ولا يقف مع ضوابط وقيود

• السياسة بين الحق والدجل:

هذه هي السياسة في مفهوم الإمام علي عليه السلام، وهذا هو معناها اللغوي، فعندما تعود الى معجم

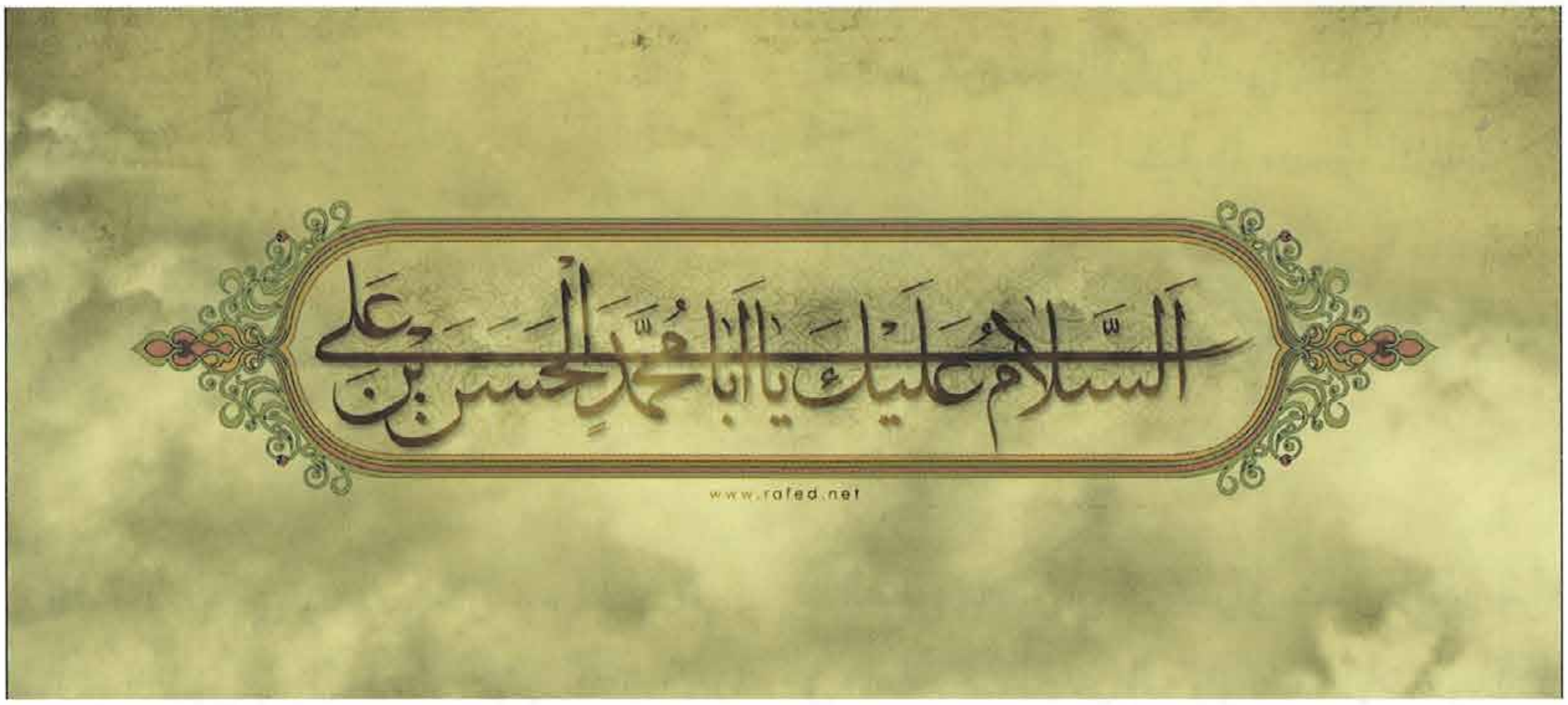

يمتنع لأجلها مما يرى الصلاح فيه، تكون أحواله الدنيوية الى الانتظام أقرب، ومن كان بخلاف ذلك تكون أحواله الدنيوية إلى الانتثار أقرب).

• وضع مأساوي متفجّر:

هذا جانب من صورة الوضع الذي ورثه الإمام الحسن عليه السلام عن أبيه، فالسّياسة التي علّمهم الإسلام أنها إصلاح حال الناس أصبحت مجرَّد شعاراتٍ ابتعدت عن أن تكون أداةً لتأكيد الحقِّ والعدل في الحياة، وأرادوا لها ان تتحول الى أداة طيعة بأيديهم يستخدمونها وفق أهوائهم، لا دخولاً في طاعةِ مَن أمر الله بطاعته.

وفي كتاب الإمامة والسياسة: (لما قُتل علي بن أبي طالب، ثار الناس إلى الحسن بن علي بالبيعة، فلما بايعوه قال لهم: تبايعون لي على السمع والطاعة، وتحاربون من حاربت، وتسالمون من سالمت، فلما سمعوا ذلك ارتابوا وأمسكوا أيديهم، وقَبَض هو يده. فأتوا الحسين فقالوا له: ابسط يدك نبايعك على ما بايعنا عليه أباك، وعلى حرب المحلين الضالين أهل الشام، فقال الحسين: معاذ الله أن أبايعكم ما كان الحسن حياً. قال: فانصرفوا إلى الحسن، فلم يجدوا بُدا من بيعته، على ما شرط عليهم).

مع هكذا نمط من الناس تعامل الحسن عليه السلام، ويبدو ان هذا الوضع استدعى من الإمام ان يتحدث اليهم بشكل واضح بعد مبايعته في أهم نقطة من نقاط الخلل الذي كان يعاني منه ذلك المجتمع، وهو ما أشار النبي صلى الله عليه وآله إليه ضمنياً بقوله: (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا) فتوليهما يجب ان يكون مطلقاً غير متأطر بحدود التوافق مع الرأي الشخصي أو المصالح الضيقة.

وتجلى الخلل بشكل كبير بعد ذلك أثناء الأحداث التي أدت في النهاية الى الرضوخ الى الصلح، وهو ما لم يتحمله بعض أنصاره، وهم ينظرون الى جانب محدود من الصورة المأساوية التي كانت جلية بكلها عند الإمام الحسن.

٢٨ شوال ١٤٣٣ هـ
١٥ سبتمبر ٢٠١٢ مـ

هجْرُ القرآن

تقديم مرجعية القرآن ليس بمعنى إبعاد السنة عن دائرة اعتبارها مصدراً للمعرفة الإسلامية، ولكن بمعنى أننا نقيّم الحديث من خلال القرآن وليس العكس ..

قال الله عزّ وجلّ في وصف الحال يوم الحساب: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان: ٣٠). هذه الآية تمثل شكوى من النبي صلى الله عليه وآله في إخبارٍ عن المستقبل، شكوى تنم عن تألمه وتبرئه من واقع حال المسلمين، فهو يعلن أنه لم يقصّر في ما كلفه به ربُّه، وأوصى المسلمين بكتاب الله معتبراً إياه الثقل الأكبر، فعن أبي سعيد الخدري قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله عزّ وجلّ حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي. ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض).. ولكن المسلمين ـ إلا القليل منهم ـ هجروا القرآن من بعده.

• صور الهجر:

فما هي صور الهجر الذي حذرت منه نصوص عديدة، كقوله تعالى: ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا، مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا، خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾ (طه: ٩٩-١٠١)؟ وما هي الصورة المقابلة التي نُدب إليها؟

البعض يتصور أن هجر القرآن يتمثل في أن يقرأ في المصحف المهدى إليه ولو بضعة آيات، وبذلك لا يكون من الذين هجروا القرآن.. إلا أن الواقع أن هذه الصورة ليست هي المقصودة في ذاتها، فلهجر القرآن صور عديدة، منها:

١. هجر التلاوة:

وهي الصورة الأوضح والمتبادرة عادة، وقد جاء الحث على التلاوة حتى للإنسان المشغول ولو في الحد الأقل، فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (ما يمنع التاجر منكم المشغول في سوقه إذا رجع إلى منزله أن لا ينام حتى يقرأ سورة من القرآن، فتكتب له مكان كل آية يقرؤها عشر حسنات، ويمحى عشر سيئات).

وللأسف يتعامل البعض مع مسألة التلاوة بصورة آلية، فيسألون: ما هي المدة التي لا يجب على المؤمن هجر القرآن فيها تلاوةً؟ أو ما هو الحد الذي من بعده يكون الإنسان قد ارتكب المكروه في هجر تلاوة القرآن؟

مثل هذا التساؤل لا معنى له، فمن المفترض



أن يكون التعامل مع القرآن تعاملاً تلقائياً لا تعاملاً رياضيا بالأرقام، ومثل هذا التعامل الرقمي يدل بذاته على نوع من الهجر والعلاقة غير السليمة بين المسلم وكتاب ربه.

٢. هجر التدبر والفهم:

وهـذا أقل تبادراً من المعنى الأول، فمن يتجنب الهجـر من النوع الأول، قد تجده يقع بكثرة في هذه الصـورة من صور الهجر، فيتحول إلى تالٍ لكلمات وجمل لا يدرك معناها، ولا يعرف فـائدتها، وكيف يوظفها في حياته.. فهل كون القرآن نوراً كما في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَـاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًـا﴾ (النساء:١٧٤)، يتحقق بمجرد التلاوة؟ قال تعـالى: ﴿كِتابٌ أَنزَلْناهُ إليكَ مُبارَكٌ لِيدّبرُوا آياتِهِ﴾ (ص: ٢٩). وعن الإمام علي ابن الحسين السجاد عليه السلام أنّه قـال: (آيات القرآن خزائن العلم، فكلّما فتحت خزانة فينبغي لك أن تنظـر ما فيها). وجاء الذم لمن لا يتدبر فيه في قوله سبحانه: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفَالُها﴾ (محمد: ٢٤).

بالطبع لكل إنسـان مستوى من القدرة على فهم القرآن، وهذا شئ طبيعي، فـالمهم السعي في هذا الإطـار، بفهـم المفردات ومعنى الآية ولو بشـكل بسيط. وهذا كان أسلوب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تعليم القـرآن حيث كان يقرئ أصحـابه عشر آيات ثم يعلمهم ما فيها من سبب نزول وحكم وغير ذلك، ثم ينتقل بعدها إلى الآيات الآخرى.

٣. هجر مرجعية القرآن:

التلاوة والتدبر يفترض بهما أن يكونا مقدمة لاعتماد مرجعية القرآن الكريم باعتبارها الأساس في تكوين المعرفة الدينية (العقيدة ـ فهم القرآن ـ الأخلاق ـ

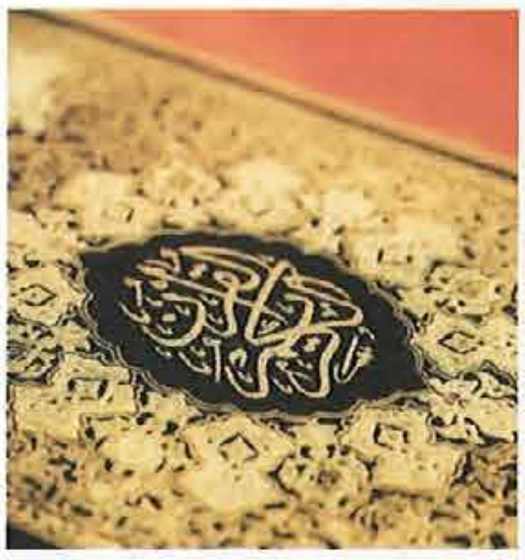



نظرياً، لا خلاف بين المسلمين على اعتبار القرآن الكريم هو المصدر الأول والأساسي في تكوين المعارف الإسلامية إلا أن الواقع يشهد أن هذا الدور المرجعي غير متحقق..

الأحكام الشرعية ـ التاريخ ـ المفاهيم الإسلامية .. إلخ) بحيث نقدم حاكمية النص القرآني على أي دليل آخر. ليس هذا بمعنى إبعاد السنة عن دائرة اعتبارها مصدراً للمعرفة الإسلامية، فالسنة هي المصدر الثاني بعد القرآن، سواء للتشريع أو للدائرة المعرفية الإسلامية الأوسع، ولكن بمعنى أننا نقيّم الحديث من خلال القرآن لا العكس كما يجري في كثير من الأحيان.

نظرياً، لا خلاف بين المسلمين على اعتبار القرآن الكريم هو المصدر الأول والأساسي في تكوين المعارف الإسلامية في الحقول المختلفة كالعقائد والفقه والفلسفة والتاريخ والأخلاق والاقتصاد والاجتماع والسياسة والتربية وغيرها، وأنه هو الميزان والمعيار في تصويب الآراء والأفكار. إلا أن الواقع يشهد أن هذا الدور المرجعي ووظيفته المتعددة الأطراف ـ عملياً ـ أمر غير متحقق إلا في موارد محدودة.

• التخلي عن وصية النبي:

وقد أشار أكثر من مفكر وباحث إسلامي إلى خطورة استمرار هذا الوضع، وحذّر العلامة الطباطبائي في (الميزان) من التبرير الذي يسوقه البعض بعدم إمكانية الاستفادة من ظواهر القرآن باعتبار أن علمها عند النبي والإمام، أو باعتبار أنها ليست بحجة، معتبراً أن هذا يعني التخلي عن وصية النبي ﷺ بالثقل الأكبر، ثم قال رحمه الله: (وهذه الطريقة المسلوكة في الحديث أحد العوامل التي عملت في انقطاع رابطة العلوم الإسلامية وهى العلوم الدينية والأدبية عن القرآن مع أن الجميع كالفروع والثمرات من هذه الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها، وذلك أنك إن تبصرت في أمر هذه العلوم وجدت أنها نُظمت تنظيماً لا حاجة لها إلى القرآن أصلاً حتى أنه يمكن لمتعلم أن يتعلمها جميعاً: الصرف والنحو والبيان واللغة والحديث والرجال والدراية والفقه والأصول فيأتي آخرها، ثم يتضلع بها ثم يجتهد ويتمهر فيها وهو لم يقرأ القرآن، ولم يمس مصحفاً قط. فلم يبق للقرآن بحسب الحقيقة إلا التلاوة لكسب الثواب أو اتخاذه تميمة للأولاد تحفظهم عن طوارق الحدثان! فاعتبر إن كنت من أهله).

٦ ذوالقعدة ١٤٣٣ هـ
٢٢ سبتمبر ٢٠١٢ م

بر الوالدين

اعتبر القرآن أن من أهم الالتزامات التي تؤكد الطاعة لله وترتقي بالإنسان في أخلاقه وسلوكه وقيمته الاجتماعية وقيمته الأخروية: الإحسان إلى الوالدين ..

أولى القـران الكريم اهتمامـاً بالغـاً بالوالدين فتكررت منه الوصـايا بهما في أكـثر من موضع ومناسبة، والملاحظ في ذلك أمور:

• اقتران البر بهما بالعقيدة:

قرن الإحسـان إليهما بأهم أصل من أصول العقيدة فقـال تعـالى :﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ (الإسراء:٢٣)، فالتوحيد ليس حالة تجريدية نظرية يعيشها الإنسان في عقله، بل أساس تتفرع عنه الكثير من الالتزامـات التي يُراد لها أن تحقق للإنسان إنسانيته في أرقى صورها: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَـانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيم، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (التين:٤-٦)، ومن أهم تلك الالتزامات التي تؤكد الطاعة لله وترتقي بالإنسـان في أخلاقه وسلوكه وقيمته الاجتماعية وقيمته الأخروية: الإحسان إلى الوالدين.

وفي الكافي حديث رائع عن الإمام الصادق عليه السلام يقدّم صوراً سريعة لانتزاعات مفاهيمية من القرآن تخص هذا الإحسان والبِر بالوالدين، فعن أبي ولاد الحناط قال: (سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ ما هذا الإحسان؟ فقال: الإحسان أن تحسن صحبتهما) بكل ما لكلمة الإحسان من صور، ابتداء من الابتسامة والتحية الطيبة وتقبيل الرأس واليد واستعمال الأسـلوب الأمثل في الكلام مروراً بالمساعدة وقضـاء الحوائج إلخ (وأن لا تكلفهما أن يسألاك شيئـاً مما يحتاجان إليـه وإن كانا مستغنيين، أليس يقول الله عزوجل: ﴿لَنْ تَنالُوا البِرَّ حَتّى تُنفِقُوا مِمّـا تُحِبّونَ﴾؟) فإذا كنت تؤمن بأن عليك أن تتعامل مع الغريب المحتاج بهذه الروحية، فمن الأولى أن تعامل والديك بهذه الصورة (قال: ثم قال أبو عبدالله عليه السلام: وأمّا قول الله عزوجل: ﴿إِمّا يَبلُغَنَّ الكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُمَا فلا تقُـلْ لَهُـما أُفٍّ وَلا تَنهَرْهُما﴾ قـال: إن أضجراك فلا تقل لهما أف، ولا تنهرهما إن ضرباك. قـال: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًـا﴾ قال: إن ضرباك فقل لهما: غفر الله لكما، فذلك منك قول كريم، قـال: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَـاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ قال: لا تملأ عينيك من النظـر إليهما) أي لا تحدق فيهما

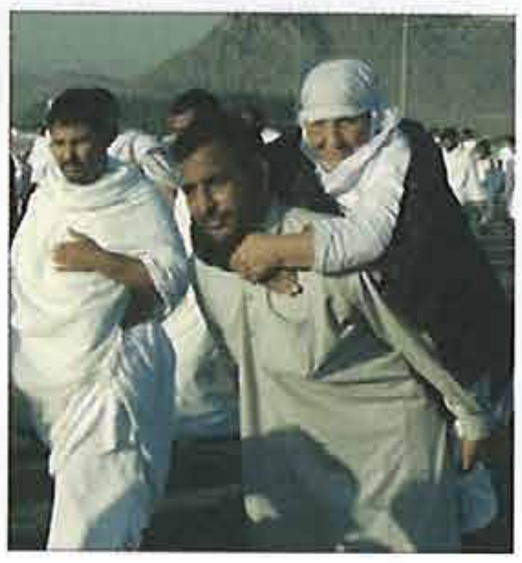

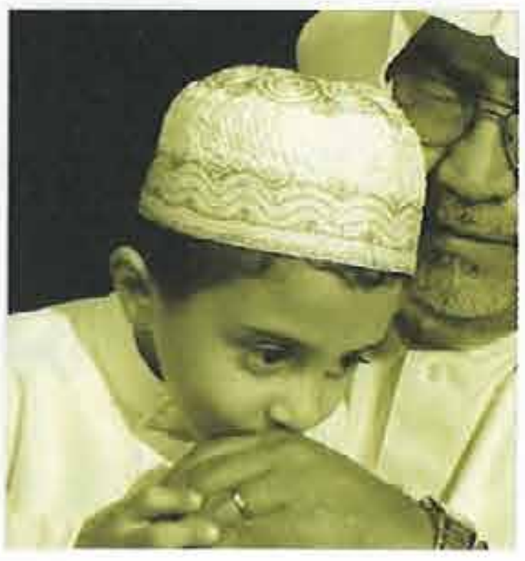

في القرآن نلحظ الاقتران ما بين التوحيد والعبودية لله من جهة، وما بين الإحسان إلى الوالدين من جهة أخرى كأول انعكاس عملي للبعد الاجتماعي في الإيمان بالله ..

(إلا برحمة و رقة) بحيث يكون التحديق مقروناً بابتسامة الرضا والحب والحنان والمشاعر الطيبة لا تحديق الغاضب الكاره المحتقر اللائم المتمني لموتهما والخلاص منهما (ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما ولا يدك فوق أيديهما ولا تقدم قدامهما).

• وفاء بالميثاق السماوي:

وأكّد القرآن الكريم على أن الوفاء معهما يمثل وفاء بعهد وميثاق أُخذ على الإنسان: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ (البقرة:٨٣). ولا يخفى أن مثل هذا التنبيه على أخذ الميثاق من بني إسرائيل يتضمن دعوة للمسلمين أيضاً للالتزام إيماناً بوحدة الخط العام للرسالات والتشريعات السماوية.

ومن جديد نلحظ الاقتران المباشر ما بين التوحيد والعبودية لله من جهة، وما بين الإحسان إلى الوالدين من جهة أخرى كأول انعكاس عملي للبعد الاجتماعي في الإيمان بالله سبحانه، باعتبار أن الأسرة هي اللبنة الأولى في المجتمع، وهي مدرسة الأجيال، وهي التي تفرز الإنسان الصالح أو الفاسد، فكان من الضروري تأسيس العلاقة السليمة بين مكوناتها، ولعل التركيز على الإحسان إلى الوالدين دون إحسان الآباء بالأبناء باعتبار أن الثاني حالة غريزية طبيعية لا تحتاج إلى مزيد عناية، بخلاف الأولى التي قد نشهد فيها تمرداً في حالات كثير.

• قلب أمي:

كتب الشاعر والأديب الفرنسي (لامارتين) قصيدة في هذا الإطار عرّبها الشاعر اللبناني إبراهيم المنذر، ثم نسج أبياتاً مكملة لها، قال (لامارتين) ما ترجمته:

أغرى امرئ يوماً غلاماً جاهلاً
بنقوده كيما ينال به الوطر
قال ائتني بفؤاد أمك يا فتى
ولك الدراهمُ والجواهرُ والدُّرَر
فمضى وأغرز خِنجراً في صدرها
والقلبُ أخرجَه وعاد على الأثر
لكنه من فرط سرعته هوى
فتدحرج القلب المُقطَّع إذ عثر





ناده قلبُ الأم وهو معفّر

ولدي حبيبي هل أصابك من ضرر؟

هنا يكمل الشـــاعر اللبناني الأبيات من نظمه وعلى نفس النسق:

فكأن هذا الصوت رغم حنوِّه

غضبُ السماء على الغلام قد انهمر

ودرى فظيعَ خيانةٍ لم يأتها

أحد سواه منذ تاريخ البشر

فارتد نحو القلب يغسله بما

اجرت دموع العين من سيل العِبر

ويقول يا قلبُ انتقم مني ولا

تغفر فإن جريمتي لا تُغتفر

واذا غفرتَ فانني اقضي انتحاراً

مثلما بُغاث قبلي انتحر

واستل خِنجرَه ليقتلَ نفسَه

طعناً فيَبقى عبرةً لمن يعتبر

ناداه قلبُ الأم كُفَّ يداً ولا

تَذبح فؤادي مرتين على الأثر

كما جـاء التحذير في القرآن من نقض عهد الله بشكل يتناسب مع حجم ذلك العهد والميثـاق المتضمن للإحسان إلى الوالدين: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَـا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِـدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (الرعد:٢٥). واللعنة إبعـاد من رحمة الله في عاجل الدنيا قبل الآخرة.

• تجبر وشقاء:

وتعكس الإسـاءة للوالدين في المفهوم القرآني صورة من صور الشقاء والتجبر، وهذا ما نلاحظه في وصف القرآن لشخصية النبي يحيى عليه السلام: ﴿وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً﴾ (مريم:١٤)، وعن السيـد المسيح عليه السلام: ﴿وَبَرّاً بِـوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّـاً﴾ (مريم:٣٢)، ونلاحظ الارتبـاط بـين البر بالوالدين وبين عدم الكون من الجبارين، الذين يعيشون الغطرسة والتكبر لا على مستوى الشعور فحسب، بل السلوك أيضاً، وهذا ما ينبغي التنبيه إليه ـ خاصة الشباب في عنفوان قوتهم ـ إلى ضرورة الحذر من الاغترار بعناصر القوة بالمستوى الذي يطغون فيه حتى على الوالدين أو أحدهما.

فلينتبه الشباب وهم في عنفوان قوتهم إلى ضرورة الحذر من الاغترار بعناصر القوة بالمستوى الذي يطغون فيه حتى على الوالدين أو على أحدهما ..



من صور الطغيان العقوق بالتمرد والاحتقار والاستهانة والتعامل القاسي والتجاهل والإهمال، فضلاً عن الإهانة والسب والضرب ..

ومن صور الطغيان العقوق بالتمرد والاحتقار والاستهانة والتعامل القاسي والتجاهل والإهمال، فضلاً عن الإهانة والسب والضرب والعياذ بالله. وهذا من أهم أسباب العقوق، الذي بلحاظ الآيتين ليس إلا من صور العصيان والتمرد على الله سبحانه، كما أنه من أسباب الشقاء الدنيوي والأخروي، لأن العاق لا بركة في حياته، بغض النظر عن المصير الأخروي.

عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: (ثلاثة من الذنوب تعجل عقوبتها ولا تؤخر إلى الآخرة: عقوق الوالدين والبغي على الناس وكفر الإحسان)، وعنه: (يقال للعاق: اعمل ما شئت فإني لا أغفر لك) وعن الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام: (العقوق يُعقِب القلة ويؤدي إلى الذلة).

• ابتهال:

في الصحيفة السجادية في دعاء الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام لوالديه: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَأَلْهِمْني عِلْمَ مَا يَجِبُ لَهُمَا عَلَيَّ إلْهَاماً، ثُم اسْتَعْمِلْني بِمَا تُلْهِمُني مِنْهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْني أهابهما هَيبَةَ السُّلطانِ العسُوفِ، وأَبَرُّهُما بِرَّ الأُمِّ الرؤوفِ، واجْعَلْ طاعتي لِوَالِدَيّ وبِرّي بهما أقرَّ لِعيني من رَقْدَةِ الْوَسْنَانِ، وَأَثْلَجَ لِصَدْرِي مِنْ شَرْبَةِ الظَّمْآنِ، حتى أوثِرَ على هَوايَ هَواهُما وأقدِّمَ على رِضايَ رضاهُما، وأستكثر بِرَّهُمَا بي وَإن قل، وَأَستَقِل برِّي بِهِمَا وَإنْ كَثُرَ. اللَّهُمَّ وَمَا مَسَّهُمَا مِنِّي مِنْ أَذىً أَوْ خَلَصَ إلَيْهِمَا عَنِّي مِنْ مَكْرُوه أَوْ ضَاعَ قِبَلي لَهُما مِن حقّ فاجعلْه حِطّةً لِذنوبِهما، وعُلوّاً في درجاتِهما وزيادةً في حَسَناتِهِمَا يَا مُبَدِّلَ السَّيِّئاتِ بِأَضْعَافِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ يا أَرحم الراحمين).

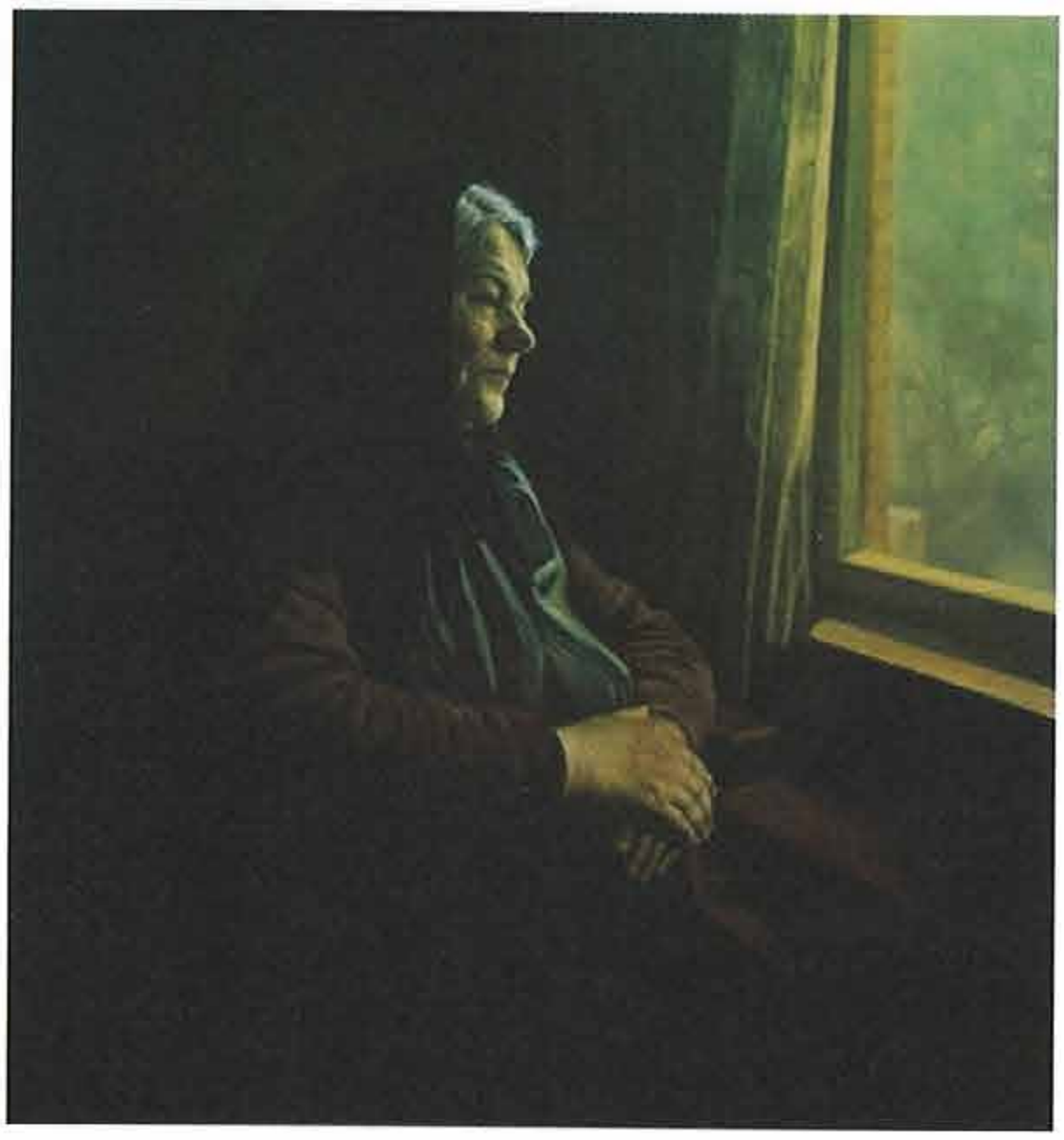

١٣ ذوالقعدة ١٤٣٣ هـ
٢٩ سبتمبر ٢٠١٢ مـ

إلا تنصروه

في القرآن وعد إلهي يؤكد على أن الله لا يحتاج إلى أيّ عبدٍ من عباده في تحقيق إرادته بالنصر، سواء في إطار الدعوة، أو في إطار رد الإساءات المتوجهة لنبيه ..

تعرض النبي ﷺ منذ بداية إعلان نبوته ودعوته إلى الإسلام لصور عديدة من الإساءة في أجواء العهدين المكي والمدني. وقد تحدث القرآن الكريم عن صور من تلك الإساءات، واختلفت أساليب المعالجة والمواجهة ورد الإساءة وفق المعطيات الظرفية، ولكن ما يجمعها هو الانتصار الإلهي لرسول الله وفق القوانين التي يدير بها الله سبحانه هذا الوجود، أعني أن الانتصار له لم يتم من خلال المعاجز والانتقام الشامل المدمّر: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:٤٠).

• وعد إلهي:

وهذا هو الوعد الإلهي الذي يؤكد على أن الله لا يحتاج إلى أيّ عبدٍ من عباده في تحقيق إرادته بالنصر، سواء في إطار الدعوة، أو في إطار رد الإساءات المتوجهة لنبيه، لأنه وليّ القوّة في الحياة كلها، ولكن إرادته شاءت أن تسير الأمور وفق القوانين.. فإذا تخلى الناس عن نصرته، فإن الله لن يخذله، وسيوفر له أسباباً أخرى للنصر: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوا يَستَبدِل قَوماً غَيرَكُم ثُم لا يَكُونُوا أَمثَالَكُم﴾ (محمد:٣٨).

ومن جهة أخرى فقد أكد القرآن الكريم على تشابه هذه المعاناة مع معاناة الأنبياء السابقين كقوله: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ (الذاريات:٥٢).

ويمكن تقسيم تلك الإساءات إلى أقسام:

• القسم الأول: في أجواء الدعوة:

• في العهد المكي: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ، إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ (الكوثر:١-٣) حيث تنص الأخبار أن المشركين كانوا يسعون ـ بكلّ وسائلهم وأساليبهم ـ لتدمير معنويات النبي وبالتالي إسقاط موقفه، ومن أساليبهم إهانته بالكلمات الجارحة النابية المؤذية، وأن بعض سفهاء قريش، كالعاص بن وائل، وأبي جهل، وعقبة بن أبي معيط، وكعب بن الأشرف، قالوا عند موت





نزلت سورة الكوثر انتصارا للنبي وفضح لما ستكشفه الأيام عن حال المستهزئين، إذ تؤكد بأن الله قد أعطاه الخير الكثير الذي سيمتد في كل حياته، وفي ما بعده ..

القاسم ابن رسـول الله: إن محمداً قد انقطع نسله، فلا جرم، لقد أصبح أبتر. وغير خافٍ قيمة وجود الولد الذكر، ولاسيما في المجتمعات العربية: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (النحل:٥٨)، فهم في الوقت الذي يعيّرونه بذلك تعييراً اجتماعياً يتضمن كلامهم التلويح بشبهة التخلي الإلهي عن نبيه بادعاء انقطاع سبب استمرار الرسالة من بعده.

فنزلت هذه السورة، انتصاراً للنبي وفضحاً لما ستكشفه الأيام عن حال المستهزئين، إذ تؤكد بأن الله قد أعطاه الخير الكثير الذي سيمتد في كل حياته، وفي ما بعده، ولن ينقطع ذِكره أبداً، ولن يفنى نسله أبداً، ولن يكون أبتر.. بل إن الذين يقفون ضدّه هم الأوْلى بهذه الصفة.

• في العهد المدني: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (النساء:٤٦). فعندما كان النبي يدعو اليهود إلى الإسلام، كانوا يقولون بما يصوّرونه على أنه نوع من الأدب في الكلام، في الوقت الذي كان يمثل فيه الإهانة: (سمعنا، وأنت اسمع لنا، وراعنا) والكلمة الأخيرة تحمل في العبرية معنى مغايراً لما هو عليه في العربية إذ تعني عندهم (لا أسمعك الله)! وجاء الانتصار الإلهي للنبي بفضحهم.

• القسم الثاني: في الأجواء الاجتماعية لحياة النبي:

وصدرت بعضها من المنافقين وبعضها من المسلمين لأسباب مختلفة، ومن أمثلة ذلك ما جاء في قضية الإفك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النور:١١).

فمن النصوص ما يؤكد أن القضية تخص أم المؤمنين عائشة وفي بعضها أم المؤمنين مارية، وعلى هذا الأساس فستكون الآية نموذجاً لإساءة وقحة لأسرة النبي وبالتالي للنبي نفسه، لاسيما بلحاظ التساهل في نقل الإشاعة من قبل المسلمين



كان النبي يتأذى من تصرفات بعض المسلمين تجاهه وتجاه أسرته ، بل إلى مستوى حديث بعضهم عن تمنياته للاقتران ببعض زوجات النبي بعد وفاته ..

أنفسهم: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (النور: ١٥).

وجاء الانتصار بالوعيد بالعذاب الأليم لمن يقف وراء الإشاعة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ (النور:١٩)، وبالتهديد العنيف لمن ينشرها ولو سفهاً: ﴿ولولا فَضْلُ اللهِ عليْكُم ورحْمتُهُ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النور:١٤).

المثال الآخر يتضمن عدة إساءات وتخص تصرفات المسلمين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ نَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ (الأحزاب:٥٣).

فقد كان النبي ﷺ يتأذى من تصرفات بعض المسلمين تجاهه وتجاه أسرته، من قبيل إطالتهم الجلوس في بيته انتظاراً للطعام، أو بعد تناوله، وكذلك من خلال الوقوف عند باب بيته والتحدث إلى زوجاته، بل إلى مستوى حديث بعضهم عن تمنياته للاقتران ببعض زوجات النبي بعد وفاته!

وجاء الانتصار الإلهي للنبي هذه المرة بنزول هذه الآية وآيات أخرى تنظم العلاقة الاجتماعية بالنبي وأهله، وترشد زوجاته لبعض الملاحظات: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الذي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلا مَّعْرُوفًا، وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ (الأحزاب:٣٢-٣٣).

المثال الثالث ما جاء في قضية السيدة زينب وزوجها زيد بن حارثة: ﴿وإِذْ تقُولُ للذِي أَنْعَمَ اللهُ عليهِ وأَنْعمتَ عَليهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتّقِ اللهَ وتُخفِي فِي نَفسِكَ مَا اللهُ مُبدِيهِ وتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحقُّ أَنْ تَخشَاه﴾ (الأحزاب:٣٧)، والآية



عاش النبي موجات من الإساءة إليه في حياته، إلا أن ذلك كله لم يُخرجه عن اتزانه في التعامل مع المسيئين إليه حتى وهو يعاقبهم .. وانتصر الله له بطرق متعددة ..

تعكس قلقاً عند النبي من ردة فعل الناس في أقاويلهم المسيئة إليه بالمستوى الذي أخفى فيه ما أخبره الله به مما ستؤول إليه الأمور، وجاء الانتصار للنبي بتقوية موقفه وسد الباب أمام أقاويلهم المؤذية.

• القسم الثالث: فيما يخص إدارة أمور المسلمين:

ومن أمثلته الحديث الخاص ببعض اتهامات المنافقين للنبي والطعن في عدالته: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ... وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة:٥٨-٦١).

واللمز بمعنى الإعابة، وهذه إساءة، والإساءة الأخرى تشير إلى ما روي من أن عبد الله بن نبتل كان منافقاً وكان يقعد إلى رسول الله ﷺ فيسمع كلامه وينقله إلى المنافقين، فنزل جبرئيل يفضحه، فدعاه رسول الله ﷺ فأخبره، فحلف أنه لم يفعل، فقال رسول الله ﷺ: قد قبلت منك فلا تفعل، فرجع إلى أصحابه فقال: إن محمداً أذن، أخبره الله أني أنمّ عليه وأنقل أخباره فقبله، وأخبرته أني لم أقل ولم أفعل فقبله، فجاء الانتصار للنبي بفضحه، وبيان أن النبي لا يقبل ما يسمع من الناس عن اقتناع، بل يظهر القبول لئلا يحرج المعتذر أو يكذّب القائل، انطلاقاً من سماحته وحسن أخلاقه.

• نصرة النبي:

وهكذا عاش النبي ﷺ موجات من الإساءة إليه في حياته، ولم نستعرض إلا جزء يسيراً منها، إلا أن ذلك كله لم يُخرجه عن اتزانه في التعامل مع المسيئين إليه حتى وهو يعاقبهم، هذا إن لم يعفُ عنهم.. وأما الانتصار الإلهي لنبيه فقد جرى وفق الأسباب لا بالطريقة الإعجازية ولا بالوسيلة التدميرية الشاملة.. وكما تعددت طرق الانتصار الإلهي للنبي وفق الظروف المتغيرة، فإن علينا أن ننوع في الأساليب التي من خلالها نؤدي مسؤوليتنا في هذا الإطار.

٢٠ ذوالقعدة ١٤٣٣ هـ
٦ أكتوبر ٢٠١٢ م

الإمام الرضا : وارثُ الكتاب

نؤكد دائماً على مسألة أن الإمام الذي يتحمل مسؤولية الرسالة بعد النبي لابد وأن يكون أعلم الناس في زمانه بأمور الدين والشريعة ..

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِن عِبَادِنَا فَمِنْهُم ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُم سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ، جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ (فاطر:٣٢-٣٣).

أورث الله عزّوجلّ كل أمة سبقت أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم كتابها السماوي، بمعنى أنه حمّلهم مسؤولية حفظه ووعيه وتبليغه.. فانقسمت تلك الأمم إلى ثلاث فئات من حيث تحمل المسؤولية كما جاء في الآية الشريفة.. وذات الأمر انطبق على الأمة الإسلامية التي حُمِّلت مسؤولية القرآن الكريم، فانقسم المسلمون إلى فئات ثلاث: فئة تخلّت عن المسؤولية، ولربما عملت على خلافها، وفئة لم تبذل ما في وسعها بل اكتفت باليسير، وفئة كانت تجاهد في هذا الطريق.

• عترة النبي:

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن عترته هي الفئة السابقة بالخيرات، أي التي ستتحمل المسؤولية كاملة، لتمثل القيادة والمرجعية للناس، وذلك حيث قال: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي) وأعقب ذلك بقوله: (.. قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يلقياني وسألت ربي لهما ذلك فأعطاني، لا تسبقوهم فتهلكوا، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فهم أعلم منكم).

• أعلمية الإمام:

ومن هنا نؤكد دائماً على مسألة أن الإمام الذي يتحمل مسؤولية الرسالة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لابد وأن يكون أعلم الناس في زمانه بأمور الدين والشريعة، هذه الحقيقة التي عبّر عنها أمير المؤمنين علي عليه السلام بقوله فيما روي عنه: (إنّ أولى النّاس بالأنبياء أعلمُهم بما جاؤوا به). وقد روى الشيخ محمد بن علي الصدوق في كتابه (عيون أخبار الرضا) عن الريان بن الصلت قال: (حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو وقد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق وخراسان فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ

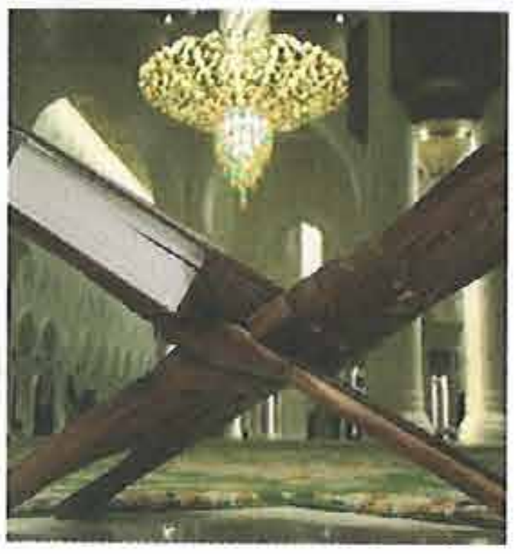



عندما نستعرض سيرة الإمام الرضا العلمية ونتتبع النصوص المروية عنه في الجانب المعرفي ، نجد التنوع ماثلاً بصورة واضحة جلية ..

الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾؟ فقالت العلماء: أراد الله عزّوجلّ بذلك الأمة كلها .فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال الرضا عليه السلام: لا أقول كما قالوا، ولكني أقول: أراد الله عزّوجلّ بذلك العترة الطاهرة. فقال المأمون: وكيف عنى العترة من دون الأمة؟ فقال له الرضا: إنه لو أراد الأمة لكانت بأجمعها في الجنة لقول الله عزّوجلّ: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ ثم جمعهم كلهم في الجنة فقال : ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدخُلونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِن أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ الآية، فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم. فقال المأمون: من العترة الطاهرة؟ فقال الرضا: الذين وصفهم الله في كتابه فقال عزّوجلّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله: [إني مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما، أيها الناس لا تعلّموهم فإنهم أعلمُ منكم]).

• سعة علم:

والذين عاصروا الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام وعايشوه عن قرب أكدوا تمثّل هذه الحقيقة فيه، فعن أبي الصلت عبدالسلام بن صالح الهرويّ قال: (ما رأيت أعلم من عليّ بن موسى الرضا، ولا رآه عالم إلا شهد له بمثل شهادتي، ولقد جمع المأمون في مجالس له ذوات عدد علماء الأديان وفقهاء الشريعة والمتكلمين، فغلبهم عن آخرهم، حتى ما بقي أحدٌ منهم إلا أقرَّ له بالفضل وأقرَّ على نفسه بالقصور.. ولقد سمعت عليَّ بن موسى الرضا يقول: كنت أجلس في الروضة والعلماء بالمدينة متوافرون، فإذا أعيا الواحد منهم عن مسألةٍ أشاروا إليَّ بأجمعهم وبعثوا إليَّ بالمسائل فأُجيب عنها).

وعندما نستعرض سيرة الإمام الرضا عليه السلام في جهوده العلمية، ونتتبع النصوص المروية عنه في الجانب المعرفي نجد التنوع ماثلاً بصورة واضحة جلية. وما وصل إلينا قليل من كثير، فقد روي عن محمد بن عيسى اليقطيني قوله: (لما اختلف

الناس في أمر أبي الحسن الرضا، جُمعت من مسائله مما سُئِل عنه وأجاب فيه ثمانية عشر ألف مسألة). ومع هذا فإن ما وصل إلينا يشمل أحاديث في المعارف القرآنية والمفاهيم الإسلامية، وفي العقيدة، وفي حوارات مقارنة الأديان، وقضايا الأخلاق والحكمة وغيرها، ولا نجدها تقتصر على الجانب الشرعي فقط، كما يتعامل الكثير منا مع المعرفة الدينية حين نختزل جلَّها في الأحكام الشرعية.

• المعرفة الدينية الشاملة:

لا أريد الانتقاص من أهمية معرفة الأحكام، إلا أن المعرفة الدينية لا تقتصر عليها، ولكن للأسف نجد أن العقلية المتدينة قولبت في غالبها بالقالب الفقهي على حساب الكثير من جوانب المعرفة الدينية الأخرى، وهذا ما تدل عليه أغلب الأسئلة التي يطرحها الناس، مما يعكس موارد الاهتمام عندهم.

• جسد بلا روح:

وحتى عندما نتناول الفقه نتناوله كجسد، فننزع الروح منه، وننشغل بالجسد إلى المستوى الذي يتحول إلى حالة شبه وسواسية، ونفقد بالتالي عطاءات المسألة الشرعية المرتبطة بالعبادة أو المعاملة، تماماً كما نطوف حول الكعبة، فيكون أكثر ما يشغلنا هو تأثير التدافع على صحة الطواف، وتجنب الالتفات المبطل، وتلفظ النية، والحفاظ على الوضوء وأمثال ذلك؟ وننسى لماذا نطوف.. وكيف نعيش هذه اللحظات مع الله، وكيف نعيش في أثنائه حالة السلام والوحدة مع سائر المسلمين لتكون منطلقاً في علاقاتنا اليومية، وكيف نفعّل مفهوم توحيد الله من خلال رمزية التوحيد في الطواف، وأمثال ذلك..

الحقيقة أن كل هذا يتبخر، أو يغيب من الأساس، لنقتل بالتالي روح العبادة ونبقى مستغرقين في التعامل مع الجسد الذي لن يعطينا الكثير، ونبقى نشتكي لماذا لا تؤثر العبادة فينا، ولماذا حججنا وعدنا كما كنا؟! ولماذا يشارك أحدنا في صلاة الجماعة وهو يبغض من يصلي إلى جانبه، حتى إذا أنهى الصلاة وقد دعى فيها (ربنا ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا) لم تتبخر مشاعر البغض تجاه هذا الإنسان؟ ولماذا ولماذا؟

لقد كان العطاء المعرفي لنبينا الأكرم ﷺ وللأئمة عليهم السلام من بَعده شمولياً، ولذا امتدَّ تأثيرهم في الحياة الإسلاميّة كلها والواقع الإسلاميّ كله، وكان يواجهون كلَّ القضايا التي تتفاعل في المراحل التي عاشوا فيها، من قضايا الصراع الفكري والتنوّع المعرفي الديني.. إذ لم تكن مسؤوليتهم لتتأطرَّ بحدود بيان الأحكام الشرعية، بل أن يرصدوا كلَّ الواقع الثقافي ليصحّحوا المفاهيم ويُبطلوا البدع ويقوّموا مسار الطريق عندما ينحرف الناس عن الصراط المستقيم.

٢٧ ذوالقعدة ١٤٣٣ هـ
١٣ أكتوبر ٢٠١٢ مـ

بين طاووس وزين العابدين

١ من ٣

لهذا الحوار دلالات متعددة، من بينها ضرورة أن نعيش شيئاً من هذه الروحانية العالية في العلاقة مع الله لاسيما في الأماكن المقدسة والأوقات المميزة ..

عن طاووس بن كيسان اليماني الذي يعد من علماء التابعين وروى عن الصحابة (ت١٠٦) أنه قال: (رأيت رجلاً يصلي في المسجد الحرام تحت الميزاب يدعو ويبكي في دعائه فجئته حين فرغ من الصلاة، فإذا هو علي بن الحسين ـ الإمام زين العابدين ـ فقلت له: يا ابن رسول الله رأيتك على حالة كذا، ولك ثلاثة أرجو أن تؤمنك من الخوف، أحدها: أنك ابن رسول الله، والثاني: شفاعة جدك، والثالث: رحمة الله. فقال: يا طاوس أما أني ابن رسول الله ﷺ فلا يؤمنني وقد سمعت الله تعالى يقول: ﴿لا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾، وأما شفاعة جدي فلا تؤمنني لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾، وأما رحمة الله فإن الله تعالى يقول إنها قريبة ﴿مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، ولا أعلم أني محسن).

• روحانية عالية:

لهذا الحوار والمشهد العرفاني دلالات متعددة، من بينها ضرورة أن نعيش شيئاً من هذه الروحانية العالية في العلاقة مع الله سبحانه، لاسيما في الأماكن المقدسة والأوقات المميزة التي توفِّر للمسلم أجواء الصفاء، وتحطم الكثير من الحجب التي يصطنعها في علاقته مع ربه.. أجواءٌ تعيش معها ملائكة الله حالة من الاستنفار في العلاقة بين عالم الشهود وعالم الغيب، في صورة تذكرنا بتلك التي تحدث عنها القرآن الكريم عن ليلة القدر: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ، تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ، سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (القدر: ٣-٥).

• تواصي واغتنام للفرصة:

ومن هنا كان التواصي الدائم باغتنام تلك الفرص التي لربما لن تتكرر في حياة المعتمر أو الحاج، فعن النبي الأكرم ﷺ: (صَلاةٌ في مَسجدي هذا أفضَلُ مِن ألفِ صَلاةٍ فيما سِواهُ مِنَ المساجِدِ إلا المسجِدَ الحَرامَ، وصَلاةٌ في المَسجِدِ الحَرامِ أفضَلُ مِن مِائَةِ صَلاةٍ في هذا).

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (أكثِروا مِنَ الصّلاةِ والدّعاءِ في هذَا المَسجِدِ، أما إنّ لِكُلّ عَبدٍ رِزقًا يُجازُ إلَيهِ جَوزًا) أي مقدّرًا يجمع ويساق إليه.



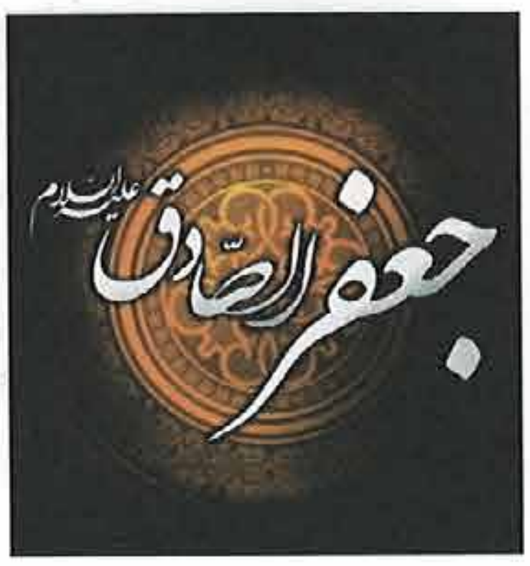

أثمرت تربية النبي وأهل بيته لأصحابهم على مستوى العلاقات الإنسانية بحيث عاشوا مع إخوانهم علاقة صادقة من حيث المشاعر والتطبيق ..

• إيثار ومحبة:

ولم تكن التربية الإيمانية في الإسلام لتخلق مؤمنين منكفئين على ذواتهم، يعيشون هموم الأنا فقط، في حاجاتهم الدنيوية، وفي علاقتهم بالغيب، بل كان إيمانهم منطلَقاً للتراحم والتعاون والمحبة والمصداقية. ولذا فقد أثمرت تربية النبي وأهل بيته لأصحابهم على مستوى العلاقات الإنسانية بحيث عاشوا مع إخوانهم علاقة صادقة من حيث المشاعر، وعلاقة فاعلة من حيث التطبيق، حتى أن أحدهم لو سنحت له الفرصة لكي يدعو الله وهو يرجو الاستجابة لخصوصية الزمان والمكان، فإنه يبادر للدعاء لإخوانه بظهر الغيب، تفاعلاً مع حاجاتهم، وتخلياً عن الأنا، وانصهاراً في الحقيقة التي وصفتها الآية: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَو كَانَ بِهِم خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ﴾ (الحشر:٩) وعبّر عنها النبي بقوله: (مَثَلُ المؤمنين في تَوَادِّهم وتراحُمهم وتعاطُفهم: مثلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضو: تَدَاعَى له سائرُ الجسد بالسَّهَرِ والحُمّى).

• ما دعوت إلا لإخواني:

وبين أيدينا صورة من تجليات هذه الحقيقة، فعن إبراهيم بن أبي البلاد أو عبد الله بن جندب وكلاهما من أصحاب الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام قال: (كنت في الموقف فلما أفضت لقيت إبراهيم بن شعيب فسلمت عليه وكان مصاباً بإحدى عينيه، وإذا عينه الصحيحة حمراء كأنها علقة دم، فقلت له: قد أصبت بإحدى عينيك وأنا والله مشفق على عينك الأخرى، فلو قصرت من البكاء قليلاً. فقال: لا والله يا أبا محمد ما دعوت لنفسي اليوم بدعوة. فقلت: فلمن دعوت؟ قال: دعوت لإخواني. سمعت أبا عبد الله ـ الإمام الصادق ـ عليه السلام يقول: من دعا لأخيه بظهر الغيب وَكَّل الله به ملكاً يقول: ولك مثلاه، فأردت أن أكون أنا أدعو لإخواني، ويكون الملَك يدعو لي، لأني في شك من دعائي لنفسي، ولست في شك من دعاء الملَك لي).

• تواضع وخشية:

ومن دلالات الحوار بين طاووس والإمام زين العابدين عليه السلام الإحساس الصادق عند الأئمة من

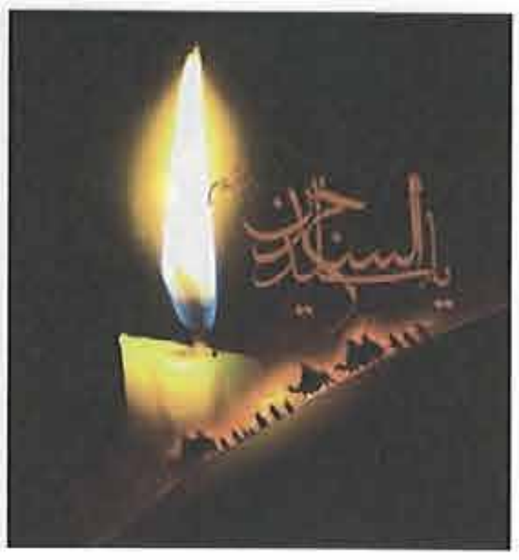



من دلالات الحوار بين طاووس والإمام زين العابدين الإحساس الصادق عند الأئمة من أهل البيت بالضعف أمام الله انطلاقاً من حقيقة العبودية ..

أهل البيت عليهم السلام بالضعف أمام الله انطلاقاً من حقيقة العبودية، والخشية منه إيماناً بعدله، والرجاء لنيل عطاياه الفاضلة تصديقاً بوعده.

وقد نقل حَبّة العُرني تفاصيل ما جرى بينه وبين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في جوف الليل وفي قصر الإمارة بالكوفة أبان حكم الإمام.. قال: (بينما أنا ونوف ـ البكالي ـ نائمان في رحبة القصر إذ نحن بأمير المؤمنين عليه السلام في بقية من الليل واضعاً يده على الحائط شبه الواله وهو يقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلونَ﴾، ثم جعل يقرأ هذه الآيات ويمر شبه الطائر عقله فقال: أراقد يا حبة أم رامق؟ قلت: رامق. ثم قلت: هذا أنت تعمل هذا العمل فكيف نحن؟ فأرخى عينيه فبكى ثم قال لي: يا حبة إن لله موقفاً ولنا بين يديه موقف لا يخفى عليه شيء من أعمالنا، يا حبة إن الله أقرب إليك وإليّ من حبل الوريد، يا حبة، إنه لن يحجبني ولا إياك عن الله شيء. ثم قال: أراقد يا نوف؟ قلت: لا يا أمير المؤمنين ما أنا براقد، ولقد أطلت بكائي هذه الليلة. فقال: يا نوف إن طال بكاؤك في هذا الليل مخافة من الله عزوجل قرّت غداً عيناك بين يدي الله عزوجل. يا نوف، إنه ليس من قطرة من عين رجل من خشية الله إلا أطفأت بحاراً من النيران، يا نوف إنه ليس من رجل أعظم منزلة عند الله من رجل بكى من خشية الله وأحب في الله وأبغض في الله، يا نوف من أحب في الله لم يستأثر على محبته ومن أبغض لم ينل مبغضيه خيراً عند ذلك استكملتم حقائق الإيمان.. فكونوا من الله على حذر فقد أنذرتكما، ثم جعل يمر وهو يقول: ليت شعري في غفلاتي أمعرض أنت عني أم ناظر إلي وليت شعري في طول منامي وقلة شكري في نعمك على ما حالي؟ قال: فوالله ما زال في هذا الحال حتى طلع الفجر).

٤ ذوالحجة ١٤٣٣ هـ
٢٠ أكتوبر ٢٠١٢ مـ

بين طاووس وزين العابدين
٢ من ٣

من الخطأ تصوّر أن العلاقة في صورتها العامة كانت متأزمة بين الأئمة من أهل البيت وبين علماء المذاهب المختلفة، بسبب عدم اعتقادهم بإمامتهم ..

شرعت في المقال السابق بالتعليق على بعض ما جاء في الحوار الذي دار بين التابعي الفقيه طاووس اليماني وبين الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام حيث قال: (رأيت رجلاً يصلي في المسجد الحرام تحت الميزاب يدعو ويبكي في دعائه فجئته حين فرغ من الصلاة، فإذا هو علي بن الحسين ـ الإمام زين العابدين ـ فقلت له: يا ابن رسول الله رأيتك على حالة كذا، ولك ثلاثة أرجو أن تؤمنك من الخوف، أحدها: أنك ابن رسول الله، والثاني: شفاعة جدك، والثالث: رحمة الله. فقال: يا طاووس أما أني ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فلا يؤمنني وقد سمعت الله تعالى يقول: ﴿لا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾، وأما شفاعة جدي فلا تؤمنني لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾، وأما رحمة الله فإن الله تعالى يقول إنها قريبة ﴿مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، ولا أعلم أني محسن).

• علاقات بلا عُقد:

ومما يمكن انتزاعه من هذا الحوار تشكيل صورة عن طبيعة العلاقة التي كانت تربط أهل البيت عليهم السلام بعلماء المسلمين من أهل زمانهم ممن لم يكونوا يعتقدون بإمامتهم وفق المنظور العقدي عند المسلمين الشيعة، وذلك من قبيل طاووس اليماني ومحمد بن مسلم الزهري وسفيان الثوري والإمام مالك بن أنس والإمام أبي حنيفة وغيرهم.

قد يكون الانطباع الراسخ في أذهان البعض أن العلاقة في صورتها العامة كانت متأزمة، بسبب عدم اعتقادهم بإمامتهم، ولربما استخلص البعض النتيجة السابقة من مثل الحوار الآتي الدائر بين الصادق وأبي حنيفة، ففي كتاب المناقب لابن شهراشوب أنه: (جاء أبو حنيفة ليسمع منه: وخرج أبوعبد الله يتوكأ على عصا .فقال له أبو حنيفة: يا ابن رسول الله ما بلغت من السن ما تحتاج معه إلى العصا؟ قال: هو كذلك، و لكنها عصا رسول الله أردت التبرك بها. فوثب أبو حنيفة و قال له: أقبّلها يا ابن رسول الله. فحسر أبوعبد الله عليه السلام عن ذراعه وقال له: والله لقد علمت أن هذا بشر رسول، و أن هذا من شعره، فما قبلته، و تقبّل عصا؟).

• لولا السنتان:

ولكـن الواقع أن الصورة العامة للعلاقة لم تكن متأزمة كـما نتصور، وكيف لهـا أن تكون كذلك ومنهم من كان تلميذاً للإمـام لعدة سنوات؟ فهل التأزم يسمح للتلمذة بهذه الصورة؟ فمحمد بن مسـلم الزهـري (ت١٢٤) ـ والذي يروي عنه البخاري ١٢٠٠ رواية في صحيحه ـ كان تلميذ الإمام زين العابدين والقائل فيه: (علي بن الحسين أعظم الناس عليَّ مِنَّةً). وجـاء في مختصر التحفه الإثـني عشرية للدهلوي تلخيص الآلوسي: (وهذا أبو حنيفة... كان يفتخر ويقول بأفصح لسان: «لولا السنتان لهلك النعمان» يريد السنتين اللتين صحب فيهما لأخذ العلم عن الإمام جعفر الصـادق، وقال غير واحد أنّه أخذ العلم والطريقة من هذا ومن أبيه الإمام محمّد الباقر...). وقال الإمام محمّد أبو زهرة في كتابه الإمام الصادق: (ما أجمع علماء الإسلام على اختلاف طوائفهم في أمرٍ، كما أجمعوا على فضل الإمام الصادق وعلمه؛ فأئمة السنة الذين عاصروه تلقّـوا عنه وأخذوا؛ أخذ عنه مـالك رضي الله عنه، وأخذ عنه طبقة مالك كسفيان بن عيينة وسفيان الثوري، وغـيرهم كثير، وأخذ عنه أبو حنيفة مع تقـاربهما في السن، واعتبره أعلم أهل النـاس؛ لأنّه أعلم الناس باختلاف الناس، وقد تلقّى عليه رواية الحديث طائفة كبيرة من التـابعين، منهم: يحيى بن سعيد الأنصاري، وأيوب السختياني، وأبان بن تغلب، وأبو عمرو بن العلاء، وغيرهم من أئمّة التـابعين في الفقه والحديث). وقال المستشار عبد الحليم الجندي في كتابه (الإمام جعفر الصادق): (انقطع أبو حنيفة إلى مجالس الإمام ـ يعني الصادق ـ طوال عامين قضاهما بالمدينة، وفيهما يقول: «لولا العامان لهلك النعمان». وكان لا يخاطـب صاحب المجلس إلاّ بقوله: جعلت فداك يا ابن بنت رسول الله).

• تلمذة واحترام:

وهكذا كان الإمـام مـالك يعتز بتلمذته على يد الإمام الصـادق، ففي الخصـال للشيخ الصدوق: (سمعت مالك بن أنس فقيه المدينة يقول: كنت أدخل إلى الصـادق جعفر بن محمد، فيقدّم لي مخـدّة، ويعرف لي قـدرا ويقول: يا مـالك، إني أحبك، فكنت أُسرُّ بذلك وأحمد الله عليه، قـال: وكان عليه السلام رجلاً لا يخلو من إحدى ثلاث خصال: إمـا صائما، وإما قائما، وإما ذاكرا.. وكان من عظماء العبّاد، وأكابر الزهّاد الذين يخشون الله عزوجل، وكان كثير الحديث، طيّب المجالسة، كثير الفوائد، فإذا قـال: قـال رسول الله صلى الله عليه وآله اخضرّ مرة، واصفرّ أخـرى، حتى ينكره من كان يعرفه. ولقد حججت معه سنة، فلـما استوت به راحلته عند الإحرام، كان كلـما همّ بالتلبية انقطع الصوت في حلقه، وكاد أن يخرّ من راحلته، فقلت: قل يا بن رسول الله!.. ولا بد لك من أن تقول، فقال: يا بن أبي عـامر!.. كيـف أجسر أن أقول: لبيك اللهم لبيك، وأخشى

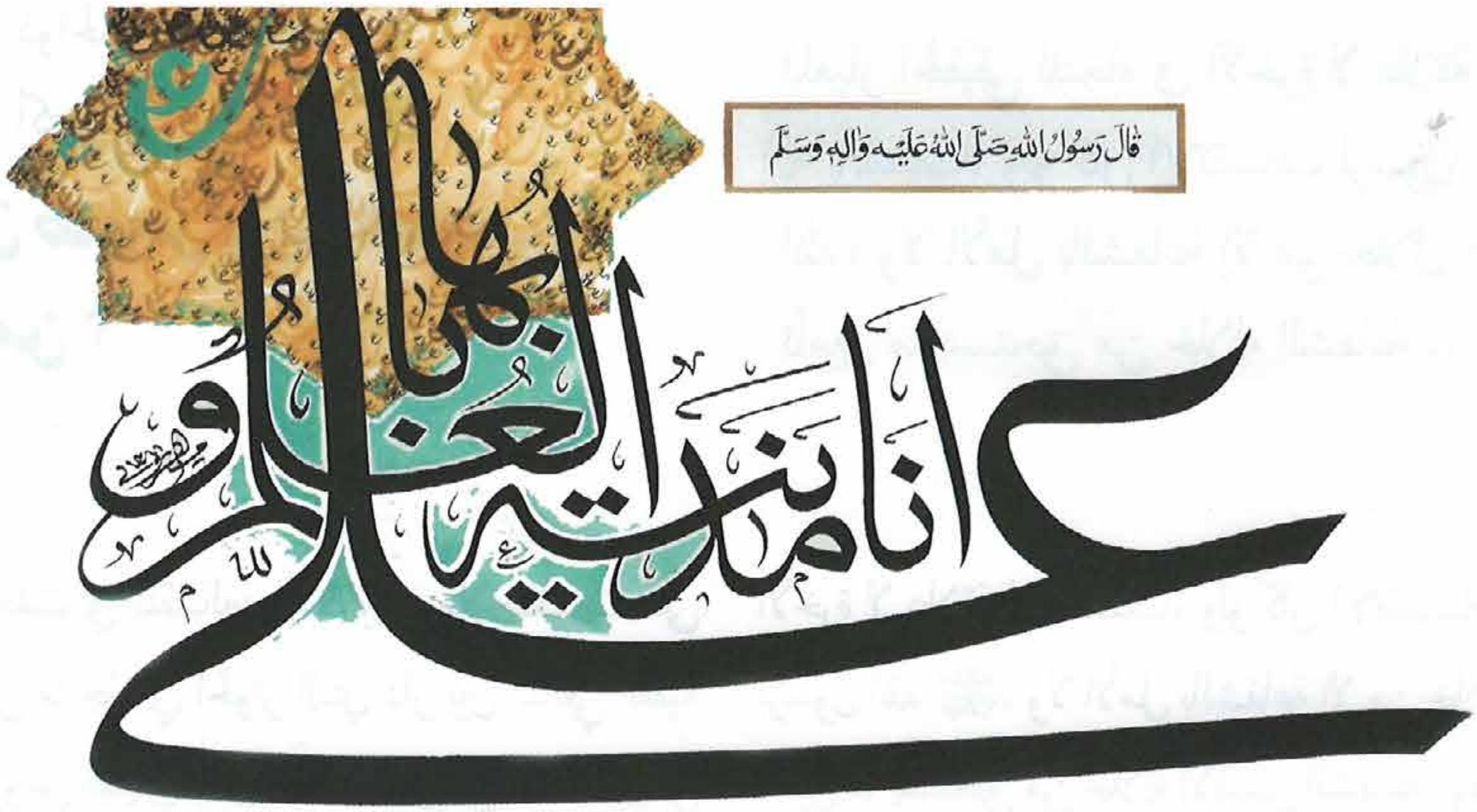

أن يقول عزّ وجلّ لي: لا لبيك ولا سعديك؟!).

• ساحة علمية مفتوحة:

إذاً كانت ساحة الأئمة عليهم السلام العلمية مفتوحة للمسلمين جميعاً، للعلماء منهم ولعامتهم، وكانوا يستقبلون أصحاب مدرسة الإمامة وأصحاب مدرسة الخلافة، وكانوا لا يتعقّدون ولا يتأزمون من هذا ولا من ذاك، بل كانوا يقدّمون ما عندهم للجميع، كما كانوا يقيمون علاقات جيدة مع الجميع. وعلى هذا المنوال سار جمع من علماء المسلمين الشيعة حيث سعوا لإزالة الكثير من العقبات في طريق تحقيق التقارب العلمي والتبادل المعرفي بين المدارس الفقهية المختلفة. وعن هذا كتب الشيخ محمد واعظ زاده الخراساني عن جهود المرجع الراحل السيد حسين البروجردي الذي كان في وقته من أشهر المراجع في الحوزة، ودأب على تشجيع وتحقيق التقارب المذهبي: (كان يعتقد بأن الرجوع إلى فتاوى علماء أهل السنة ييسر السبيل لفهم روايات أهل البيت عليهم السلام.. كان السائل يأتي الإمام فيذكر الفتوى الرائجة من علماء أهل السنة ويسأله عن رأيه فيها، والإمام يجيب. كان السيد يرى أن الرجوع إلى فتاوى علماء السنة على مر التاريخ هو مقدمة للاجتهاد عند الشيعة.. كان يؤكد مراراً أن هذه الطريقة هي سنة علماء السلف من فقهاء الشيعة الإمامية، فالقدماء كانوا يهتمون بمقارنة فتاوى أهل السنة والشيعة، وخلفوا لنا في هذا المجال كتباً هامة سميت بالخلاف.. وكان السيد الأستاذ يتحدث عن شيوخ الأزهر ويتحدث عن الشيخ محمد عبده وغيرهم من علماء أهل السنة بتقدير وإجلال، كما أنه كان يراجع دائماً كتاب (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) لابن رشد الأندلسي باعتباره من أحسن الكتب في الفقه المقارن. وطالما رأيت الكتاب مفتوحاً أمامه على منضدته).

١١ ذوالحجة ١٤٣٣ هـ
٢٧ أكتوبر ٢٠١٢ مـ

بين طاووس وزين العابدين
٣ من ٣

جئت في المقالين السابقين بملاحظات على بعض ما جاء في الحوار الذي دار بين التابعي الفقيه طاووس اليماني وبين الإمام علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عليه السلام حيث قال: (رأيت رجلاً يصلي في المسجد الحرام تحت الميزاب يدعو ويبكي في دعائه فجئته حين فرغ من الصلاة، فإذا هو علي ابن الحسين ـ الإمام زين العابدين ـ فقلت له: يا ابن رسول الله رأيتك على حالة كذا، ولك ثلاثة أرجو أن تؤمنك من الخوف، أحدها: أنك ابن رسول الله، والثاني: شفاعة جدك، والثالث: رحمة الله. فقال: يا طاوس أما أني ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فلا يؤمنني وقد سمعت الله تعالى يقول: ﴿لا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾، وأما شفاعة جدي فلا تؤمنني لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إلا لِمَنِ ارْتَضَى﴾، وأما رحمة الله فإن الله تعالى يقول إنها قريبة ﴿مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، ولا أعلم أني محسن).

• نسب وشفاعة ورحمة:

وفي هذا الحوار يؤكد الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام على أن المعيار الحقيقي للنجاة في الآخرة لا علاقة له بالنسب، ولو كان الانتساب لرسول الله صلى الله عليه وآله، ولا الأمل بالشفاعة إلا من خلال تأمين ما يستحق من خلاله الإنسان الشفاعة، وهو بلوغ مستوى من الإيمان والالتزام الديني بما يؤهله لنيل هذه الميزة، ولا تكرار قول أن الله غفور رحيم ليكون عذرا لنا في المزيد من التمادي في العصيان.

المعيار الحقيقي للنجاة في الآخرة لا علاقة له بالنسب، ولو كان الانتساب لرسول الله، ولا الأمل بالشفاعة إلا من خلال تأمين ما يستحق من خلاله الشفاعة ..

• شفاعة النسب:

وقد دأب الأئمة من أهل البيت عليهم السلام على التأكيد على حقيقة أن مجرد الانتساب للبيت النبوي لا يمثّل طوق النجاة، ومن تلك النصوص ما رواه ياسر الذي كان يخدم الإمام علي الرضا عليه السلام حيث قال: (خرج زيد بن موسى أخو أبي الحسن عليه السلام بالمدينة وأحرق وقتل وكان يسمى زيد النار، فبعث إليه المأمون فأسر وحمل إلى المأمون فقال المأمون: اذهبوا به إلى أبي الحسن، قال ياسر: فلما ادخل إليه قال له أبوالحسن: يا زيد أغرك قول سفلة أهل الكوفة: إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار؟ ذاك للحسن والحسن خاصة إن كنت ترى أنك تعصي الله وتدخل الجنة، وموسى ابن

جعفر أطاع الله ودخل الجنة فأنت إذاً أكرم على الله عزّوجلّ من موسى بن جعفر، والله ما ينال أحد ما عندالله عزّوجلّ إلا بطاعته، وزعمت أنك تناله بمعصيته فبئس ما زعمت . فقال له زيد: أنا أخوك وابن أبيك ، فقال له أبوالحسن عليه السلام: أنت أخي ما أطعت الله عزّوجلّ إن نوحاً عليه السلام قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ فقال الله عزّوجلّ ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ فأخرجه الله عزّوجلّ من أن يكون من أهله بمعصيته).

• كل سبب ونسب منقطع:

وأما المروي على لسان النبي صلى الله عليه وآله بأنه قال: (كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي) فترد عليه عدة ملاحظات، منها:

١ـ تعارضه مع النص القرآني: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (المؤمنون:١٠١) وهذا ما استشهد به الإمام زين العابدين عليه السلام في الحوار الذي نناقشه.

٢ـ أن ذكر عنوان (السبب) مع (النسب) يعني شمول عدم الانقطاع حتى لمن يصاهر البيت النبوي، ومن المعلوم أن هذا سيفتح الباب واسعاً بما لا يمكن الالتزام به.

• الشفاعة لمن ارتضى:

إن تتبع موضوعة الشفاعة في القرآن الكريم يكشف عن أن التركيز الأكبر يتم على الجانب السلبي منها، وأن اهتمام الآيات انصب على معارضة فكرة الشفاعة بالصورة التي كانت مطروحة من قبل المشركين الذين كانوا يعتقدون أن أصنامهم تملك ذلك الامتياز، وأنهم يتقربون إليها بالعبادة والطاعة وتقديم القرابين لكي تكون لهم الحظوة عندها في تحقيق أمانيهم:

١. نفي الشفاعة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة:٢٥٤).

٢. نفي الشفاعة عن الشفعاء الوهميين الذين كان المشركون يدّعون لهم تلك الكرامة: ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (الأنعام:٩٤).

٣. بيان عدم تأثير الشفاعة: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة:١٢٣).

٤. لا شفاعة إلا بإذن الله ورضاه: ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ (البقرة:٢٥٥). ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (الأنبياء:٢٨).

• شفاعة مقننة:

وبالطبع فإن ما سبق لا يعني نفي الشفاعة في الآخرة بشكل مطلق، إذ أثبتت الآيات نحواً من

الشفاعة ضمن قانون معين، يختصر في التأكيد على سبق الإذن الإلهي والرضا الإلهي لأية شفاعة، وهذا يعني أن شفاعة الشافعين لا تتعارض مع الحكم الإلهي على عباده، بحيث يريد الله إنزال العقوبة بهم، فيتدخل الشفعاء ليغيّروا الإرادة الإلهية، ويحوّلوا الغضب الإلهي إلى رضا، بل إن الله سبحانه يحكم ـ وفق رحمته ـ باستحقاق فئات من الناس الشفاعة، وحينئذ يشفع الشفعاء فيهم وفق الإذن الإلهي المسبق لهم بذلك، ووفق معرفة الشفعاء بقانون الشفاعة ومعاييرها وشروطها التي وضعها الله سبحانه، وذلك تكريماً للشفعاء من جهة، وتحسيناً لأوضاع تلك الفئات، برفع درجاتهم في الجنة، أو في التجاوز الإلهي عن بعض ما ارتكبوه من معاصي، من جهة أخرى.

• أحاديث حول الشفاعة:

وقد أكّد النبي وأهل بيته على ما سبق، فقد جاء في خطبة للنبي ﷺ قيل أنها آخر خطبة له: (أما إنه ليس بين الله وبين أحد من عباده شيء يعطيه به خيرا أو يدفع به عنه شرا إلا العمل، أما إنه لا ينجي إلا عمل مع رحمة. ولو عصيتُ لهويتُ). وروى أبوبصير قال: (دخلت على أم حميد أعزيها بأبي عبدالله ـ الإمام جعفر الصادق عليه السلام وهي زوجته ـ فبكت وبكيت لبكائها، ثم قالت: يا أبا محمد لو رأيت أبا عبدالله عليه السلام عند الموت لرأيت عجباً، فتح عينيه ثم قال: أجمعوا لي كل من بيني وبينه قرابة، قالت: فلم نترك أحداً إلا جمعناه، قالت: فنظر إليهم ثم قال: إن شفاعتنا لا تنال مستخفّاً بالصلاة).

• رحمة مشروطة:

وأما الأمر الثالث الذي ذكره الإمام علي زين العابدين عليه السلام وهو عدم الركون إلى الرحمة الإلهية، فيضبطه مراعاة حد الاعتدال بين الخوف والرجاء، حيث لا يخرج الانسان من حسن الظن بالله تعالى في خوفه حتى يعد من القانطين من رحمته، ولا يفرط في رجائه حتى يعد من الآمنين من عذابه، فيهمل أمر آخرته، ويتجرأ على المعاصي، ويسوّف التوبة. قال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (السجدة:١٦). وعن الإمام علي عليه السلام: (خير الأعمال اعتدال الرجاء والخوف). وعن الامام الصادق عليه السلام: (المؤمن بين مخافتين ذنب قد مضى لا يدري ما صنع الله فيه وعمر قد بقى لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك فهو لايصبح إلا خائفاً ولا يصلحه إلا الخوف).



١٩ ذوالحجة ١٤٣٣ هـ
٤ نوفمبر ٢٠١٢ م

شجاعة أمير المؤمنين علي

من يدرس سيرة الإمام علي وشخصيته، فإنه لا يجد أنه قد جبن في موقع قط، ولا عُرف عنه التردد في أمر يحتاج إلى إقدام أو قتال، لا في صغره ولا بعد ذلك ..

يقول علماء الأخلاق أن إصلاح أخلاق النفس وملكاتها في جانبي العلم والعمل، واكتساب الأخلاق الفاضلة، وإزالة الأخلاق الرذيلة، إنما هو بتكرار الأعمال الصالحة المناسبة لها ومزاولتها والمداومة عليها، حتى تثبت في النفس.. مثلاً: إذا أراد الإنسان إزالة صفة الجبن والتحلي بملكة الشجاعة كان عليه أن يكرر الورود في الشدائد والمهاول التي تزلزل القلوب وتقلقل الأحشاء، وكلما ورد في مورد منها وشاهد أنه كان يمكنه الورود فيه وأدرك لذة الإقدام وشناعة الفرار والتحذر انتقشت نفسه بذلك انتقاشاً بعد انتقاش حتى تثبت فيها ملكة الشجاعة. ثم يقولون أن الدافع إلى تهذيب الأخلاق واكتساب الفاضلة منها أحد أمرين:

الأول: الغايات الصالحة الدنيوية، والعلوم والآراء المحمودة عند الناس، مثلاً: الشره يوجب الخصاصة والفقر، والطمع يوجب ذلة النفس المنيعة، ولذا فإن من أراد الجاه عند الناس والعزة والاحترام، فإنه يتخلص من الشره والطمع، ويتحلى بالعفة والقناعة.

الثاني: الغايات الأخروية، وقد كثر ذكرها في كلامه تعالى، كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ (التوبة:١١١)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر:١٠)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (إبراهيم:٢٢)، وأمثالها كثير.

• الشجاعة في شخصية علي:

ومن يدرس سيرة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وشخصيته، فإنه لا يجد أنه قد جبن في موقع قط، ولا عُرف عنه التردد في أمر يحتاج إلى إقدام أو قتال، لا في صغره ولا بعد ذلك، كما أنك لا تجده يُقدم على أمر طمعاً في الغايات الدنيوية، كما أن الغايات الأخروية ليست هي العامل الأساس الذي يدفعه للتصدي للباطل والإقدام لنصرة الدين، وهذا ما يؤكد أن الشجاعة في علي عليه السلام هي خصلة ذاتية وسجية ولدت معه.

ولذا نقرأ لابن أبي الحديد المعتزلي الوصف الرائع التالي وهو يتحدث عن شجاعة علي عليه السلام. قال: (وأما الشجاعة: فإنه أنسى الناس فيها ذِكرَ مَن كان قبله، ومحا اسم من يأتي بعده، ومقاماته في الحرب مشهورة

يضرب بها الأمثال إلى يوم القيـامة، وهو الشجاع الذي ما فر قط، ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحداً إلا قتله، ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأولى إلى ثانية، وفي الحديث [كانت ضرباته وتراً]، ولمـا دعا معاوية إلى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما، قال له عمرو: لقد أنصفك، فقال معاوية: ما غششتني منذ نصحتني إلا اليوم! أتأمرني بـمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنه الشجـاع المطرق ؟! أراك طمعت في إمارة الشام بعدي! وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقـابلته، فأما قتلاه فافتخار رهطهـم بأنه عليه السلام قتلهم أظهر وأكثر، قـالت أخت عمرو بن عبد ود ترثيه:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله
بكيته أبدا ما دمت في الأبد
لكن قاتله من لا نظير له
وكان يدعى أبوه بيضة البلد

وجملة الامر أن كل شجـاع في الدنيـا إليه ينتهي، وباسمه ينادى في مشارق الأرض ومغاربها).

وقد جاء في كتب التـاريخ أن علياً في معركة الجمل زحف نحو الجمل بنفسـه في كتيبته الخضراء من المهـاجرين والأنصـار، وحوله بنوه: حسـن وحسـين ومحمد، ودفـع الراية إلى محمد، وقـال: أقدِم بها حتى تركزهـا في عين الجمـل، ولا تقفن دونه. فتقدم محمد، فرشقته السهام، فقال لأصحابه: رويداً حتى تنفد سـهـامهم، فلم يبق لهم إلا رشقة أو رشقتان. فأنفذ إليه علي عليه السلام يستحثه، ويأمره بالمناجزة، فلما أبطأ عليه جـاء بنفسـه من خلفه، فوضع يده اليسرى على منكبه الأيـمن، وقـال له: أقدِم لا أم لك! فكان محمد إذا ذكر ذلك بعد يبكى، ويقول: لكأني أجد ريح نفسه في قفـاي، والله لا أنسى ذلك أبداً. ثم أدركت عليـاً عليه السلام رقة على ولده، فتنـاول الراية منه بيده اليسرى، وذو الفقار مشهور في يـمنى يديه، ثم حمل فغاص في عسكر الجمل، ثم رجع وقد انحنى سيفه، فأقـامه بركبته. فقال له أصحابه وبنوه والأشتر وعمار، نحن نكفيك يا أمير المؤمنـين. فلم يجب أحداً منهم ولا رد إليهـم بصره، وظل ينحـط (أي يزفر) ويزأر زئير الأسد، حتى فرق من حوله. وتبـادروه وإنه لطامح ببصره نحو عسـكر البصرة، لا يبصر من حوله، ولا يرد حواراً، ثم دفع الراية إلى ابنه محمد، ثم حمل حملة ثانية وحده، فدخل وسطهم فضربهم بالسيـف قدماً قدمـاً، والرجال تفر من بين يديه وتنحاز عنه يـمنة ويـسرة، حتى خضب الأرض بدماء القتلى، ثم رجع وقد انحنى سيفه، فأقـامه بركبته، فاعصوصب به أصحابه، وناشـدوه الله في نفسه وفي الإسلام، وقالوا: إنك إن تصب يذهب الدين، فأمسِك ونحن نكفيك. فقال: والله ما أريد بما ترون إلا وجه الله والدار الآخرة. ثم قال لمحمد ابنه: هكذا تصنع يا بن الحنفية، فقال النـاس: من الذي يستطيع ما تستطيعه يا أمير المؤمنين ؟!

٢٥ ذوالحجة ١٤٣٣ هـ
١٠ نوفمبر ٢٠١٢ م

الإمام علي و المسؤولية

ما صدر عن رسول الله ﷺ في يوم الغدير لم يكن أمراً استثنائياً بالنسبة لأمير المؤمنين علي عليه السلام، بل جاء في السياق الطبيعي لتاريخ الإمام، وجاء كتتويج لكل تلك النصوص والمواقف النبوية التي بيّنت للمسلمين مَن هو علي، وما هي المسؤولية الملقاة على عاتقه بعد النبي، وما هي مسؤولية المسلمين تجاهه.

• علي يعايش النبوة في مهدها:

شخصية عايشت نبوةَ النبي وحقيقتَها في العمق، إذ تحركت معه في كل المواقع حركةً واعية متبصِّرة منذ البداية وهو القائل: (ولقد كنت أتبعه اتباعَ الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علَماً ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشمّ ريح النبوة، ولقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل الوحي عليه، فقلت يا رسول الله ما هذه الرنّة؟ فقال هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي، ولكنك وزير وإنك لعلى خير).

ومن ذلك كان حقيقاً بعلي عليه السلام أن يعتبره النبي ﷺ كنفسه، كما جاء في آية المباهلة، وقد قال جابر الأنصاري: (أنفسَنا وأنفسَكم : رسولُ الله وعلي).

• علي ينصر الإسلام:

شخصية كانت حاضرة في أشد المواقف بكل قوة إعلاءً لدين الله، ونصرة لرسول الله، وبروعة وصف سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام إذ قالت: (كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، أو نَجَم قرن للشيطان، أو فَغرتْ فاغرة من المشركين، قَذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتى يطأ صِماخها بأخمصه، ويُخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريبا من رسول الله، سيدا في أولياء الله، مُشمّرا ناصحاً، مجدّاً كادحاً).

• النبي يكرّم علياً:

شخصية نالت من التعريف والتكريم من قبل رسول الله ﷺ ما لم ينله أحد من المسلمين، كماً وكيفاً، وهو القائل فيه يوم الخندق: (برز الإيمان كله إلى الكفر كله)، ويوم خيبر: (لأعطينّ الراية غداً

ما صدر عن النبي في الغدير لم يكن أمراً استثنائياً بالنسبة لعلي، بل جاء في السياق الطبيعي لتاريخه، وجاء كتتويج لكل النصوص التي بينت من هو علي ..

رجلاً يحب الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، كرّاراً غير فرّار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه)، ويوم تبوك: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي؟) ومنزلة هارون من موسى هي ما عبّر عنه القرآن الكريم: ﴿واجْعَل لي وَزِيراً مِنْ أهْلي، هَارُونَ أخي، اشْدُد به أزْرِي، وأشرِكْهُ في أمْرِي﴾ (طه:٢٩ـ٣٢). والقائل في بيان علمه: (أنا مدينة العلم وعليّ بابها) والقائل في بيان لزوم الاهتداء والاقتداء به: (علي مع الحق والحق مع علي، يدور معه حيثما دار)، والجامع له الصفات العليا بقوله: (من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في عزمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيبته، وإلى عيسى في زهده، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب).

• جلجل الحق:

ولهذا ولغيره كثيرٌ كثير، فإن الإنسان المنصف لا يملك إذا تطلّع إلى علي عليه السلام في جميع آفاقه الروحية وإخلاصه وجهاده وعلمه إلا أن يخشع أمامه، ولذا قال الشاعر المسيحي بولس سلامة:

جلجل الحقُّ في المسيحي حتى
عُدَّ مِن فرطِ حبّه علويّا
يا سماءُ اشهدي ويا أرضُ قَرّي
واخشعي إنني ذكرتُ عليا

وأيضاً لهذا وغيره كثيرٌ كثير نقول أن ما جاء في نص الغدير إنما جاء في السياق الطبيعي لتاريخ الإمام علي عليه السلام، وأن ما جاءت من شهادات في حق علي تجلّت بصورة صادقة في المقامين، الأول بعد وفاة النبي، والثاني حين أصرّ الناس عليه ليحكم بعد قتل الخليفة عثمان.

• علي بين مسؤوليتين:

ففي المقام الأول قارن الإمام بين أمرين، وقد قال مبيناً ذلك: (وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَد جَذَّاءَ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَة عَمْيَاءَ) فماذا اختار؟ (فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرْتُ وَفي الْعَيْنِ قَذَىً، وَفي الْحَلْقِ شَجاً). واتخذ الإمام قرار المقاطعة احتجاجاً.

واستمر في المعارضة السلبية حتى تبدلت الظروف مع بدء حروب الردة: (فأمسكت يدي حتّى رأيت راجعة النّاس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فخشيت إن لم أنصر الإسلام و أهله أن أرى فيه ثلما أو هدما تكون المصيبة به علىّ أعظم من فوت ولايتكم الّتى إنّما هى متاع أيّام قلائل).

وفي المقام الثاني تجددت الخيارات أمام علي عليه السلام، مع تبدّل المعطيات على أرض الواقع إذ أكدت له أن الأمور باتت تحمل معها أوضاعاً متفجرة، وأن خارطة الولاءات قد تبدلت بصورة كبيرة، في الوقت الذي لم تكن لعلي عليه السلام رغبة ذاتية في الملك وهو الذي يعتبر نعلته الممزقة أحب إليه من الإمرة.

ومرة أخرى يتحمل الإمام مسؤوليته، ولكن من

خلال الحكم، وتحت ضغط جماهيري كبير، وبعد أن وجد أن الحجة قد لزمته وهو القائل: (أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَوْلاَ حُضُورُ الْحَاضِر، وَقِيَامُ الْحُجَّة بِوُجُود النَّاصِر، وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلاَّ يُقَارُّوا عَلَى كِظَّة ظَالِم، وَلاَ سَغَب مَظْلُوم، لأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا، وَلأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْز).

• مبادئ ومواقف:

إن علياً عليه السلام يعلمنا أن المبادئ هي التي تحدد المواقف، لا الانتصار للأنا ولا العداوات الشخصية ولا العصبيات، وأن تبدّل الظروف يستدعي البحث عن الموقف المتوافق مع المصلحة العليا، لا بمعنى التخلي عن المبادئ، بل بمعنى توظيفها في الاتجاه الذي يرضي الله ويخدم المصلحة العامة.

• مكتسبات وفتن:

إن ما تمر به الكويت اليوم، وما هي مقبلة عليه من تصعيد ميداني وإعلامي تستدعي من جميع الأطراف أن تتخلى عن ذاتياتها، وأن تجعل رضا الله والمصلحة العامة نصب أعينها، ومن خلال ذلك تحدد مواقفها، لأننا نريد للكويت أن تبقى بلد أمن وازدهار وتنمية، لا بلد فتنة ودمار وتخلف، تماماً كما نريد لها أن تحافظ على المكتسبات والقيم الإنسانية التي عملت على تنميتها على صعيد حقوق الإنسان والحريات العامة في الإطار الذي كفله الدستور، وأن لا تتحول الفتنة التي تمر بها البلاد إلى وسيلة يُعمل من خلالها على إلغاء تلك المكتسبات، وأن لا تتحول الفتنة التي تمر بها البلاد إلى وسيلة لتصفية الحسابات التاريخية والطائفية والحزبية والشخصية، ولنسترشد بكلمة علي عليه السلام: (لا يكن أفضل ما نلت في نفسك من دنياك بلوغ لذة أو شفاء غيظ، ولكن إطفاء باطل أو إحياء حق).

ولنتذكر ديباجة دستورنا الذي نص على أن وضعه قام: (سعياً نحو مستقبل أفضل ينعم فيه الوطن بمزيد من الرفاهية والمكانة الدولية، ويفيء على المواطنين مزيداً كذلك من الحرية السياسية، والمساواة، والعدالة الاجتماعية، ويرسي دعائم ما جُبلت عليه النفس العربية من اعتزاز بكرامة الفرد، وحرص على صالح المجموع، وشورى في الحكم، مع الحفاظ على وحدة الوطن واستقراره).

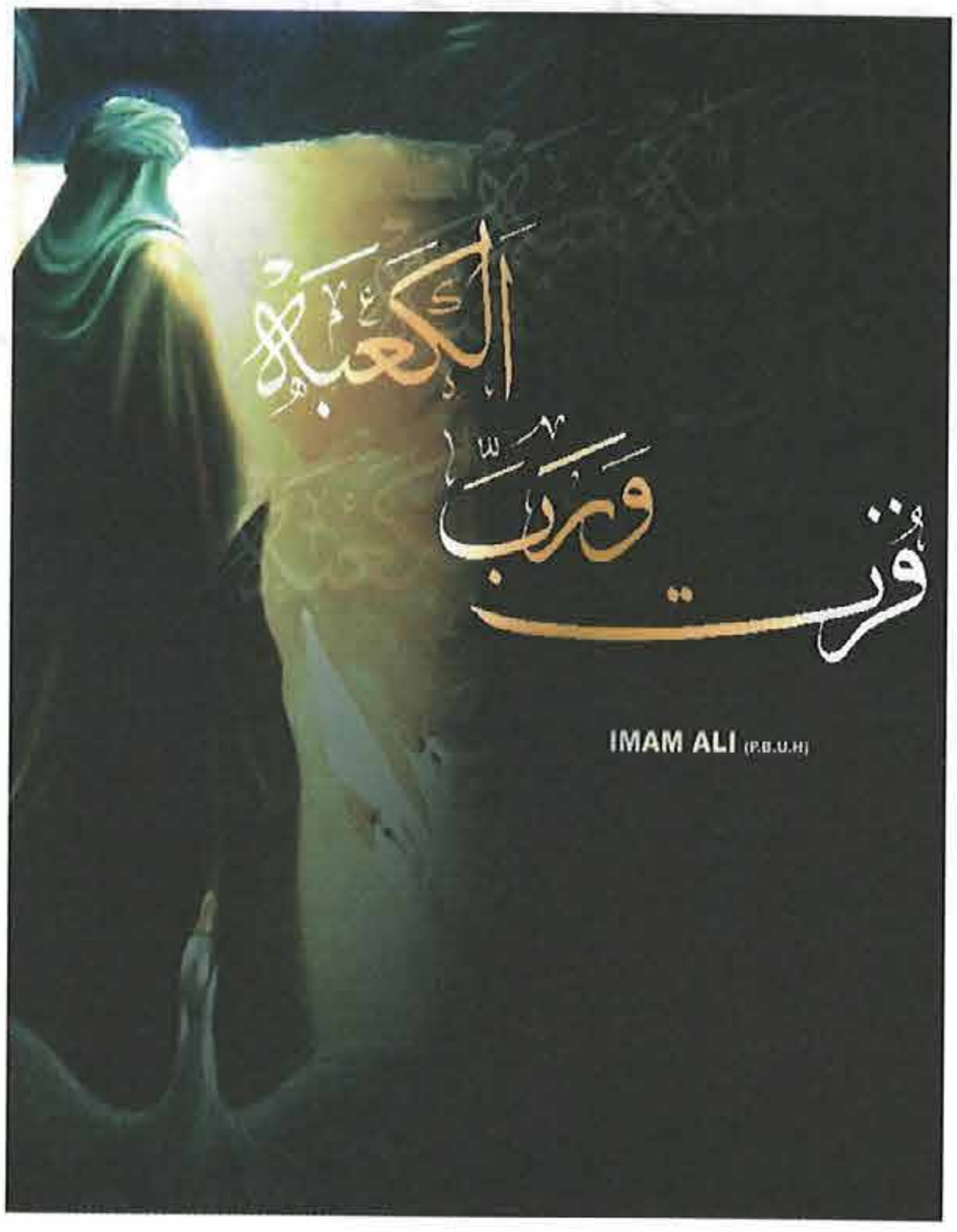

٣ محرم ١٤٣٤ هـ
١٧ نوفمبر ٢٠١٢ مـ

الإنفاق العاشورائي

عندما كان النبي يشاهد تصرفات بعض المسلمين في مجال العطاء كان يتألم أشد الألم لما يشوبها من أمور لا تحقق الغرض المطلوب من العطاء ..

قال الله ﷻ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة:٢٧٢).

جاءت هذه الآية المدنية بين آيات تتحدث عن الإنفاق في أبعاد مختلفة:

١ـ فمنها ما حثّ على الإنفاق محذّرا من تسويلات الشيطان الذي يثبّط العزائم عن العطاء، كالآية ٢٦٨: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

٢ـ ومنها ما بيّن قيمة الإنفاق الخالص لوجه الله، كالآية ٢٦١: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

٣ـ ومنها ما نبّه إلى ضرورة الإنفاق من المال الحلال المرغوب فيه، كالآية ٢٦٧: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

٤ـ ومنها ما حذّر من التعامل الخاطئ المصحوب للعطاء، كالآية ٢٦٣: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾.

٥ـ ومنها ما بيّن أهمية العطاء في السر دون المنع عن العطاء العلني، كالآية ٢٧١: ﴿إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

٦ـ ومنها ما بيّن بعضاً من موارد الصرف المحببة عند الله، كالآية ٢٧٣: ﴿لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

فما هو موقع الآية التي صدّرت بها الخطبة بين كل هذه الآيات السابقة واللاحقة؟

• النبي يتألم:

جاء في كتب التفسير أن رسول الله ﷺ عندما كان يشاهد تصرفات بعض المسلمين في مجال العطاء كان يتألم أشد الألم لما يشوبها من أمور لا تحقق الغرض المطلوب من العطاء، ولربما شاب تلك

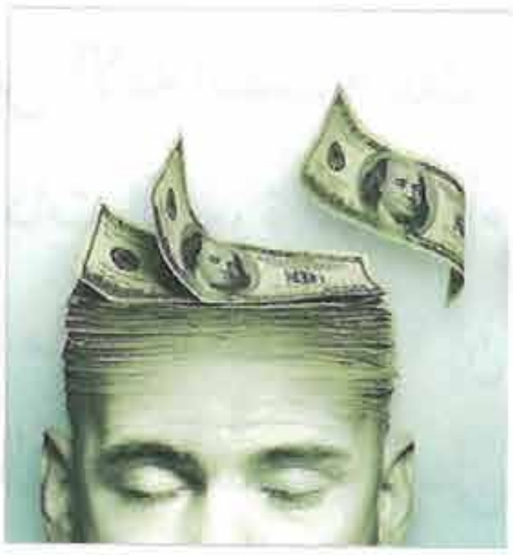

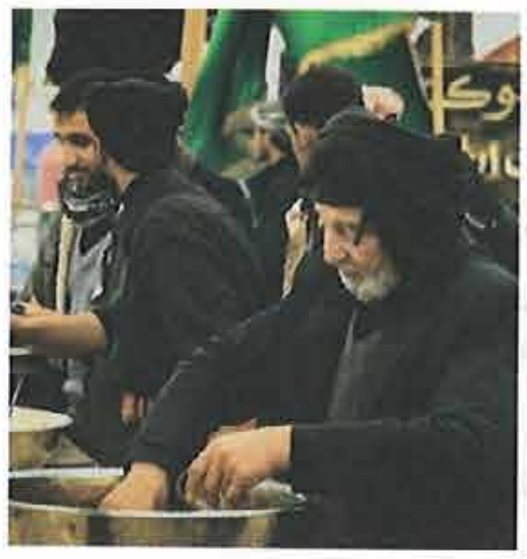

على المسلم أن لا يكتفي بالعطاء بل لابد وأن ينتبه إلى ما يحيط بهذا العطاء من حيث النية والدوافع والمشاعر والأسلوب بل وحتى إعمال العقل ..

العطاءات مـا يحقق نتـائج عكسية على مستوى الغرض من التشريع، علاوة على أنهـا تُحبط ثواب المعطي.

وقد تحدثت الآيات عن بعض تـلك الصور السلبية التي كان يتألم منها النبي، من قبيل العطـاء رياءً والامتنان على الآخذ وإهانته وتحقيره، والعطاء لا عن طيب نفس، والعطاء من المـال الحرام ومن الأشياء الرديئة التي لا يرغب فيهـا الإنسـان في الظروف الطبيعية.

• حس مرهف:

ولما كان رسول الله ﷺ مرهف الحس لدرجة جاء التعبير أحياناً بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (فاطر:٨)، وتارة بقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَـكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (الكهف:٦) وأمثال ذلك.

من هنا جاءت الآية لتخفف من مشـاعر النبي وآلامه، لاسيما وأنه يلحظ هذه السلبيات في وسط المجتمع المؤمن، هذا المجتمع الذي يُفترض به أن يرتقي ويتأدب بأدب الإسلام في جوانب الحياة المختلفة.. جاءت الآية لتذكّر النبي بأن وظيفته التبليغ والهداية، أما تحقق الاهتداء ومدى قبول الناس والتزامهم بما جاء به فهو خارج عن إرادته، وهو بيد الله ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء﴾.

• عطاء وحكمة:

ولذا فإن رسالة هذه الآيات أن المسلم أن لا يكتفي بالعطاء، بل لابد وأن ينتبه إلى ما يحيط بهذا العطاء من حيث النية والدوافع والمشـاعر والأسلوب، بل وحتى إعمال العقل، وهو ما نلحظه في وسط الآيات الـتي تحدثت عـن هذا الموضوع حيث جـاء قوله سبحانه في الآية ٢٦٨: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَـاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾.

ولما كان الإنفاق في طريق إحياء الشعائر الحسينية يمثّـل مفردة من مفردات العطـاء الذي يحبّه الله سبحانه لما يمثّله من إحياء ليوم من أيام الله، فإن ومـن الضروري - ونحن نعطي في هذا الطريق - أن نؤطّر هذا العطاء بإطار الحكمة وذلك من خلال:

١ـ التبصّر في موارد الإنفـاق بما يحقق الغرض في الدائرة الأوسع، فبعض المجـالس تكون ذات موارد قليلة وفي منـاطق تحتـاج إلى إبقـاء هذه الجذوة الحسينية فيها متّقدة.. نعم، لربما يرى البعض أن مثل هذه الأماكن البعيدة أو خـاملة الذكر لا تحقق له المردود الذي يتوقعه على مستوى السـمعة بين الناس.. وهنـا المحك حيث يقيس الإنسـان مدى إخلاصه لله في عطائه.

٢ـ تجنب ما من شـأنه أن يُحبط قيمة العمل من قبيل الرياء والمن والعجب والسمعة وأمثال ذلك.

٣ـ ترشيد الإنفـاق، فبعض الموارد قد تبلغ حد الإسراف، أو قد لا تخدم أهداف إحيـاء الذكرى، إن لم تكن تسئ إليها. وللأسف أننا في الوقت الذي يوجد فيه الاقتصـاد الرياضي واقتصاد السيـاحة الدينية وغيرهما، نفتقد (اقتصاد الاحتفالات الدينية) الذي من شـأنه أن يُرشِّد الإنفـاقـات ويوجهها في الاتجاه الصحيح.

٤ـ التجديد في موارد الصرف وتنويعهـا بـما يوسـع دائرة المتلقّين لرسالة عاشوراء، وعدم الاقتصار على الموارد التقليدية والمتكررة، فلربما كانت هذه الموارد الجديدة أكثر نفعاً وأعمق تأثيراً من سابقاتها.

• فائدة عملية:

إن من يتلو آيات الله حين يمـر بهذه الآية يتذكـر أن قلب رسـول الله ﷺ كان يتألم من السلبيات التي كانت تحيط بالعطاء بالمستوى الذي يـنزل فيه القرآن ليخفف من آلامه النفسية تلك.. فهل نكرر في عطـاءاتنـا ذات الصورة المؤلمة، أم نسـعى لنمتلك من الحكمة ما يجنّبنا ذلك كله؟ إن علينا أن نتعامل مع إحيـاء الذكرى الحسينية لا على أساس أنه مشروع روتيني ننجزه كيفما كان، بل من خلال مسـؤولياتنا تجـاهه كمنبر يندر أن يكون له مثيل، من حيث الامتداد التـاريخي، ومن حيث البُعد الجماهيري، ومن حيث الرسـالة، ومن حيث ما يحمله من أهمية وقداسـة في النفوس. إن هذا يحتّم علينا أن نعيد النظر دائمـاً إلى مديات نجاحنـا في جعـل هذا المنبر فاعلاً في خدمة أهداف الثورة الحسينية على الصعيد الفكري والروحي والأخلاقي والقيمي والعملي، لأن منبر الحسين عليه السلام من بركات يوم عاشوراء والنهضة الحسينية.

ولنعش منبر الحسين مسؤولية رسالية في إطـار العناوين الكبرى التي حددها الإمام في إعلانه: (إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظـالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب).



١٠ محرم ١٤٣٤ هـ
٢٤ نوفمبر ٢٠١٢ م

من الظلمات إلى النور

لا تختص أيام الله بما مضى في التاريخ، ولا بعهد النبوات، فقد تشهد كل حقبة من الزمان يوما تتجلى فيها صورة من صور النعم أو النقم الإلهية ..

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (إبراهيم:٥). كل الأيام لله سبحانه، ولكن لا شك أن المراد هنا أيام خاصة، وقد تعارف العرب على استعمال مصطلح (يوم كذا) للإشارة إلى أيام مميزة في تاريخهم مثل (يوم بُعاث) و (يوم ذي قار). ونسبة أيام خاصة إلى الله سبحانه مع كون جميع الأيام وكل الأشياء له تعالى ليست إلا لظهور أمره فيها من خلال:

١. ظهور نعمه العظمى فيها بجلاء كيوم إنجاء إبراهيم من النار والانتصار في بدر وفتح مكة. وكما هو في الآية التي صدرت بها كلامي. وفي النبوي في قوله: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ قال: (بنعم الله وآلائه).

٢. لما فيها من دلالات قهره وغلبته، كما في يوم القيامة والأيام التى أهلك الله فيها قوم عاد وثمود. قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُون أيامَ اللهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الجاثية:١٤).

٣. كل يوم ينشدّ فيه الناس إلى الله بشكل كبير، كيوم عرفة، وأيام التشريق بمنى. ففي كتاب لأمير المؤمنين علي عليه السلام إلى واليه على مكة قثم بن العباس قال: (أَمَّا بَعْدَ، فَأَقِمْ لِلنَّاسِ الْحَجَّ، وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ). وورد عنه أيضاً أنه قال: (كان رسول الله يخطبنا فيذكرنا بأيام الله).

• الهدف من التذكير:

(١) ارتباط المجتمعات البشرية بتاريخها، والاستفادة من التجارب والعبر التي حصلت فيها، وكي لا تبقى محصورة في دائرة أهل الاختصاص، أولا تتحول عبر الزمان في الذهنية العامة إلى أساطير.

(٢) تخليد مَن قام بتحقيقها من منطلق إيماني رسالي، فيتحقق من خلالهم الارتباط بالدين كأشخاص هم من البشر مثلنا، ولكنهم تفوقوا على كل التحديات ونجحوا في تحقيق شئ خلّده التاريخ، وهو عظيم عند الله.

(٣) تقوية الارتباط بالله سبحانه خوفاً ورجاءً.

ولا تختص أيام الله بما مضى في التاريخ، ولا بعهد النبوات، فقد تشهد كل حقبة من الزمان يوماً



يوم عاشوراء منطلق أيام لله جديدة، وقد تحرك أصحاب الضمائر بعد استشهاد الحسين في حركات ثورية ما كان كثير منها ليقع لولا الثورة الحسينية المباركة ..

تتجلى فيها صورة من الصور الثلاث السابقة، وهو ما عشناه في هذا العصر في أكثر من حادثة، سواء في مواجهة الصهاينة والاستكبار، أو في سقوط أنظمة دكتاتورية مسنودة بقوى الاستكبار، أو في سقوط طاغوت في يد العدالة ليكون محبوساً في القفص بعد أن كل ذلك الجبروت والطغيان.

• يوم عاشوراء:

ويوم عاشوراء من أيام الله بما حمله من خصال:

١ـ يوم أريد به وجه الله ونصرة دينه وإحقاق الحق. قال الحسين عليه السلام: (إنّ هذه الدنيا قد تغيرت وتنكرت، وأدبر معروفها، فلم يبق منها إلا صُبابة كصابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أن الحق لا يُعمل به، وأنّ الباطل لا يُنتهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقّاً، فإني لا أرى الموت إلا سعادة، ولا الحياة مع الظالمين إلا بَرَما).

٢ـ تصحيح مسار الأمة بعد أن تحقق الانقلاب الحضاري فيها على يد الأمويين، في يوم عاشوراء خطب الإمام الحسين عليه السلام في القوم فقال: (تباً لكم أيتها الجماعة وترحاً، استصرختمونا والهين فأصرخناكم موجفين، سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم، فأصبحتم ألباً لأعدائكم على أوليائكم، بغير عدلٍ أفشوه فيكم، ولا أملٍ أصبح لكم فيهم).

٣ـ العدوان على الحسين عليه السلام باعتباره يمثل امتداد الرسالات السماوية والأنبياء والأوصياء ومسيرتهم وأيامهم، وهو ما تؤكد عليه عدة نصوص للزيارة من خلال التعبير التالي: (السلام على آدم صفوة الله، السلام على نوح نبي الله..) وبلحاظ مقامه عند الله ونبيه، وقد سمع المسلمون كلمات النبي في هذا الشأن من قبيل أنه سيد شباب أهل الجنة، وأنه مصباح الهدى وسفينة النجاة وغير ذلك.

٤ـ يوم عاشوراء منطلق ومولد أيام لله جديدة، وقد تحرك أصحاب الضمائر بعد استشهاد الحسين عليه السلام في حركات ثورية أو احتجاجية ما كان كثير منها ليقع لولا الثورة الحسينية المباركة، ومن ذلك ثورة المدينة عام ٦٣، وثورة التوابين عام ٦٥، وثورة المختار عام ٦٦، وثورة زيد بن علي ابن الحسين عام ١٢١، ويحيى ابنه عام ١٢٥ إلى سقوط الدولة الأموية.



٥ـ يوم اهتم به النبي ومهّد المسلمين لتحديد موقفهم منه قبل أن يحدث، وقد وردت أحاديث صحيحة في مصادر المسلمين تبيّن اهتمام النبي ﷺ بهذا الحدث، ومنه ما رواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين عن أم الفضل بنت الحارث ـ وهي لبابة زوج العباس بن عبد المطلب أول امرأة أسلمت في مكة بعد أم المؤمنين خديجة ـ تقول أنها دخلت يومًا على رسول الله ﷺ فقالت: (يا رسول الله، إني رأيت حلمًا منكرًا الليلة، قال: ما هو؟ قالت: إنه شديد، قال: ما هو؟، قالت: رأيت كأن قطعة من جسدك قُطِّعَت ووضعت في حجري، فقال رسول الله: رأيت خيرا، تلد فاطمة ـ إن شاء الله ـ غلامًا فيكون في حجرك. فولدت فاطمةُ الحسَين فكان في حجري، كما قال رسول الله ﷺ فدخلت يومًا إلى رسول الله ﷺ فوضعته في حجره، ثم حانت مني التفاتة، فإذا عينا رسول الله تهريقان من الدموع، قالت: فقلت: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، ما لك؟ قال: أتاني جبرئيل ـ عليه الصلاة والسلام ـ فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا. فقلت: هذا؟ فقال: نعم، وأتاني بتربة من تربته حمراء) .قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وأورد الإمام المحدث محمد ناصر الدين الألباني الحديث السابق في سلسلة أحاديثه الصحيحة تحت رقم ٨٢١ وعلّق عليه بقوله: (له شواهد عديدة تشهد لصحته، منها ما عند أحمد [٦ / ٢٩٤] حدثنا وكيع قال: حدثني عبد الله بن سعيد عن أبيه عن عائشة أو أم سلمة قال وكيع: شك هو يعني ـ عبد الله ابن سعيد ـ أن النبي ﷺ قال لأحدهما: [لقد دخل علي البيت ملك لم يدخل علي قبلها، فقال لي: إن ابنك هذا: حسين مقتول وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها]. وفي الحديث رقم ٨٢٢ : (لقد دخل علي البيت ملك لم يدخل علي قبلها، فقال لي: إن ابنك هذا: حسين مقتول وإن شئت أريتك من تربتة الأرض التي يقتل بها). قال الألباني في السلسلة الصحيحة ٢ / ٤٨٥: قال (فأخرج تربة حمراء). قلت: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، وقال الهيثمي (٩ / ١٨٧): (رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح).

١٧ محرم ١٤٣٤ هـ
١ ديسمبر ٢٠١٢ مـ

أسرى كربلاء

الإسلام سبق المجتمعات البشرية بقرون مديدة في وضع تشريعات خاصة بالأسرى تتضمن العديد من الحقوق والآداب، وهناك نصوص عديدة تدل على ذلك ..

تحدث القرآن عن النظرة إلى أسرى العدو الكافر في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الأنفال: ٧٠).

وخلاصة الفكرة أن الإسلام ينظر إليهم نظرةً رسالية، ولهذا فليُفتَح لهم بابُ الخير من خلال التفكير بالمستقبل، وليتأملوا في موقفهم السابق، فإن اختاروا الموقف الصحيح بالدخول في الإسلام والانتهاء عن الأعمال العدوانية، فسيؤتيهم الله خيراً مما أخذ منهم من المال، رزقاً وعنايةً، ومغفرةً للذنوب. وهذا التوجيه الرسالي كان يقابل صوراً وحشية كانت دارجة في أمم ذلك الزمان في طريقة التعامل مع الأسرى، فمنهم من كان يقدِّم الأسرى قرابين للآلهة، ومنهم من كان يمارس فنون التعذيب فيهم ترفيهاً عن النفس، فيضعونهم في ساحات مغلقة مع الأسود والنمور لتفترسهم على مشهد من علية القوم!

• أحاديث رائعة:

ولدينا نصوص عديدة تؤكد ضرورة حسن معاملة الأسير، مسلماً كان أم غير مسلم، ومنها:

قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (الإنسان:٨). فهنا إيثارٌ للأسير على النفس والعيال، علماً بأن مورد الآية كان أسيراً غيرَ مسلم.

عن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام: (إذا أخذت أسيراً فعجز عن المشي وليس معك محمل فأرسله ولا تقتله، فإنك لا تدري ما حكم الإمام فيه).

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (إطعام الأسير حق على مَن أسره، وإن كان يراد من الغد قتله ـ أي في أسوأ الحالات ـ فإنّه ينبغي أن يُطعَم ويُسقى ويُرفق به، كافراً كان أو غيره). علماً بأن الأسير لا يُقتَل إلا في حالات خاصة جداً يقررها الحاكم الشرعي.

قال السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر: (ينبغي أن نلاحظ أن إطلاقه مجاناً أو بالفداء لا ينبغي أن يصيّره إلى ضرر، بل يجب أن يضمن له الأمان في الطريق الى أن يصل إلى مأمنه).

• الإسلام والقانون الدولي:

وإذا لاحظنا أن القانون الدولي بشأن حقوق الأسرى قد بدأ في العام ١٨٦٣ م، وتطور تدريجياً

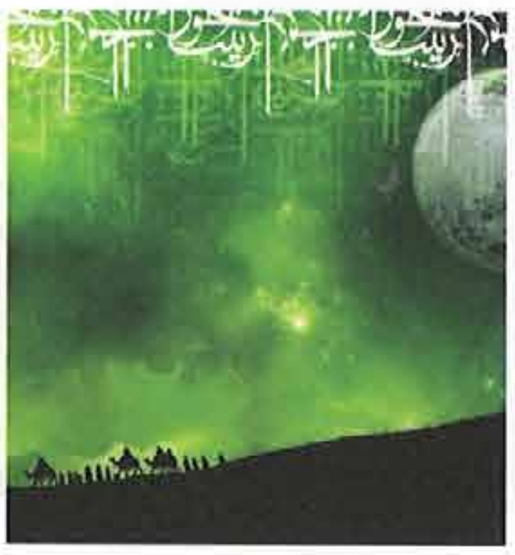



كان سلوك النبي وسلوك آله وتوصياتهم حول الأسرى راقية، وفي المقابل نجد كل الوحشية في سلوك أعدائهم، وبحق مَن؟ بحق آل النبي وذريته وحُرَمِه!

إلى ما هو عليــه الآن، فإننا نقول بكل وضوح أن الإســلام سبق المجتمعات البشرية بقرون مديدة في وضع تشريعات خاصة بالأسرى تتضمن العديد من الحقوق والآداب.

ولذا نجد في تاريخ الطبري عن جندب الأزدي: (أن عليّاً عليه السلام كان يأمرنا في كل موطن لقينــا فيه عدوّا فيقول: لا تقاتلوهم حتى يبدأوكم، فأنتم بحمد الله عــز و جل عــلى حجّة، و تركــكم إيّاهم حتى يبدأوكم حجّة أخرى لكم، فإذا قاتلتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ولا تُجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تـمثّلوا بقتيل، فإذا وصلتم إلى رحــال القوم فلا تهتكوا ســتراً و لا تدخلوا داراً إلاّ بإذن، ولا تأخذوا شيئــاً من أموالهم إلاّ مــا وجدتم في عســكرهم، ولا تهيِّجوا امرأة بأذي و إن شــتمن أعراضكم و سبين أمراءكم و صلحاءكم).

هكذا هو الإســلام، وهكذا كان ســلوك النبي وسلوك آله عليهم السلام وتوصياتهم، وفي المقــابل نجد كل الوحشية في سلوك أعدائهم، وبحق مَن؟ بحق آل النبي وذريته وحُرَمِه!

• صفية وزينب:

لما أسِرت السيدة صفية بنت حيي وامرأة أخرى معها في خيبر، أرسلتا مع بلال إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فمــر بهما على قتلى اليهود، فلــما رأتهم التي مع صفية صرخت وصكّت وجهَها وحثت التراب على رأسها، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبلال: (أنُزِعَت منك الرحمة يا بلال حيث تـمر بامرأتين على قتلى رجالهما؟).

هذا مشهد، وفي كربلاء مشهد آخر.. تبلور بعد عهد الخلافة الراشدة، حيث تبدلت القيم والمفاهيم الإسلامية، ورجعت عادات الجاهلية وتقاليدها.. إذ يروي الطبري عن قرة بن قيس التميمي عما جرى بعد استشهاد الحسين عليه السلام وأخذ حرائر بيت النبوة والأطفال أسرى، قال: (نظرتُ إلى تلك النسوة لمــا مررن بحسينٍ وأهلِه وولدِه صِحنَ ولطمن وجوهَهن. قال: فاعترضتُهن على فرس... قــال: فما نسيت من الأشياء لا أنسى قولَ زينب ابنةِ فاطمة حين مرَّت بأخيها الحسين صريعاً وهي تقول: يا محمداه يا محمداه صلى عليك ملائكة الســماء، هذا الحسين بالعرا، مرمَّل بالدِّما مقطَّع الأعضا. يا محمداه وبناتُك سبايا،

وذريتُك مقتّلة، تَسفي عليها الصبا. قال: فأبكت واللهِ كلَّ عدوٍّ وصديق. قال: وقَطف رؤوس الباقين، فسَرَّح باثنين وسبعين رأساً مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمر بن الحجاج وعزرةَ بن قيس، فأقبلوا حتى قدموا بها على عبيد الله بن زياد).

تلك هي مدرسة الإسلام وهذه هي مدرسة الجاهلية التي نهض الحسين عليه السلام ليجاهدها ويعيد أمة جده إلى قيمها الأصيلة وقد قال: (وإنِّي لم أخرج أشَراً ولا بَطَراً ولا مُفسِداً ولا ظَالِماً، وإنَّما خرجتُ لطلب الإصلاح في أمَّة جَدِّي صلى الله عليه وآله، أريدُ أنْ آمُرَ بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي، وأبي علي بن أبي طالب).

• موقف الصحابي سعد بن سهل:

في لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين عن الصحابي سهل بن سعد الساعدي الأنصاري أنه قال: (خرجت إلى بيت المقدِس حتى توسطت الشام فإذا أنا بمدينة مطردة الأنهار كثيرة الأشجار وقد علقوا الستور والحجب والديباج وهم فرحون مستبشرون وعندهم نساء يلعبن بالدفوف والطبول، فقلت في نفسي: ترى لأهل الشام عيداً لا نعرفه نحن؟ فرأيت قوماً يتحدثون، فقلت: يا قوم، لكم بالشام عيدٌ لا نعرفه نحن؟ قالوا: يا شيخ، نراك غريباً! فقلت: أنا سهل بن سعد، قد رأيت محمداً صلى الله عليه وآله. قالوا: يا سهل، ما أعجبك السماء لا تمطر دماً والأرض لا يخفف بأهلها. قلت: ولم ذاك؟ قالوا هذا رأس الحسين عترة محمد صلى الله عليه وآله وأهله يُهدى من أرض العراق! فقلت: واعجبا! يُهدى رأس الحسين عليه السلام والناس يفرحون؟ قلت: من أي باب يدخل؟ فأشاروا إلى باب يقال له باب الساعات، فبينا أنا كذلك حتى رأيت الرايات يتلو بعضها بعضاً، فإذا نحن بفارس بيده لواء منزوع السنان عليه رأس من أشبه الناس وجهاً برسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا من ورائه نسوة على جمال بغير وطاء، فدنوت من أولهن فقلت: يا جارية، من أنتِ؟ فقالت: أنا سكينة بنت الحسين. فقلت لها: ألكِ حاجة إلي؟ فأنا سهل بن سعد ممن رأى جدك وسمعت حديثه. قالت: يا سهل، قل لصاحب هذا الرأس أن يقدِّم الرأس أمامنا حتى يشتغل الناس بالنظر إليه ولا ينظروا إلى حُرِم رسول الله صلى الله عليه وآله. قال سهل: فدنوت من صاحب الرأس فقلت له: هل لك أن تقضي حاجتي وتأخذ مني أربعمائة دينار؟ قال: ما هي؟ قلت: تُقدِّم الرأس أمام الحرم. ففعل ذلك، ودفعت إليه ما وعدته).



٢٤ محرم ١٤٣٤ هـ
٨ ديسمبر ٢٠١٢ مـ

تعالوا .. باهلوني

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران:٦١).

ترتبط هذه الآية بحادثة المباهلة التي جرت في شهر ذي الحجة من العام التاسع للهجرة (عام الوفود)، وخلاصة الحادثة أن رسول الله ﷺ كتب كتاباً إلى أساقفة نجران جاء فيه: (أمّا بعد، فإنّي أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، أدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتُم فقد أذنتم بحرب، والسلام). فشكّلوا وفداً كبيراً وتوجهوا إلى المدينة المنورة ودخلوا المسجد النبوي وبدؤوا بضرب نواقيسهم ثم الصلاة على طريقتهم، فقال أصحاب رسول الله: يا رسول الله هذا في مسجدك؟ فقال دعوهم. فلما فرغوا دنوا من رسول الله وبدأ الحوار، ولما سألوا النبي عن والد عيسى عليه السلام نزلت الآيتان: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (آل عمران:٥٩-٦٠) جواباً على سؤالهم، واستمر الحوار إلى أن وصل إلى طريق مسدود، فطلب النبي منهم أن يباهلوه، فوافقوا، حتى إذا كان الموعد المحدد خرج النبي بأحب الناس إليه، علي وفاطمة والحسن والحسين، وعلم وفد نصارى نجران أن من يقدِّم هؤلاء الذين ملأت هيبتُهم القلوب لاشك أنه مطمئن بأنه على حق، ولذا قرروا الانسحاب من المباهلة وفضّلوا المصالحة مع إعطاء الجزية والبقاء على دينهم.

> الجميع يقر بأن الدستور الحالي لا يمثل الطموح الكامل، وكل من وجهة نظره، وهذا شئ طبيعي، إلا أن القاعدة الحكيمة تقول أنَّ ما لا يُدرك كله لا يُترك جُلُّه ..

• ترتيب الأولويات:

وإذ كان المبدأ في استعادة هذه الذكريات، ليس مجرد الاحتفال بها والاحتفاء بأصحابها، بل وفق القاعدة القرآنية: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (يوسف:١١١)، فإنه يمكن الخروج من دراسة مجمل هذه الحادثة بعدة نقاط عملية:

أولاً، ترتيب الأولويات وفق المصلحة العامة، فقد كان بإمكان النبي ﷺ أن يقاتلهم، ونحن نتحدث عن حال المسلمين بعد فتح مكة والانتصار في حنين وحصار الطائف وغير ذلك مما دفع الوفود زرافات من أنحاء الجزيرة العربية للدخول في الإسلام ومبايعة

النبي ﷺ على الدخول في حكمه، وفي المقابل فإن القوم كانوا من المزارعين وأصحاب صناعة وتجارة، إلا أنه ﷺ لم يفعل ذلك، وفضّل أن يصالحهم، فإنها إن لم تؤد إلى هدايتهم فيما بعد، فعلى الأقل سيتحقق السلم الأهلي في موقع من مواقع الجزيرة العربية.

• تحكيم العقل:

ثانياً، تحكيم العقل في التعامل مع الاستفزاز والتحدي الذي مارسه الوفد بقرع النواقيس في المسجد وتلاوة صلواتهم دون استئذان، فلم يستسلم النبي ﷺ لحالة انفعالية، بل وعمد إلى تهدئة المسلمين الذين أثارهم هذا التصرف.

• سعة الصدر:

ثالثاً، سعة صدر النبي ﷺ في تلقي أسئلة الوفد، ولك أن تتخيل الموقف بلحاظ الظرف التاريخي الذي يمثل قمة انتصار قائد حاك الجميع المؤامرات ضده، وتجيشت الجيوش للتخلص منه وإجهاض مشروعه.. في مثل هذا الظرف يأتي هذا الوفد ويستفز ويتحدى ويسأل بكل أريحية دون خوف، بل ويقبل أن يدخل في مباهلة.

كل هذا لأن الأساس عند النبي ﷺ هي مسألة الهداية لا مسألة القهر ولا الغلبة ولا السلطان، ولأن باب الحوار عنده مفتوح على مصراعيه مادام الأمر في نطاق البحث العلمي والبحث عن الحقيقة، فلا أسئلة ممنوعة، ولا قضية محرّمة، بشرط احترام أسس الحوار والبحث.

• المرونة في التعاطي:

رابعاً، المرونة في التعاطي مع الحدث، والبحث عن حلول بديلة تحقق النتائج المرجوة ـ أو بعضها ـ ولو بعد أمد.

• مكانة أهل البيت:

خامساً، التأكيد على المكانة العظيمة لأهل البيت عليهم السلام، ففي صحيح مسلم، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: (أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما يمنعك أن تسب أبا تراب، قال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن رسول الله ﷺ فلن أسبه، لئن يكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول حين خلفه في بعض مغازيه فقال له علي: يا رسول الله خلّفتني مع النساء و الصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟ و سمعته يقول يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، و يحبه الله و رسوله، قال: فتطاولنا لها، فقال: ادعوا لي علياً فأتي به أرمد العين فبصق في عينيه و دفع الراية إليه ففتح الله على يده. و لما نزلت هذه الآية: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثم نَبْتَهِلْ﴾، دعا رسول الله علياً و فاطمة و حسناً و حسيناً وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي).

• استلهام عِبَر المباهلة:

إننا وإذ نسترجع حادثة المباهلة فإننا نستلهم

معطياتها في الواقع الذي نعيشه، لاسيما بلحاظ الأجواء السياسية المشحونة والمحتقنة التي تعيشها المنطقة:

• أولاً، أن هذه القيمة العليا والمكانة الرفيعة التي أدركها الصحابي سعد بن أبي وقاص لعلي خصوصا، ولفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام عموماً كما في نهاية الخبر، تؤكد على أنها من المشتركات بين المسلمين، وبالتالي فإن من المستغرب أن تجد ردة فعل سلبية من البعض تجاه إحياء ذكرياتهم، وفي المقابل فإن من الخطأ أن يطرح البعض قضاياهم، ومنها إحياء ذكرى الثورة الحسينية وكأنها قضية شيعية أو أنها ثورة ضد أهل السنة أو ما شابه، فثورة الحسين كانت ضد الظلم والباطل والفساد، ولم تكن ثورة مذهبية.

• ثانياً، أننا في الوقت الذي نؤكد فيه على ضرورة التشجيع على البحث والحوار العلمي كما جاء في المادة ٣٦ من الدستور ونصُّها: (حرية الرأي والبحث العلمي مكفولة، ولكل انسان حق التعبير عن رأيه ونشره بالقول أو الكتابة أو غيرهما، وذلك وفقاً للشروط والأوضاع التي يبينها القانون)، إلا أنه لابد من التعاطي مع الظرف الآني بحكمة بالابتعاد عما يمكن أن يقدِّم الذريعة للبعض لاستغلال ذلك ـ ولو من خلال التضخيم ـ لتحقيق مآرب معينة تخل بالمصلحة الإسلامية العليا ويعود فيها الضرر على الجميع، علاوة على ضرورة تحكيم العقل وعدم الانجرار وراء أية استفزازات قد يعمد البعض من الطرفين على خلقها.

• ثالثاً، أن الكويت وقد احتفلت بالذكرى الخمسين لإقرار دستورها، لابد وأن لا تقتصر في تعاملها مع الذكرى من منطلق الاحتفال وتفعيل أجواء البهجة فقط، بل ومن خلال الدراسة الواعية لقيمة وجود هذا الدستور الذي يمثل الضمانة الحقيقية لأمن واستقرار ورخاء هذا الوطن.. صحيح أن الجميع يقر بأنه لا يمثل الطموح الكامل، وكل من وجهة نظره، وهذا شئ طبيعي، إلا أن القاعدة الحكيمة تقول أنَّ ما لا يُدرك كله لا يُترك جُلُّه، فلنعمل على أن يكون هذا الدستور الذي احتفلت كل الأطراف بذكرى إقراره هو الوسيلة لخروج الكويت من الأزمة السياسية التي تعصف بها، والتي وإن تهدأ فورتُها في بعض الأحايين، إلا أن أسباب هيجانها من جديد ستبقى فاعلة ولابد من معالجتها بحكمة.



٢ صفر ١٤٣٤ هـ
١٥ ديسمبر ٢٠١٢ مـ

العبادة المظلومة

قد لا يتردد الإنسان أن يطلق على عبادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صفة (العبادة المظلومة) بلحاظ أن الصور والمعاني التي تتبادر إلى أذهان الكثير من الناس عند ذكر هذه العبادة هي صور ومعانٍ سلبية تتمثل في (العصا، والعنف اللفظي، والعبوس، والإحراج الاجتماعي، والعنف الجسدي .. إلخ).

• النبي الرحيم:

ولا شك أن هذه الصورة غير منصفة.. فهل يشك أحد في أن النبي الأكرم ﷺ نهض بمسؤوليته في هذا المجال بصورة تامة؟ ألسنا نشهد له في نصوص زيارته: (أشهد أنك قد بلغت الرسالة وأقمت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر)؟ ومع هذا نجد القرآن الكريم يتحدث عن النبي بهذه الصورة: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران:١٥٩). وهذا يعني أن الجمع بين الرحمة واللباقة والجاذبية من جهة، وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من جهة أخرى أمر ممكن جداً..

إذاً ما الذي أضفى على هذه العبادة هذه الصورة المجوجة ـ حتى عند المتدينين ـ بينما تعطي الكثير من العبادات الصورة المقبولة، كالصلاة والدعاء؟

• العامل النفسي:

أول هذه العوامل هو العامل النفسي، فهذه الوظيفة الشرعية لها علاقة بالآخر، وليست فريضة فردية كالصلاة والدعاء، تتم بين العبد وربه.. فمن يؤديها لا يدري ما ردود الفعل التي ستترتب على قيامه بهذه المسؤولية.

• العامل التاريخي:

فقد مورست هذه الوظيفة في التاريخ الإسلامي في أحايين كثيرة بصورة غليظة ارتبطت بالعصا والعقوبة والكلمة العنيفة، كما أنها مورست بصورة مزاجية بحيث استثنيت منها طبقات معينة، مما رسّخ هذه الصورة السلبية في الأذهان.

• العامل الثقافي:

حين نُبقي هذه المسؤولية ـ من خلال خطابنا الديني ـ في دوائر محدودة وعناوين ضيقة تجعلها حبيسة الماضي بظروفه ومعطياته، ولا نوائمها من

مورست وظيفة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في التاريخ الإسلامي في أحايين كثيرة بصورة غليظة ومزاجية مما رسّخ صورة سلبية عنها في الأذهان.

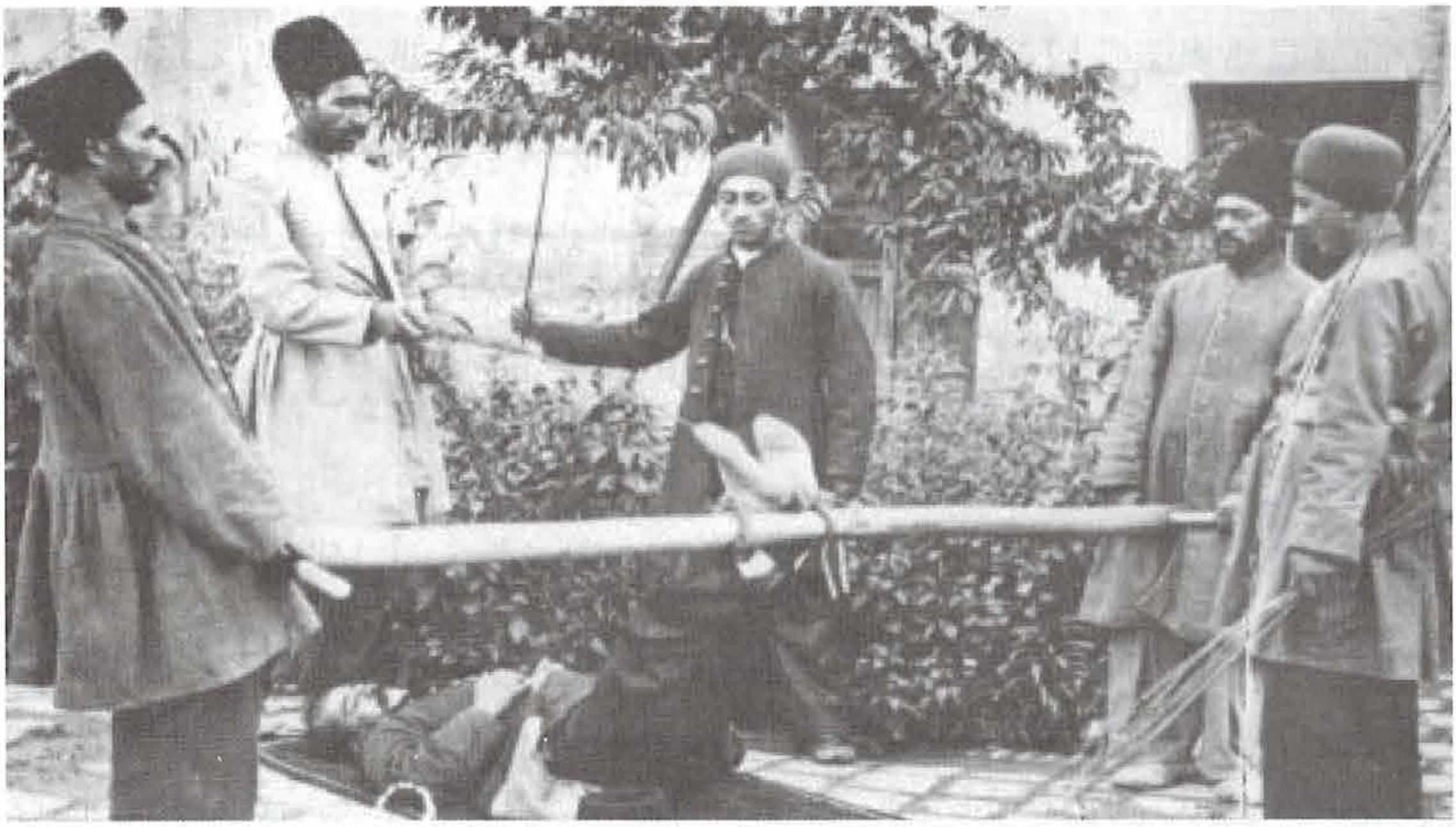

حيث التعبير عنهـا، ومن حيث وسـائلها، ومن حيث بيان مدياتها وتأثيراتهـا، مع متغيرات العصر ومتطلباته.. فهل يمكن أن نتجاوز ذلك كله؟

• وسائل التواصل الحديثة:

لـو دققنا قليلاً سنلاحظ أن التقنيـات الحديثة قدّمت حلاً عملياً للخروج من تأثير العامل النفسي، إذ يمكن لأي فرد اليوم من خلال (الوتساب) و(التويتر) مثلاً أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر دون أن يواجه الناس بصورة مباشرة، فيتجنب مـا يتخوف منه من ردود الفعل السلبية بصورة كبيرة، خاصة إذا لم يحب أن يعرّف عن هويته، فالمهم عنده أن يوصل الرسالة المفيدة البنّـاءة.. بالطبع، المسألة حساسة جداً، فهي سلاح ذو حدّين، ومن الممكن توظيفها بشكل سلبي، ولذا على الفرد أن يكون دقيقاً ومسؤولاً في ذلك، بحيث يتجنب ما من شأنه إحداث الفتنة، أو الترويج للمنكر، أو إلحاق الضرر بالمجتمع أو بالأفراد، أو تحويلها إلى وسيلة للغيبة أو النـميمة أو البهتان.. إلخ. أمـا بالنسبة إلى العـامل الثقافي فلابد أن نلحظ أن القرآن الكريم لم يحبس هذه المسؤولية في دائرة الحجـاب والصلاة وتناول المسكرات وأمثال ذلك فقط، بل جعل مجال المعروف كل الحيـاة، ولذا نجد حضور عنوان (المعروف) في الدائرة الاجتماعية كما في قوله: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة:٢٤١)، وفي إدارة شؤون المجتمع: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَـامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَـنِ الْمُنكَرِ وَلِلّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ (الحج:٤١). ومن هنا فإن قضايا من قبيل حقوق الإنسان، الحريات العامة، الحفاظ على البيئة، الفساد السياسي، الفساد الإداري، تعطيل مصالح الناس، الفساد الإعلامي،

العنصرية القومية والطائفية والقبلية، وغير ذلك من العناوين التي تطرح بلغة العصر في ما يمس حياة الناس، كلها تدخل في عنوان المعروف أو المنكر، ومن ينهض لمعالجة تلك الأمور إنما ينهض ضمن مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

• مجلس الأمة:

ومن هنا نستطيع القول أن الدور التشريعي والرقابي المفترض بمجلس الأمة أن ينهض به، يمكن النظر إليه كنوع من أنواع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن نجح من المرشحين لعضوية مجلس الأمة يفترض بهم أن يعوا هذه الحقيقة، ويكون من منطلقات فاعليتهم النيابية.

اليوم هناك قضايا كثيرة تنتظر السادة الأعضاء أن يتحركوا عليها بكل جدية ومن موقع المسؤولية وفي إطار الدستور وبلحاظ مواءمة معطيات الانتخابات الأخيرة.. ولعل أبرز تلك القضايا هي:

١ـ تأسيس محكمة جعفرية متكاملة (درجة أولى واستئناف وتمييز)، بلحاظ أن الموجود حالياً هو قضاة جعفريين، ويحكمون وفق الفقه الجعفري، إلا أنه لا توجد محكمة خاصة بالجعفرية.

٢ـ تعديل اللائحة التنفيذية لقانون الزكاة بما يمكّن التاجر الكويتي الشيعي من توظيف زكاته لو أراد في مصارف إدارة الوقف الجعفري، كما يتمكن سواه من توظيفها في بيت الزكاة، علماً بأنها ستكون بالتالي تحت الرقابة الحكومية وبما يخدم المجتمع الكويتي.

٣ـ الانتهاء من قضية تخليص مناهج التربية الإسلامية من الروح التكفيرية.

٤ـ حسم مسألة التمييز في الموافقة على تخصيص المساجد واحتكار المواقع المخصصة لها وإدخالها في دهاليز الروتين المفتعل.

وإذا كان ما سبق يمثّل جانباً من مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الملقاة على عاتق نوّاب المجلس، فإن مسؤولية مماثلة وفي نفس إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تقع على عاتق الناخبين الذين أدلوا بأصواتهم وأوصلوا المرشحين إلى بيت الأمة، وهي مسؤولية الرقابة على أداء النوّاب ومحاسبتهم في حال التقصير.

• ضريبة التقاعس:

إن التقاعس عن النهوض بهذه المسؤوليات بأشكالها المختلفة يحمّلنا تبعات خطيرة تكون بمثابة النتائج الطبيعية لتخلي الفرد والمجتمع عن تحمل مسؤولياته العامة على المستوى السياسي والإداري والاجتماعي والثقافي والتعليمي والإعلامي. وما أوضح كلمة أمير المؤمنين علي عليه السلام حيث قال في الخطبة القاصعة: (وَإِنَّ عِنْدَكُمُ الأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللهِ تَعَالَى وَقَوَارِعِه، وَأَيَّامِه وَوَقَائِعِه، فَلاَ تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ جَهْلاً بَأْخْذِه، وَتَهَاوُناً بِبَطْشِه، وَيَأْساً مِنْ بَأْسِه، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاضِيَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلاَّ لِتَرْكِهِمُ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَلَعَنَ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي، وَالْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاهِي).

.. لم يرسل للنشر ..

على وقع الانتخابات الأخيرة

لمعطيات الانتخابات الأخيرة لمجلس الأمة آثاراً إيجابية في بعض النواحي، وآثاراً سلبية في نواحٍ أخرى، على المستوى الوطني العام، وعلى المستوىً الشيعي الخاص.. وهذا شئ طبيعي، إذ نادراً ما تجد في الحياة أوضاعاً يتحقق فيها الخير المحض والإيجابية المطلقة والتوافق التام بين المعنيين بها.

• ضرورة المعالجة:

ولكن بعض هذه السلبيات قد تتفاقم إذا ما أُهملت ولم تُشخَّص ولم تُعالَج، بل قد تتحول إلى أمراض اجتماعية أو سياسية أو سلوكية مزمنة، ولربما تتولَّد عنها سلبياتٌ ذات أبعاد أخرى وآثارٌ أكثر تعقيداً.

ومن هنا سيكون من القصور أن نستغرق في الإيجابيات وفي الفرح الساذج الذي يجعلنا نعيش الغفلة وننسى سننَ الله وقوانينَه في المجتمعات، بل ولربما نعيش الفرح الممقوت: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ، فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (المؤمنون:٥٢-٥٣).

وأسلط الضوء هنا على بعض تلك السلبيات:

١ـ أن الإنسان عندما يعيش نشوة الانتصار ينسى ما كان يعاني منه عندما كان في موقع الضعف، وينسى الشعارات التي كان يرفعها، من قبيل المساواة في الحقوق، والمشاركة في الوطن، وما أشبه ذلك.. ليكرر ـ بالتالي ـ نفس الأخطاء، وليأتِ ـ من خلال موقعه المتقدم ـ بما كان يعيب به على الآخرين، تماشيا مع الروحية الإقصائية.. فأين المصداقية؟ وعلى الأقل فلنتذكر سنة الله في الحياة: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران:١٤٠). فلا هذا الموقع المتقدم باقٍ، ولا هذا الانتصار سيُكتَب له الدوام والخلود، وليس في عالم السياسة صديق دائم، ولا عدو دائم. ولذا فمن المفترض أن يتم بناء المواقف والاستراتيجيات وفق هذا المنظور.

٢ـ بروز روحية الانتقام والتشفِّي مِن قبل مَن بات يمتلك عناصر أو مواقع قوة، وفي المقابل الوعيد بالانتقام والتشفي ممن يعيش حالةً من الضعف والإقصاء.. ولنتذكر جميعاً ككويتيين أننا تعلمنا في مدرسة رسول الله ﷺ موقفَه عند فتح مكة حيث قدّم لنا درساً بليغاً في العفو عند المقدرة.. ولنتذكر ـ كشيعة لأهل البيت عليهم السلام ـ أننا تعلمنا في





أي شئ أسوأ من الفرقة والتنازع بعد الالفة والمحبة والتآخي ؟! تعصُّبٌ يُنسينا قِيَمَنا ومبادئنا وأخلاقَنا وآدابَنا وأخوَّتنا الايمانية ..

مدرسة الإمام زين العـابدين عليه السلام موقفه عند عزل والي المدينة الذي أجرم بحق الإمام والكثيرين حتى إذا جاءت الفرصة ـ وما أحلاها من فرصة ـ حيث أمر الأمويون بإيقافه في ساحة عامة ليتشفّى به مَن شاء من أهل المدينة، فإذا به يوصي أصحابه ومواليه وخاصته أن لا يتعرضوا له، ثم جاء إليه وكلّمه وقال: (يا ابن عم، عافاك الله، لقد أساءني ما صُنع بك، فادعُنا إلى ما أحببت).

٣ـ استحكام الذاكرة قصيرة المدى، وعدم التعلم من التجارب الماضية. ونحن مدعوّون إلى ذلك، وقد قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (رحم الله امرأ تفكّر فاعتبر، واعتبر فأبصر، وأبصر فازدجر، وعاين إدبار ما قد أدبر، وحضور ما قد حضر).

وفي حكمة أخرى: (في التجارب علم مستأنَف، والاعتبار يفيدك الرشاد) وفي تبدّل مواقف الحكومات المتعاقبة مع متغيرات موازين القوى خير شاهد على أن دوام الحال من المحال، وأن من كانت أسهمه مرتفعة اليوم قد لا يشتريها أحد في يوم ما، وإنَّ لمن السذاجة أن يبرمج أحدُنا أوضاعه على طريقة الذي يتكسب اكتفاءً بقوت يومه، فلا يخطط للمتغيرات ولا ينظر إلى المستقبل.

٤ـ التعصب الأعمى للذات أو لشخص أو لحزب أو لمذهب أو لعرق أو لقبيلة أو لغير ذلك، التعصب الذي يُنسينا التاريخ المشترك، والعيش المشترك، التعصب الذي يُنسينا نقاط الالتقاء الكثيرة، ويجعلنا نحدِّق في نقطة اختلاف، لا هي من أصول الدين، ولا هي من فروعه.. ولكنها نفثة الشيطان: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُبِيناً﴾ (الإسراء:٥٣). وما أروع وصف الإمام علي عليه السلام: (.. فإنكم تتعصبون لأمر ما يُعرف له سبب ولا علة.. فإن كان لابد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الخصال ومحامد الأفعال ومحاسن الأمور.. واحذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات بسوء الأفعال وذميم الأعمال).

وأي شئ أسوأ من الفرقة والتنازع بعد الألفة والمحبة والتآخي ؟! تعصُّبٌ يُنسينا قِيَمَنا ومبادئنا وأخلاقَنا وآدابَنا وأخوَّتنا الإيمانية، إلى المستوى



الذي يُعابُ فيه على الإنسان حين يعود أخاه المؤمن المريض أو يشيع جنازته أو يتواصل معه اجتماعياً، بذريعة أنه يختلف معه في الهوى السياسي! فقُبحاً لهذه السياسة، وقُبحاً لهذه المنافسة، وقُبحاً لهذه التحزّبات المقيتة، وقبحاً لهذه الأهواء المضِلَّة التي جعلت الدينَ لَعِقاً على ألسنتنا نحوطُه ما وافق أهواءَنا وتحزباتِنا وعصبياتِنا، فإذا مُحِّصنا قلَّ الديَّانون!

إن المرء ليأسف أن يرى علاقتنا بالإسلام وبالتشيع علاقة قشرية لا تنفذ إلى وعينا وسلوكياتنا ومشاعرنا.. علاقةً نحجّمها في إطار التفاخر والتباهي والتغني بأمجاده والتبرك بقادته، دون أن نقتدي بأوليائه، ولا نستن بسننهم!

إن الالتزام شئ، والتعصب شئ آخر.. إن الالتزام بما يراه المرءُ حقاً وقامت عليه الحجة عنده يمثّل قيمةً من قِيَم الإسلام، وأمراً من أوامر الله..

وأما التعصّبُ فإنه يُعمي البصيرة ويدفع إلى التفريط بالقيم والمبادئ، ويفتح للشيطان أبواب الوساوس الخبيثة، فالشيطان إمام المتعصبين ـ كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام ـ وواضعُ أساس العصبية.

إن الله أعطاك الحق في أن تخالفني الرأي، وأعطاني الحق في أن أخالفك القول، ولكنه لم يعطنا الحق في أن نتنازع ونتصارع ونتفرّق بعد أن ألَّف بين قلوبنا: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لعلكم تَهتَدُونَ، وَلتكن منكم أمَّة يَدعُونَ إلى الخير ويأمُرونَ بالمعرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ المفلحون، ولا تكونُوا كالَّذينَ تَفَرَّقُوا واخْتَلفُوا مِن بَعدِ ما جَاءَهم البيِّناتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران:١٠٣-١٠٥).

١٠ صفر ١٤٣٤ هـ
٢٣ ديسمبر ٢٠١٢ م

شكوك و أوهام

مجرد الشك لا يؤدي إلى الكفر، بل الشك الذي يجحد من خلاله الإنسان ويجعله عارفاً بالحق ومعانداً له في نفس الوقت، وففإنسان العذر في مرحلة البحث ..

كيف وُجد الله؟ مَن خلق الله؟ ما هيئته؟ أين هو الآن؟.. أفكار وشكوك وتساؤلات عديدة ومتكررة تدور في أذهان كثير من الشباب حول الخالق جل وعلا، وأحياناً تلح بصورة قوية، وقد تتطور إلى أفكار غريبة تضغط على الشاب الذي يشعر بالتناقض بين إيمانه بالله الواحد سبحانه، وبين هذه الشكوك والتساؤلات والأوهام، وهذا الضغط يولد أحياناً حالة من الإنهيار النفسي نتيجة توهم ترتب الكفر والخروج من الدين.. ومن المؤسف أن بعضاً من أنصاف المتعلمين يسرع بالإفتاء بتكفير من يتساءل حول هذه الموضوعات بحثاً عن جواب، أو سعياً للتخلص من التشوش الفكري والنفسي الذي يعيشه.

• معالجة من عدة نواح:

ولا بد من معالجة الموضوع من عدة نواح:

الناحية الأولى: هل أن الشك في التوحيد أو النبوة أو اليوم الآخر يحوّل الإنسان من مسلم إلى كافر؟ بمراجعة النصوص المروية عن النبي وآله عليهم السلام نجدها على نحوين: الأول من قبيل ما رواه عبدالله ابن سنان عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: (مَن شك في الله وفي رسوله فهو كافر). والثاني من قبيل ما رواه محمد بن مسلم قال: (كنت عند أبي عبدالله الصادق عليه السلام جالساً عن يساره وزرارة عن يمينه، فدخل عليه أبو بصير فقال: يا أبا عبدالله، ما تقول في من شك في الله؟ فقال: كافر يا أبا محمد. قال: فشك في رسول الله؟ فقال: كافر. قال: ثم التفت إلى زرارة فقال: إنما يكفر إذا جحد).

والجمع بين النصوص من النحوين السالفين يمكن من خلال اعتبار أن النصوص على النحو الأول مطلقة، والتي على النحو الثاني مقيِّدة لها، والنتيجة أن مجرد الشك لا يؤدي إلى الكفر، بل الشك الذي يجحد من خلاله الإنسان ويجعله عارفاً بالحق ومعانداً له في نفس الوقت. ولذا قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام : (ولو أن العباد إذا جهلوا وقفوا ولم يجحدوا، لم يكفروا).

ثم إن العقل يحكم بأن الانسان له العذر في مرحلة الطلب والبحث عن العقائد الصحيحة، سيما عندما تكثر الشبهات والطروحات البراقة، ويقبح عقلاً أن

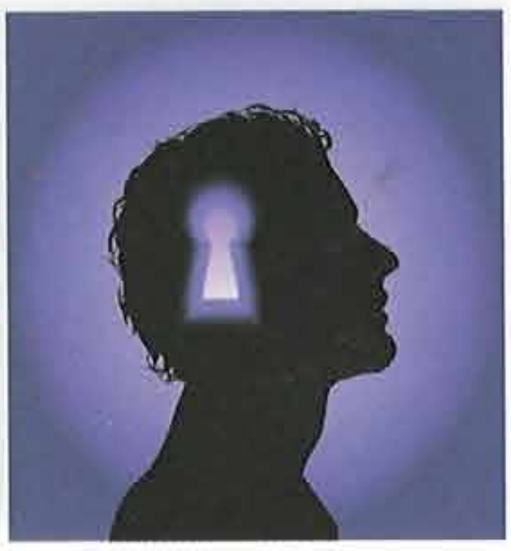

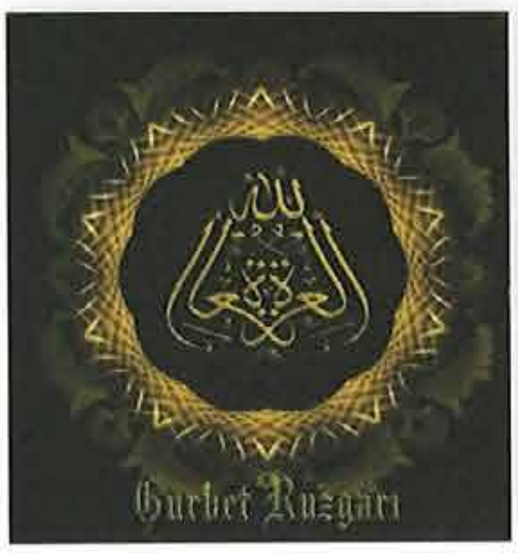

التساؤلات والأوهام حول الخالق ليست من إفرازات هذا العصر ، فقد سأل بعض المسلمين النبي عن ذلك لما اعترتهم حالات مماثلة من الوساوس والأوهام ..

يعاقبه المولى الحكيم والعادل على شكوكه الجارية في طريق البحث والوصول إلى الحقيقة.

• مسألة قديمة:

الناحية الثانية: هل التساؤلات والأوهام حول الخالق سبحانه من إفرازات هذا العصر؟ بين أيدينا عدة نصوص يعود بعضها إلى عهد النبي الأكرم ﷺ، تذكر لنا حالات مشابهة عاشها بعض أصحابه وبعض المؤمنين في فترات لاحقة، منها هذا النص الذي رواه الكليني رحمه الله في الأصول من الكافي باب الوسوسة وحديث النفس: (عن علي بن مهزيار قال: كتبَ رجل إلى أبي جعفر [الإمام محمد الجواد] عليه السلام يشكو إليه لماً يخطر على باله، فأجابه في بعض كلامه: إن الله عزوجل إن شاء ثبّتك فلا يجعل لإبليس عليك طريقاً. قد شكى قوم إلى النبي ﷺ لماً يعرض لهم لئن تهوي بهم الريح أو يُقطعوا أحب إليهم من أن يتكلموا به، فقال رسول الله: أتجدون ذلك؟ قالوا: نعم. فقال: والذي نفسي بيده إن ذلك لصريح الإيمان، فإذا وجدتموه فقولوا: آمنا بالله ورسوله ولا حول ولا قوة إلا بالله).

• أفكار متنوعة:

الناحية الثالثة: كيف نعالج المشكلة إن عانى منها البعض؟ الملاحظ في النصوص أن المشكلة تعالج بعدة وسائل:

١- تهوين الأمر لتخفيف الضغط النفسي والتجرد التدريجي من هذه المعاناة، فعن محمد بن حمران قال: (سألت أبا عبدالله [جعفر الصادق] عليه السلام عن الوسوسة وإن كثرت! فقال: لا شئ فيها، تقول: لا إله إلا الله).

٢- الحث على أذكار التوحيد أو النبوة لتركيز الحالة الإيمانية وبعث الثقة بالنفس، فعن جميل بن دراج عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (قلت له: إنه يقع في قلبي أمر عظيم! فقال: قل: لا إله إلا الله. قال جميل: وكلما وقع في قلبي شئ، قلت: لا إله إلا الله، فيذهب عني).

٣- تركيز بعض الرسائل الإيمانية القصيرة في الذهن، نلاحظ هذا الخبر المروي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (جاء رجل الى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هلكتُ! فقال له: أتاك الخبيث، فقال



اعتبر النبي الأكرم أن خوف الإنسان من تلك الوساوس والتساؤلات ومراجعة النبي حول ذلك إنما يمثل علامة على الإيمان لا النفاق كما قد يتوهم الإنسان ..

لك: مَــن خلقك؟ فقلت: الله؟ فقال لك: الله مَن خلقه؟ فقال: إي والذي بعثك بالحق لكان كذا. فقال رسول الله: ذاك والله مَحْضُ الإيمان. قال ابن أبي عمير: فحدثت بذلك عبدالرحمن بن الحجاج فقال: حدثني أبي عن أبي عبدالله عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله إنما عنى بقوله «هذا والله محض الإيمان» خوفُه أن يكــون قد هلك حيث عرض له ذلك في قلبه) أي أن مجرد هذا التخوف واللجوء إلى النبي دليل على إيمان الشخص، وأن تلك محض أوهام.

وفي حديث آخر: (والله ما نافقتَ، ولو نافقتَ ما أتيتني) وفي آخر: (إن الشيطــان أتاكم مِن قِبَلِ الأعمال فلم يقوَ عليكم، فأتاكم من هذا الوجه لكي يستزلكم).



١٦ صفر ١٤٣٤ هـ
٢٩ ديسمبر ٢٠١٢ مـ

مولد السيد المسيح

إذ يستقبل العالم ذكرى مولد السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام نتوقف نحن مع بعض آيات القرآن الكريم من سورة آل عمران ابتداء من الآية ٣٣، والتي تحدثت عن أجواء ولادة هذا النبي المبارك.. والملفت للنظر أن الآيات تخطّت ولادته إلى ولادة أمه المكرمة وولادة النبي يحيى عليه السلام، في ترابط ونسق روحاني، تنعكس فيه حالة الارتباط بالله، والابتهال إليه عندما تتعقد أمامها الأمور، وترجع إليه عندما تُطبِق عليها المشاكل، ولذا فإن الله يعاملهم معاملة مميّزة تنطلق من رضاه عنهم وتقديره لروحيتهم.

• اصطفاء عظيم:

قال الله عز وجل ممهداً سرد القصة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ اصطفاءً لم يأتِ من فراغ، بل اصطفاء وتفضيل قائم على الملكات والصفات الذاتية التي تحلّوا فيها. كما أنه ليس الاصطفاء الذي يأتي من أجل أن يتبرّك به الناس تمسّحاً وتقبيلاً وتفاخراً بالانتماء إليه، كما يتصوّره الكثيرون.. ولا هو بالاصطفاء من أجل أن نؤمن بهم ونعصي الله، ليفتدونا بالخلاص في الآخرة.. بل هو اصطفاءٌ لحمل الرسالة الإلهية من أجل أن يكونوا هداةً للعالمين، وليكونوا المثُل العليا الفاعلة على الأرض والتي من خلالها يُصلح الناسُ أنفسَهم.

وتبدأ الآيات بسرد القصة انطلاقاً من الحقائق السابقة، لكي نتعامل مع التاريخ التعامل الواعي المعتبِر من القصة، لا التعامل السطحي الذي يبحث في بعض التفاصيل غير المهمة، لتضيع معها الفكرة، والتي هي الأساس في المسألة، ثم لتُنسج معها الكثير من التفاصيل الخيالية التي لا تستند إلى دليل، وكأن الإنسان يتعامل مع قصة من قصص ألف ليلة وليلة!

• دعاء ونية صالحة:

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ولعلَ أكثر ما يشغل الزوجة اليوم في ابتداء تلقّيها خبر الحمل هو موضوع التجهيزات لغرفة الاستقبال بعد الولادة، وفي تأثيث غرفة المولود، وغير ذلك



أصرّت امرأة عمران على المضي في أن تجعل مولودتها في خدمة الله، وتغلّبت على الظروف، وواجهت الاحبار حين امتنعوا عن قبول السيدة مريم في المعبد ..

من التفاصيل الكثيرة والمملة والمنهكة التي تعتاش عليها السوق الاستهلاكية.. لقد تحدث القرآن عن هذه السيدة الجليلة وكيف كان همُّها الأكبر أن تجعل مولودَها عبداً صالحاً في خدمة الله.. وهكذا يريد لنا الله أن نكون إذا أردنا أن نرتفع في قيمتنا عنده، أن نجعل همَّنا الأكبر في هذا الإطار يتمثل في كيفية إعداد هذا المولود ليكون مع الله، لا مع الشيطان.

• مفاجأة وإصرار:

وكانت المفاجأة أنها على الرغم من نذرها وأمنيتها في أن يكون المولود ذكراً.. كان المولود أنثى.. وخالت في الوهلة الأولى أن طبيعة الأنثى لن تتلاءم مع خصوصيات ذلك النذر: ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى ﴾.

ولكن هذه السيدة الجليلة أصرّت على المضي في أن تجعل مولودتها في خدمة الله، وتغلّبت على الظروف، وواجهت أحبار اليهود حين امتنعوا عن قبول السيدة مريم لتكون في خدمة بيت المقدس بأنهم لا يملكون الدليل على الرفض.. ونجحت فيما أرادت. وتحقق حلم امرأة عمران حتى غدت السيدة مريم كما قال تعالى: ﴿كُلما دَخلَ عَليهَا زكريّا المحرَابَ وَجدَ عِندَها رِزقاً قالَ يا مَريمُ أنّى لكِ هَذا قَالتْ هُوَ مِن عِندِ اللهِ إنَّ اللهَ يَرزُقُ مَن يَشاءُ بِغيرِ حساب﴾، وكما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾.

ولتكون سبباً في ولادة إنسان آخر مبارك ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ، فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وهُو قَائِم يُصلي في المحرابِ أنَّ اللهَ يُبَشّرك بيَحيَى مُصدقاً بِكلمةٍ مِنَ اللهِ وَسيّداً وحَصُوراً وَنبيّاً مِن الصّالحِينَ﴾.

• نية صالحة وخير كثير:

وهكذا يتفرع كل هذا الخير من نية خالصة لامرأة عمران.. نبيّان من أعظم الأنبياء، وسيدة اصطفاها الله وطهّرها فكانت واحدة من أربع هنّ خير النساء على مر التاريخ، تطوف حولها الملائكة وتخدمها وترعاها وتبشّرها: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.

وبذا تتمثل قيمة نية الخير، فلا تستصغروا عملاً



مـا، فقد يجعل الله فيه خيراً كثيراً، وآثاراً عظيـمة، وكما جاء في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام: (إنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يُدْخِلُ بِصِدْقِ النِّيَّةِ وَالسَّرِيرَةِ الصَّالِحَةِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْجَنَّةَ).

• مريم وابنها المسيح:

ثـم يرزق الله مريـم بالمولود المبـارك، ويعيشان التحديات الرسالية الصعبة، اتهاماً وسخريةً ومحاربةً.. لينطلق المسيح عليه السلام ـ مؤيَّداً بالآيات ـ في صبر وصمود ودعوة إلى الله بأسلوبه الوديع النابض بالمحبة. ولكنَّ القوم أغلقوا آذانهم عن كلماته، وأغمضوا أعينهم عن معجزات الله عـلى يديه، وعطّلوا عقولهم عن التفكير في ما يدعوهم إليه، لأنَّ القضية الأسـاس عندهم هي العناد والجحود، لا الحجة والبرهان.. فربح المرسلون وأنصارُهم رضوانَ الله، وخسر الكافرون بهم: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَـامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ، فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَـدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ، وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

• وحدة المنهج والهدف:

هذه هي قصة الرسل والرسـالات كما يعرضها القرآن الكريم، في وحدة المنهج، وفي وحدة الهدف، وفي تشابه التحديات.. فلماذا يعيش المؤمنون بها كل هذا التنافر العجيب؟ إنّ مشكلة الأديان والمذاهب أحياناً، ليست في أسسها أو في خطوطها الكبرى، وإنّما في العصبيَّات التي يعيشها الأتباع؛ لأنَّهـا تغلق على الإنسـان عقلَه وفكره، وتجعله يعيش في زنزانة دائرته الخاصَّة، ليحوّل الدين أو المذهب إلى وسيلة لبلوغ مأرب شخصي، أو تنفيسٍ عن عقدة نفسية، أو غطاءٍ يعمل من ورائه لتحقيق نواياه الشيطانية.

٢٣ صفر ١٤٣٤ هـ
٥ يناير ٢٠١٣ مـ

سطحية التفكير

على الرغم من كل التطور العلمي والتعليمي، وعلى الرغم من كل الانفتاح المعلوماتي الرهيب، إلا أن سطحية التفكير ما زالت هي سمة الإنسان المعاصر ..

لماذا صدّق الناس الإشـاعات عن نهاية العالم في ٢١ ديسمبر الماضي؟ لربما لم نشعر نحن كثيراً بتأثير هذه الإشاعة بسبب معطيـات العقيدة الإسلامية والنصوص التي تتحدث عن علائم مـا قبل نهـاية العالم.. ولكنه سؤال طُرح عالمياً في وسـائل الإعلام والمنتديات، وارتبط في جانب منه بقضية مهمة جداً وهي: سطحية التفكير عند الإنسان المعاصر.

• تطور علمي ولكن!

فعلى الرغم من كل التطور العلمي والتعليمي في المناحي المختلفة، وعلى الرغم من كل الانفتاح المعلوماتي الرهيب الذي يغزو حياتنا، إلا أن سطحية التفكير ما زالت هي السمة الغالبة للإنسان المعاصر، لا الشرقي فحسب، كما يحاول البعض تصويره، بل في العالم أجمع.. ولا الإنسان المتدين بأي دين فحسب، كما يحاول الملاحدة تصويره، بل الإنسـان كإنسان متديناً بدين أم متمسكاً بتفاهة الإلحاد.

وليست سطحية التفكير بالطبع في أصل الإيمان بنهاية العالم المـادي بالصورة التي نعرفهـا، فهو أمر حقيقي، بل ونؤمن به، ولكن في ربطه بإشاعة وخرافة وأسـطورة، بالمستوى الذي يجد فيه علماء الطبيعة والباحثون أنهم في مواجهة عدد هائل من الإيميلات التي عبر فيها أصحابها عن ذعرهم، ومئات المواقع على الانترنت التي زارها عشرات ملايين القرّاء لأنها تزعم بأن لديها (معلومات علمية مؤكدة) حول فناء الأرض في ذلك التاريخ.. كل ذلك أجبر علماء الطبيعة والفلك لكي يتعاملوا مع الأمر بشكل جدي وإيلائه اهتماماً أكبر، حتى نظموا المؤتمرات والمحاضرات!

• سمات سحطيي التفكير:

أرى هنا من الضروري أن يتساءل المرء: هل أنا من سطحيي التفكير؟ وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا غدوت بهذه الصورة؟ وما السبيل للخروج من هذا المأزق؟ لعل من أهم السمات التي تـميز صـاحب الفكر السطحي:

١ـ الفراغ أو عدم وجود نشاطات متنوعة أو هـامة في الحياة، وفي الحديث النبوي: (إن الله يبغض الصحيح الفارغ، لا في شغل الدنيـا، ولا في شغل الآخرة).

٢ـ الاهتمام بصغائر الأمور، على خلاف ما روي



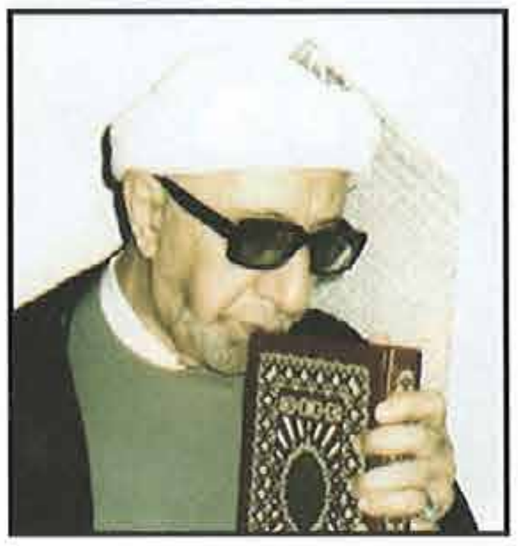

الشيخ الوائلي: جمهور الأعمال التي فيها أصالة أقلّ من جمهورِ الأعمال السطحية، فالذين يلاعبون قرداً قد يجمعون من الجمهور أكبر بكثير ممّا يجمعه اينشتاين ..

عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إن الله تعالى يحب معاليَ الأمور وأشرافَها، ويكرهُ سفسافَها) والسفساف هو الأمر الحقير، والردئ من كل شئ.

٣ـ التعصب وبالتالي عدم تحمل الرأي الآخر، بل وعدم القدرة على الإنصات إلى ذلك الرأي، فتارة يُكثر المقاطعة، وأخرى يعتبر الأمر شخصيا فينشغل بالدفاع عن النفس بدلاً من الفكرة نفسها، ولربما يلجأ إلى إهانة الآخر أو تسفيهه أو سبه، بل وحتى ضربه.

٤ـ التصديق بما لا يقبله العقل، وقد قيل: (حدِّث العاقل بما لا يُعقل، فإن صدَّق فلا عقل له)، وهذا ينتج عن تعطيل دور العقل في تقييم الخبر أو البحث عن أدلته أو أسبابه.

وبإمكان الفرد أن يقيم نفسه ليكتشف إن كان يستجمع تلك السمات أم لا، ليعرف إن كان من المبتلين بالسطحية أم بمنجى منها.

• أسباب السطحية في التفكير:

أولاً ـ أسباب شخصية:

١ـ الكسل والاتكالية حتى في التفكير، فيكتفي الفرد بكونه متلقياً سلبياً يفتح رأسه لمن يصله أولاً.

٢ـ الخوف وبالتالي تفضيل العمل بقاعدة (الباب اللي يجيك منه الريح سدّه واستريح) وقاعدة (المشي تحت الساس) وبتعبير آخر (بجنب الحائط)، فهو يرى ما يلقاه بعضاً من أصحاب الفكر والنقد من ملاحقة أو تشريد أو سجن وأمثالها.

٣ـ تفضيل مصادر المعلومات المتسمة بذاتها بالسطحية ككثير من المجلات الاستهلاكية على مصادر المعرفة الفكرية والنقدية والبحثية. أذكر هنا كلاماً كتبه المرحوم الشيخ الوائلي في كتابه (تجاربي مع المنبر) قال: (جمهور الأعمال التي فيها أصالة ومعاناة دائماً أقلّ من جمهور الأعمال السطحية، فإنّ الذين يلاعبون قرداً قد يجمعون من الجمهور أكبر بكثير ممّا يجمعه اينشتاين إذا أراد شرح نظريته النسبية).

ثانياً ـ أسباب تربوية:

١ـ اعتماد النظم التعليمية الخاطئة والاكتفاء بالشكل دون الجوهر، وأمثلته عديدة.

٢ـ غرس الفكر الاستهلاكي والبحث عن الرفاهية والمتعة بعيداً عن جدية العمل والتفكير الذي يتعب الذهن.

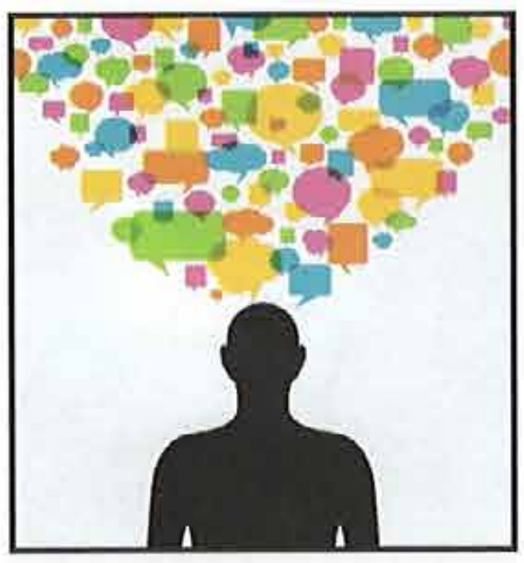



يملك الفرد ما يمكنه من أن يتمرد على التربية والتنشئة التي تلقاها ليبني لنفسه من جديد مساراً فكرياً متناسباً مع حجم الإمكانات التي أنعم بها الله عليه ..

٣ـ قتل منابع التحليل والتفكير والإبداع من خلال ردود الفعل السلبية من قبيل عدم الاهتمام، أو تحقير الرأي، أو المنع من السؤال، وأمثال ذلك.

ثالثاً ـ أسباب ظرفية:

١ـ فائض المعلومات السطحية المنتشرة، وسهولة نشرها وتداولها بلحاظ التطور التكنولوجي.

٢ـ الإعلام الذي ركّز على ما تريده الغرائز، وليس على ما تحتاج إليه المجتمعات في التنمية.

٣ـ الإحباط الذي يكوّن قناعة راسخة عند الفرد أن لا فائدة من أي إنجاز، ولو كان من قبيل التنمية الفكرية أو إعمال العقل من أجل تحليل قضيةٍ ما.

• استثمر عقلك:

إن وجود تلك الأسباب لا يقدّم المبرر الكافي للأنس بسطحية التفكير والركون إليها، فقد خلق الله سبحانه الإنسان بفطرة باحثة عن الحقيقة، وبعقل جبار لا يستفيد الإنسان عادة من قدراته إلا بنسبة ٢٪، وكما أن التكنولوجيا المعاصرة ساعدت على نشر السطحية في التفكير، فإنها قدّمت أيضاً مادة معرفية ضخمة ميسّرة للجميع، تتضمن مئات الآلاف من الكتب بنسخها الإلكترونية، والعديد من القنوات الفضائية العلمية والثقافية، وسهولة اقتناء النسخة الورقية من الكتاب وغير ذلك.

وبالتالي فإن المشكلة هي مشكلة الفرد الذي يختار ما هو سطحي، ويركل ما يمكن أن يقدِّم إليه العلم والمعرفة والحكمة.. إن مشكلته في تعصبه الذي يمنعه من الاستماع إلى الآخر وإفساح المجال لعقله كي يفكر ويحلل ويستنتج ويفاضل.

إن مشكلته وإن كانت في جانب منها تعود إلى تلقيه تربيةً وتنشئةً خاطئة، إلا أن المقوّمات الذاتية التي يملكها تمكّنه من أن يتمرد على تلك التربية والتنشئة ليبني لنفسه من جديد مساراً فكرياً سليماً ومتناسباً مع حجم الإمكانات التي أنعم بها الله سبحانه عليه، ويسأله عنها لاحقا.

وقد جاء عن نبينا الأكرم ﷺ: (لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاهُ).

٣٠ صفر ١٤٣٤ هـ
١٢ يناير ٢٠١٣ م

العنف الروحي

التطرف الروحي قد يتجه للعناوين الاجتهادية الصغيرة في العقيدة بين أتباع المعتقد الواحد أو في المسائل الفقهية أو التاريخية والتى يصعب لأحد الجزم فيها ..

الإيمان لا يعني النفور من الناس ممن لا يشتركون معي في القناعات الإيمانية، كما لا يعني أن أحمل حقداً في قلبي تجاه الآخرين الذين يختلفون معي.. بل الإيمان يعني أن أعيش الإنسان الإحساس بالمسئولية تجاه الآخرين، وأن أعيش الرغبة الصادقة في أن ينالهم من الخير ما وُفِّقتُ له، وأن تغمر قلبي المحبة الإنسانية الفطرية التي تمكّنني من أن أتعايش معهم بصورة تلقائية طبيعية، لأن القلب الذي لا يحب لا يستطيع أن يهدي الآخرين، وقد قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام : (هل الدين الإ الحب؟).

هكذا نفهم الإسلام، وهكذا نجده في سيرة النبي وآله عليهم السلام جميعاً، وفي سيرة المخلصين الواعين من أتباعهم رضي الله عنهم ، على طول الطريق.

• عنف سلوكي:

ولكن قد يستغرق الإنسان المؤمن في خصوصيات الإيمان في ذاته، وتأخذه الحماسة الإيمانية، وتتغلب عنده العاطفة على العقل، فيرى الإنسان الآخر في الجهة المقابلة من الإيمان شيطاناً لابد من الاحتراس منه، وعدواً لابد من محاربته، معتبراً ذلك وسيلة من وسائل التعبير عن الإخلاص لله والذوبان في محبته والاندكاك في العقيدة التي آمن بها.

وهكذا لربما يترجم الإنسان المؤمن الفكرة الخاطئة إلى سلوك عنيف، يرجع عليه وعلى متبناه وعلى الآخرين بالضرر.

• تبرير خاطئ:

كما قد يبرر البعض مثل هذا العنف الروحي - ولربما السلوكي تبعاً - باعتباره تمسكاً بقوله عز وجل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح:٢٩)، في غفلة عن أن الآية إنما تتحدث عن طبيعة علاقة المؤمنين بالكافرين في أجواء الصراع والمواجهة حيث يحاول من خلاله الكافرون إضعاف مواقع الإيمان، وتقوية مواقع الكفر على حساب ذلك، لا في أجواء التعايش السلمي.

• عنف داخلي:

وقد لا يكون مثل هذا التطرف الروحي في نطاق الخلاف العقدي في العناوين الكبيرة، بل قد يتجه حتى نحو العناوين الاجتهادية الصغيرة في العقيدة - بين أتباع المعتقد الواحد - أو في المسائل الفقهية

الاجتهادية، والتي لربما يصعب لأحد الجزم بصحة الفكرة فيها، أو استنادها على دليل قاطع ينفي أي شك أو شبهة عنها.

إن المشكلة أحياناً في الوجدان الديني هي العنف الروحي المتمثل في عنف الإخلاص الذي يحوّل صاحبه إلى مشاعر وأحاسيس وانفعالات وتوترات لا تستطيع التعبير عن نفسها إلا بالوسائل العنيفة المباشرة، لأنها لا تعيش عقلانية الفكر، وهدوء الإحساس ومسئولية الإيمان.. الأمر الذي قد تستغله بعض القيادات الدينية في تسخير الشباب الذين يكونون هم غالباً وقود الصراعات الدينية أو الحزبية أو السياسية المقولبة دينيا، باعتبارهم أكثر الشرائح التي تعيش حالة العنف الروحي والتأزم النفسي في العلاقة مع الآخر المختلف.

• تحريف الكلم:

ومن الممكن أن يأخذ الأمر منحى آخر، حيث يندفع البعض من المؤمنين بالفكرة إلى تحريف الكلم عن مواضعه، وتأويل النصوص بالنحو الذي يخدم الفكرة التي يحملها دون أن يكون النص في هذا الإطار، بل قد يكون معارضا لها.. ولكن الغاية بالنسبة إليهم تبرر الوسيلة غير الشرعية، وقد تُلبَس لباس الشرعية في عملية تأويلية وتحريفية متتالية تتماشى مع الروحية الانفعالية.

وهكذا يأتي الموروث التاريخي وتراكماته ليدفع في هذا الاتجاه، وليزيد من الاحتقان المتراكم، وليتحول الالتزام الديني المنطلق من الجهل والتخلف والتعصب إلى خطر على الإيمان نفسه وعلى المؤمنين جميعاً.

• مسئولية المؤمنين:

إن تجاوز هذه الحالة من العنف الروحي تحتاج إلى حركة من المؤمنين الواعين الذين يملكون قوة العقل ومسئولية الإيمان ورسالية الدين وموضوعية الحجة وعمق البرهان بهدف إعادة النظر في طريقة المباشرة، لأنها لا تعيش عقلانية الفكر، وهدوء الإحساس ومسئولية الإيمان.. الأمر الذي قد تستغله بعض القيادات الدينية في تسخير الشباب الذين يكونون هم غالباً وقود الصراعات الدينية أو الحزبية أو السياسية المقولبة دينيا، باعتبارهم أكثر الشرائح التي تعيش حالة العنف الروحي والتأزم النفسي في العلاقة مع الآخر المختلف.

• تحريف الكلم:

ومن الممكن أن يأخذ الأمر منحى آخر، حيث يندفع البعض من المؤمنين بالفكرة إلى تحريف الكلم عن مواضعه، وتأويل النصوص بالنحو الذي يخدم الفكرة التي يحملها دون أن يكون النص في هذا الإطار، بل قد يكون معارضا لها.. ولكن الغاية بالنسبة إليهم تبرر الوسيلة غير الشرعية، وقد تُلبَس لباس الشرعية في عملية تأويلية وتحريفية متتالية تتماشى مع الروحية الانفعالية.

وهكذا يأتي الموروث التاريخي وتراكماته ليدفع في هذا الاتجاه، وليزيد من الاحتقان المتراكم، وليتحول إلى خطر على الإيمان نفسه وعلى المؤمنين جميعاً.

• مسئولية المؤمنين:

إن تجاوز هذه الحالة من العنف الروحي تحتاج إلى حركة من المؤمنين الواعين الذين يملكون قوة العقل ومسئولية الإيمان ورسالية الدين وموضوعية الحجة وعمق البرهان بهدف إعادة النظر في طريقة المباشرة، لأنها لا تعيش عقلانية الفكر، وهدوء الإحساس ومسئولية الإيمان.. الأمر الذي قد تستغله بعض القيادات الدينية في تسخير الشباب الذين يكونون هم غالباً وقود الصراعات الدينية أو الحزبية أو السياسية المقولبة دينيا، باعتبارهم أكثر الشرائح التي تعيش حالة العنف الروحي والتأزم النفسي في العلاقة مع الآخر المختلف.

• تحريف الكلم:

ومن الممكن أن يأخذ الأمر منحى آخر، حيث يندفع البعض من المؤمنين بالفكرة إلى تحريف الكلم عن مواضعه، وتأويل النصوص بالنحو الذي يخدم الفكرة التي يحملها دون أن يكون النص في هذا الإطار، بل قد يكون معارضا لها.. ولكن الغاية بالنسبة إليهم تبرر الوسيلة غير الشرعية، وقد تُلبَس لباس الشرعية في عملية تأويلية وتحريفية متتالية تتماشى مع الروحية الانفعالية.

وهكذا يأتي الموروث التاريخي وتراكماته ليدفع في هذا الاتجاه، وليزيد من الاحتقان المتراكم، وليتحول تأجيج الصراعات وتسجيل النقاط على الخصوم: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل:١٢٥).

إن تجاوز هذه الحالة من العنف الروحي تحتاج إلى حركة من المؤمنين الواعين الذين يملكون قوة العقل ومسئولية الإيمان ورسالية الدين وموضوعية الحجة وعمق البرهان بهدف إعادة النظر في طريقة المباشرة، لأنها لا تعيش عقلانية الفكر، وهدوء الإحساس ومسئولية الإيمان.. الأمر الذي قد تستغله بعض القيادات الدينية في تسخير الشباب الذين يكونون هم غالباً وقود الصراعات الدينية أو الحزبية أو السياسية المقولبة دينيا، باعتبارهم أكثر الشرائح التي تعيش حالة العنف الروحي والتأزم النفسي في العلاقة مع الآخر المختلف.

• تحريف الكلم:

ومن الممكن أن يأخذ الأمر منحى آخر، حيث يندفع البعض من المؤمنين بالفكرة إلى تحريف الكلم عن مواضعه، وتأويل النصوص بالنحو الذي يخدم الفكرة التي يحملها دون أن يكون النص في هذا الإطار، بل قد يكون معارضا لها.. ولكن الغاية بالنسبة إليهم تبرر الوسيلة غير الشرعية، وقد تُلبَس لباس الشرعية في عملية تأويلية وتحريفية متتالية تتماشى مع الروحية الانفعالية.

وهكذا يأتي الموروث التاريخي وتراكماته ليدفع في هذا الاتجاه، وليزيد من الاحتقان المتراكم، وليتحول تأجيج الصراعات وتسجيل النقاط على الخصوم: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل:١٢٥).

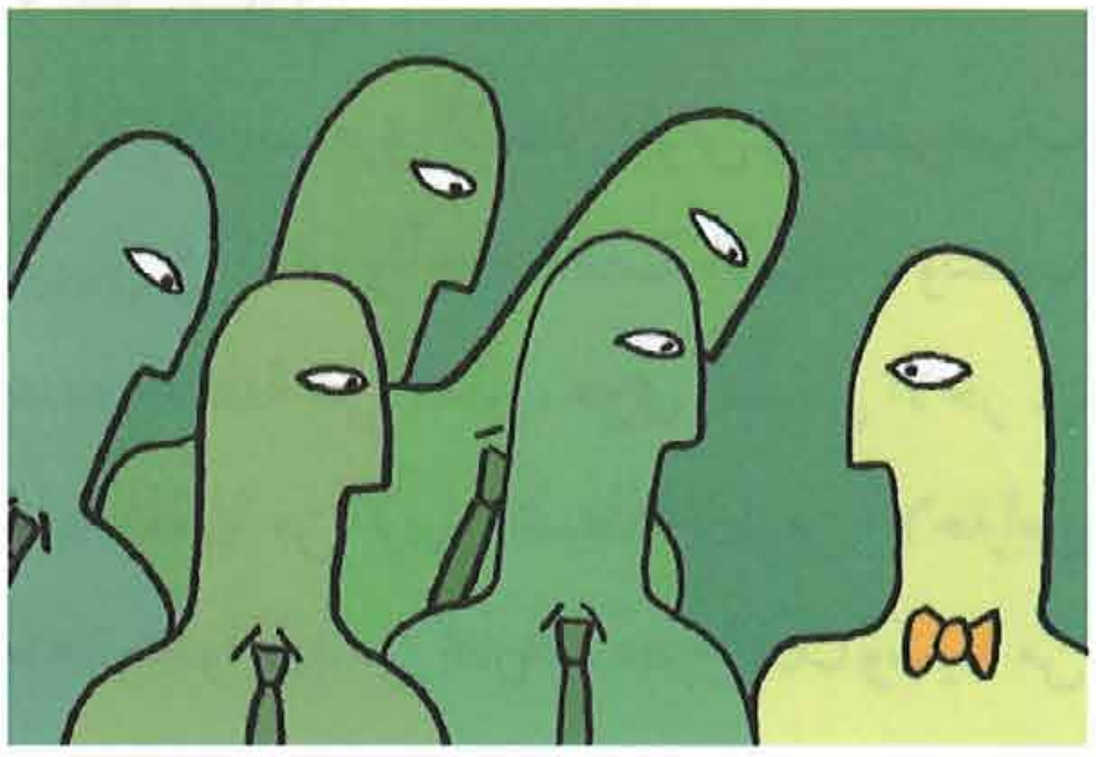

إصدارات المؤلف

إصدارات المؤلف

• الكتب والكتيبات :

١. أحبك يا ربى : أدعية وأذكار مصورة للأطفال
٢. أحكام الحدث الأكبر
٣. أحكام الدماء الثلاثة : السيد الخوئي / السيد السيستاني
٤. أحكام المريض والمصاب : السيد محمد حسين فضل الله
٥. أحكام المريض والمصاب : السيد السيستاني
٦. أحكام النجاسات والمطهرات : السيد الخوئي / السيد السيستاني
٧. إضاءات: المنبر الحسيني، أفكار ورؤى الفقيه السيد فضل الله
٨. إضاءات على فكر الفقيه المجدد المرجع السيد فضل الله
٩. إليك يا ولدي
١٠. إليكِ يا ابنتي
١١. بساتين الإيمان : ٥ كتب دراسية للمرحلة المتوسطة مصورة
١٢. حدائق الإيمان : ٤ كتب دراسية للمرحلة الابتدائية مصورة
١٣. الدرة الثمينة في أخبار مكة والمدينة
١٤. الدليل : مرشد الزائرين للعتبات المقدسة في إيران
١٥. دليل الحاج والمعتمر
١٦. رسالة المسجد
١٧. زوجتي العزيزة
١٨. زوجي العزيز
١٩. زينة الحياة : آداب وأحكام المواليد
٢٠. شهداء على أرض فخ

إصدارات المؤلف

٢١. صلاة الجمعة
٢٢. الغناء في ميزان الشرع
٢٣. فراس : قصة مصورة للأطفال
٢٤. قضايا وأفكار (٣ أعداد)
٢٥. لا فتى إلا علي
٢٦. للشباب فقط
٢٧. ليالي عاشوراء (عددان)
٢٨. المآتم الحسينية : أهداف وتطلعات
٢٩. محطات في الفكر والأدب والتاريخ
٣٠. المرأة والستر الشرعي
٣١. مفاهيم حركية من وحي القرآن: مجلدان
٣٢. منتقى الجمان من مفاتيح الجنان
٣٣. منتقيات (٥ أجزاء)
٣٤. النشأة الآخرة
٣٥. واحات الإيمان : ٤ كتب دراسية للمرحلة الثانوية (غير مطبوع)
٣٦. وداع الأحبة : أحكام الميت ، آداب العزاء ، وزيارة القبور

- التسجيلات الصوتية :

١. زوجتي العزيزة
٢. زوجي العزيز

إصدارات المؤلف

٣. فزت ورب الكعبة
٤. للشباب فقط
٥. المباهلة
٦. واقعة الطف في ضمير التاريخ

• الرسوم المتحركة :
ـ مغامرات عجيب : ١٦ حلقة تربوية في ٤ أشرطة فيديو

• الأفلام :
ـ مجلس القاسم : ٣ أفلام للدروس الخاصة بالأطفال أقيمت في شهر محرم بأسلوب مبتكر

• برامج الحاسب الآلي :
١. أحكام الاعتكاف
٢. أحكام التلاوة
٣. أحكام الحج والعمرة
٤. أحكام الشك في الصلاة
٥. أحكام المريض والمصاب : السيد محمد حسين فضل الله

إصدارات المؤلف

٦. أحكام المريض والمصاب : السيد السيستاني
٧. أحكام النساء : السيد محمد حسين فضل الله
٨. أحكام النساء (Menstruation Rules) باللغة الإنجليزية :
٩. حدائق الإيمان : منهج تعليمي للصف الثاني الابتدائي
١٠. مسائل خلافية في الحج : عرض مقارن لفتاوى مجموعة من المراجع
١١. مسابقات دينية : بطريقة مسلية ومبتكرة
١٢. الهادي لفتاوى آية الله العظمى السيستاني : أكثر من ٥٣٠٠ استفتاء
١٣. المدرسة القرآنية: منهج تعليمي للمرحلة الثانوية فما فوق

- تطبيقات الآيفون والآيباد والأندرويد :

١. تطبيق الولاء
٢. تطبيق قناة الإيمان
٣. تطبيق مؤلفاتي
٤. تطبيق المرشد (لمسائل الحج والعمرة الخلافية بين الفقهاء)

- كما قام المؤلف بإعداد برنامج تعليم القرآن الكريم للمراحل الابتدائية الخمس والخاص بالمدرسة الذكية بدولة الكويت .

هذا الكتاب ...

إننا في أحوج اللحظات إلى الثقافة لنشرها من خلال البحوث التخصصية، أقول ذلك وسط هذا الصراع القائم بين الجهل والخرافة وبين الوعي.. ويصدر هذا العدد (منتقيات ٦) في جو يختلف عما كانت عليه الأعداد السابقة، ولعلي أستطيع القول أنها فترة تحوّل مهمة في تاريخ الكويت، اتسمت بعدم استقرار سياسي واجتماعي لم يعتد عليه المواطن الكويتي فأثّرت حتى على الحياة الاجتماعية للفرد والأسرة.

ورغم أن القارئ يجد في طيات أكثر من ثلاثين مقالة من (منتقيات ٦) تحليلات سياسية بصور مباشرة وغير مباشرة، إلا أن هذا لا يعني أنها قد زاغت عن توجهها الثقافي العام، ولكنها الواقعية التي يعيشها المؤلف سماحة العلامة الشيخ علي حسن، فتراه لا يناقش الحدث السياسي بالصورة السياسية الوضعية الماكرة والتي تعتمد الكذب والمراوغة والقوانين الميكافيلية، ولكنها تحليلات سياسية شفافة مبنية على قيم ومبادئ إسلامية مستمدة من القرآن والحديث والسيرة والتاريخ.

د. عبدالسميع سيد خلف البهبهاني